

مقدمة

الإقناع على الهداية

دراسة وتحليل

بأقر شريف الرشي

دار الكتاب الإسلامي

Princeton University Library



32101 063375511

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

حياة
الإمام علي الهادي
دراسة وتحليل

حياة

الإمام عليّ الهادي^ع "عج"

دراسة وتحليل

بأقر شريف إفرهني

~~(Annex A)~~

BP193 (RECAP)

.13

.A25Q32

1988

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الكلمة الناشر

كان من حسن التوفيق لنا أننا عشنا مع كوكبة من أفاضل أهل العلم في النجف الأشرف الذين تركوا فينا أجمل الأثر وأطيبه ، . . . وفي طليعة هؤلاء يأتي فضيلة الشيخ العالم العامل : محمد باقر شريف القرشي ، الذي نشأ في منبت العلم والتقوى ، والورع والفضيلة . . . فحاز تقدير العلماء في تحصيله وجده ، ومضرب المثل في علمه وورعه .

وتأتي مؤلفاته بدءاً من « حقوق العامل في الإسلام » وانتهاءً بهذه السلسلة التي تتناول سيرة أئمة الهدى وأعلام الورى عليهم السلام بالتفصيل الدقيق .

وهذا الذي بين يديك ثمرة يانعة مباركة مما خطّه يراع المؤلف المسدد . والله وليّ التوفيق . .

٢٤ شعبان ١٤٠٨ هـ / ١١ / ١٩٨٨ م.

الإهداء

إلى . . . رائد الحكمة ، والعدالة الاجتماعية في الأرض .

إلى . . . العقل المفكر في الإنسانية .

إلى . . . وصي رسول الله (ص) وصاحبه وخليته الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

أرفع بكلّ اعتزاز وإيمان، هذا المجهود المتواضع الذي تشرفت فيه بالبحث عن سيرة حفيده الامام علي الهادي عليه السلام ، المجدد لدين الإسلام .

آملاً أن يحظى بالقبول ليكون ذخراً لي يوم ألقى الله ،

المؤلف

المقدمة

- ١ -

نحن بين يدي إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين ملأوا الدنيا بفضائلهم وعلومهم ، ووهبوا حياتهم لله ، وأخلصوا للحقّ كأعظم ما يكون الاخلاص ، إنه الإمام العاشر عليّ الهادي سميّ جدّه الامام أمير المؤمنين رائد الحكمة والعدالة الاجتماعية في الأرض ، وقد شابهه في نكران الذات ، والتجرد من كل نزعة من النزعات المادية ، فلم يؤثر عن هذا الامام العظيم أنه استجاب لأيّ داع من دواعي الهوى ، أو خضع لأيّة رغبة من الرغبات النفسية التي لا تتصل بالحق ، وأنما آثر طاعة الله على كل شيء ، فقد هام بحبه تعالى يجي لياليه بالعبادة ، والتضرّع إلى الله تعالى ، ومناجاته .

لقد تفاعل الإيمان بالله في أعماق نفسه ، ودخائل ذاته حتى صار من أبرز عناصره ، ومن أظهر مقوماته ، وقد أثرت عنه من الأدعية الشريفة والمناجاة الحكيمة ، وشذرات رائعة في فلسفة التوحيد مما تدلّل على أنه كان من الرواد الأوائل الذين رفعوا مشعل الهداية ، والإيمان في الأرض .

- ٢ -

ومنح الله أئمة أهل البيت عليهم السلام العلم والحكمة ، وآتاهم من العلم والفضل ما لم يؤت أحداً من العالمين ، فقد أثرت عنهم من العلوم

والمعارف ما يدعو الى الاعتزاز والفخر ، وقد تميّز الكبير والصغير من أئمة الهدى بهذه الظاهرة فالامام الجواد عليه السلام قد تقلّد الزعامة الدينية والمرجعية العامة للأئمة في سنّ مبكّر ، فقد كان عمره الشريف سبع سنين وأشهرًا ، وقد سئل عن أعقد المسائل الفلسفية والكلامية والفقهية فأجاب عنها جواب العالم الخبير المتخصّص ، ومن الطبيعي أنّه لا تعليل لذلك إلا بما تذهب إليه الشيعة الإمامية من أن الأئمة عليهم السلام قد وهبهم الله تعالى طاقات هائلة من العلوم كما وهب أنبياءه ورسله من أولي العزم .

وكما كان الإمام الجواد عليه السلام أعجوبة الدنيا بمواهبه وعبقرياته فكذلك كان ولده الامام الهادي عليه السلام ، فقد كان في سنّ مبكّر وفجع بوفاة أبيه الجواد ، فرجعت إليه فقهاء الشيعة وعلمائها الذين كانوا يجتاطون كأشدّ ما يكون الاحتياط في أمر الإمامة ، فكانوا يبحثون بمنتهى الدقّة ويفحصون بمنتهى الفحص عن أمر الإمام ، فاذا قامت عندهم الأدلة القطعية على إمامته دانوا بها ، ولم يكونوا بذلك مندفعين وراء العواطف والأهواء ، وأنما كانوا يرون أنهم مسألون أمام الله تعالى عن ذلك ، لأنّ الإمامة عندهم أصل من أصول الدين .

وعلى أيّ حال فقد سأل علماء الإمامية وفقهاؤهم الإمام الهادي عليه السلام ، وهو في مقتبل العمر عن مختلف العلوم والمعارف فأجابهم عنها جواب العالم الخبير فدانوا بإمامته ، وقد زادهم ذلك إيماناً و يقيناً بصحة ما يذهبون إليه من أن الإمام لا بدّ أن يكون أعلم أهل عصره من غير فرق بين الصغير والكبير .

لقد ظهر للإمام الهادي عليه السلام من الفضل والعلم والتبحّر في علوم القرآن والسنة ما يبهّر الأفكار ، وقد عبّجت الأندية والمجالس في مختلف أنحاء العالم الإسلامي بالحديث عن مدى ثرواته العلمية التي لا تُحَدّ .

ودان شطر كبير من المسلمين بإمامة الإمام عليّ الهادي عليه السلام ، ولزوم مودّته وطاعته وكانوا يحملون إليه الأموال الطائلة من الحقوق الشرعية التي يجب دفعها الى الإمام كحقّ الإمام ، وغيره ، مضافاً الى الهدايا والألطف التي كانوا يقدّمونها له ، وقد نقلت المباحث ورجال الأمن ذلك بصورة موسعة الى المتوكّل العباسي الذي كان من ألدّ الأعداء للعلويين وشيعتهم ، فانفتحت أوداجه ، وتميّز غيظاً وغضباً ، فأمر الطاغية بحمل الإمام الى سُرّ من رأى التي هي عاصمة ملكه ، ففرض عليه الإقامة الجبرية فيها ، ليرصد حركاته ، ويتعرّف على العناصر الموالية له ، ويمنع عنه الأموال الواردة إليه وصدّ عنه العلماء والرواة الذين ينتهلون من نمير معارفه وعلومه . . . لقد عانى الامام في عهد المتوكّل صنوفاً مرهقة من القسوة والعذاب ، فكان بين فترة وأخرى يعهد الى شرطته بتفتيش دار الإمام وحمله بالكيفية التي يجدونها فيه ، وقد مثل مرة بين يديه ، وقد انتشرت في مجلسه كؤوس الخمر ، وآلات العزف ، وآلات الموسيقى ، وجوقات المغنين ، والمتوكّل ثمل سكران ، قد احتفت به فرق من المغنيات والعاثين فلم يحفل به الامام ، ولم يتهيّب سلطانه ، وأنما انبرى يعظه ، ويذكره الدار الآخرة ، وينعي عليه ما هو فيه من اتباع الهوى والانقياد للشهوات ويعرض هذا الكتاب الى تفصيل ذلك :

وكان الإمام الهادي عليه السلام الممثل الوحيد للجهة المعارضة للحكم العباسي ، وأحد القادة الطليعيين لهذه الأمة في مسيرتها النضالية ضدّ الطغيان والجبروت ، فقد وقف موقفاً سلبياً يتميّز بالشدّة والصلابة أمام ملوك عصره ، فلم يتّصل بأي واحد منهم ، وآثر الابتعاد عنهم الأمر الذي أوجب أن يحقدوا عليه ، ويضمروا له العداوة والبغضاء ، ويقابلوه بمزيد من الشدّة والقسوة .

ان الامام عليه السلام لو ساير ملوك عصره ، وسار في ركابهم لما فرضوا عليه الإقامة الجبرية في سُرٍّ من رأى ، وما فرضوا عليه الحصار الاقتصادي ، وتركوه في ضائقة مالية خانقة ، وحجبه عن شيعته . . . لقد أثر الامام عليه السلام رضاء الله على كل شيء ، وأثر مصلحة الأمة فابتعد عن أولئك الملوك الذين فرضوا سلطانهم بقوة السلاح ، والقهر ، ويعرض هذا الكتاب الى اعطاء صورة عن سياستهم وسيرتهم مقتبسة من أوثق المصادر التي بأيدينا .

- ٥ -

ولم يُمتحن الامام الهادي عليه السلام وحده في عهد ملوك العباسيين الذين عاصروهم ، وإنما امتحن بهم المسلمون جميعاً ، فقد عبثوا بمبادئهم ، ولم يعد في أيام حكمهم أي ظل للإسلام بمعناه الصحيح ، فقد سخرُوا اقتصاد الأمة لإشباع شهواتهم ، وإنفاقها بسخاء على المغنيين والعباشين ، وكانت لياليهم الحمراء في بغداد وفي سامراء حافلة بجميع ما حرّمه الله ، وقد ابتعدوا كلّ البعد عن المقاييس الإسلامية ، الهادفة الى رفع مستوى الإنسان ، وابعاده عن مسارح العبث واللغو .

- ٦ -

وأصبحت دراسة العصر من البحوث المنهجية في دراسة الشخص لأنها تكشف عن الجوانب المهمة من حياته الفكرية والاجتماعية ، والسياسية ، وعلى ضوء ذلك فنحن مدعوون لدراسة عصر الامام والإمام به من جميع جوانبه لأن له التأثير على حياة الامام عليه السلام .

لقد حفل عصر الامام بأحداث رهيبية كان من أبرزها تسلط الأتراك على جميع شؤون الدولة ، واستبدالهم بالاقتصاد العام للدولة بحيث لم يعد أي نفوذ للملك العباسيين ، فقد شلت أيديهم وكانوا بمعزل عن جميع الشؤون الداخلية

والخارجية ، فمن رضي عنه الأتراك من ملوك العباسيين أبقوه ، ومن سخطوا عليه عزلوه أو قتلوه ، وقد تعرّضت البلاد من جراء ذلك الى أزمات خطيرة لأن الأتراك كانوا لا يحسنون أمور الملك ولا يفقهون الشؤون السياسية ، وأنما كانوا بدأً ليسوا بأهل حضارة ، ولا أهل ملك ، ويلمّ هذا الكتاب بتفصيل ذلك ، كما يعطي صورة عن سائر الأحداث التي جرت في ذلك العصر .

- ٧ -

ويعرض هذا الكتاب الى تراجم أصحاب الامام الهادي عليه السلام ، وتراجم جملة علومه ، ورواة حديثه ، وفيما أحسب اني تفرّدت في دراستي عن حياة الأئمة الطاهرين عليهم السلام بهذه الجهة ، فان الدراسات الحديثة ، لم تعن بذلك ، وأهمّته إهمالاً مطلقاً ، وفيما أرى أن عرض ذلك من متمّمات البحث عن الشخص ، فانه يبرز حياته الثقافية والفكرية ، ومدى علاقته بالناس ، وعلاقتهم به ، كما أنّه في نفس الوقت يحتوي على معلومات مهمّة عن الشخص ، لم تذكرها الكتب المترجمة له ، وأنما ذكرت في ضمن تراجم أصحابه .

- ٨ -

وليس هذا الكتاب أول كتاب ألف عن حياة الامام عليّ الهادي عليه السلام ، فقد سبق أن ألف عنه بصورة موسعة العلامة المحقق الشيخ ذبيح الله ، فقد خصّص الجزء الثالث من موسوعته المسمّاة بـ «مآثر الكبراء» التي بحث فيها عن مدينة (سامراء) بالامام الهادي عليه السلام ، كما ألف الاستاذ السيّد عبد الرزاق شاکر البدری الشافعي كتاباً أسماه «سيرة الامام العاشر عليّ الهادي» وفيما أعتقد أن ما ألف عن هذا الامام العظيم ، ومنه هذا الكتاب لا يلمّ - بصورة جازمة - بجميع مآثره ، وشؤونه ، وإنما يلقي أضواءً ومؤشرات

على معالم شخصيته العظيمة التي هي امتداد ذاتي لحياة آبائه الذين حووا فضائل الدنيا ، ومكارم أفعالها .

- ٩ -

وأرى من الحقّ عليّ ، وأنا في نهاية هذا التقديم أن أعترف بالفضل ، وأسجّل مزيد التقدير والتكريم الى سماحة الحجّة العلامة الكبير أخي الشيخ هادي شريف القرشي حفظه الله ، فقد أعانني معونة صادقة في تأليف هذا الكتاب فقد راجع كثيراً من المصادر بما فيها بعض الموسوعات كوسائل الشيعة وغيرها ، وقد قدّم لي كثيراً من المعلومات عن حياة الامام الزكيّ أبي الحسن الهادي عليه السلام ، سائلاً من الله تعالى أن يشبهه على ذلك ، ويجزيه عني خير ما يجزي أخاً عن أخيه ، .

المؤلف

باقر شريف القرشي

النجف الأشرف

ولادته ونشأته

مكتبة جامعة القاهرة

الامام عليّ الهادي فرع زاكٍ من شجرة النبوة ، وغصن مشرق من دوحة الإمامة أعزّ الله به وبآبائه الاسلام ، ورفع بهم كلمة التوحيد ، وقبل التحدّث عن معالم شخصيته العظيمة نعرض الى الأصول الكريمة التي تفرّع منها ، مع بيان ولادته ونشأته .

الأب :

أمّا أبو الامام الهادي عليه السلام ، فهو الامام محمد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وهو أرفع نسب في الاسلام ، ولم تعرف الانسانية - في جميع أدوارها - نسباً أجلّ ولا أسمى من هذا النسب الذي أضاء سماء الدنيا بواقع الاسلام وجوهر الإيمان ، فمن هذه الأسرة الكريمة تفرّع الإمام الهادي ، وكان أبوه الإمام الجواد عليه السلام أعجوبة الدنيا بمواهبه وعبقرياته فقد تقلّد - بعد وفاة أبيه - الزعامة الدينية ، والمرجعية العامة للأمة ، وكان عمره سبع سنين وأشهرًا ، وقد انتهزت الحكومة العباسية هذه الفرصة فندبت يحيى بن أكثم الذي هو من كبار العلماء في عصره لامتحانه وتعجيزه لتطوي بذلك مسألة علمية الامام التي هي من العناصر الأساسية في الفكر الشيعي ، وتقدّم يحيى فسأل الامام أمام حشد كبير من العلماء والوزراء وسائر أعضاء الحكومة العباسية عن مسألة فقهية ففرّع الإمام عليها عدّة فروع فذهل يحيى وبيان عليه العجز واعترف بالقدرات العلمية

الهائلة التي يملكها الإمام وكانت هذه البادرة وغيرها حديث الأندية والمجالس في بغداد وغيرها . وقد تشرفت - والحمد لله - بالبحث عن شؤون الإمام الجواد عليه السلام ، فلا أرى أيّ بحاجة الى التحدّث عنه .

الأمّ :

وقبل أن نتحدّث عن شؤون السيّدة الزكيّة أمّ الإمام علي الهادي عليه السلام نوّد أن نشير الى ما ذكرناه - غير مرّة - من أن الإسلام قد تبنّى بصورة إيجابية وحدة المجتمع واتّفاق الكلمة ، وناهض جميع الأساليب التي تؤدّي الى الاختلاف ، وفصم عرى الوحدة ، وعلى ضوء هذا الاتجاه المشرق سار أئمّة أهل البيت عليهم السلام فلم يفرقوا بين الأبيض والأسود ، وقد سارعوا الى الزواج من الإماء ليقضوا على النعرات الهدّامة فقد تزوّج الامام العظيم زين العابدين وسيّد الساجدين عليّ بن الحسين بأمة ولدت له الشهيد الخالد زيداً ، وتزوّج الامام محمد الجواد بأمة أولدت له الامام عليّ الهادي عليه السلام ، وكان قد اشتراها له محمد بن الفرج بسبعين ديناراً^(١) .

وتولّى الإمام الجواد عليه السلام تربيته وتهذيبها ، وقد استقرّت في بيت الإمامة الذي كان يضمّ العلويات من بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) اللاتي يمثّلن الشرف والعفة والطهارة ، وقد تأثرت بهديهنّ وسلوكهنّ فأقبلت على طاعة الله وعبادته فكانت من القانتات المتهجّجات والتاليات لكتاب الله ، وقد روى ذلك نقلة الأثر^(٢) .

وحسبها فخراً أنّها ولدت سيّداً من سادات المسلمين ، وإماماً من أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين جعلهم الله أمن العباد وسفن النجاة .

(١) دلائل الإمامة (ص ٢١٦) .

(٢) عيون المعجزات .

اسمها :

واختلف المؤرخون والرواة في اسمها الشريف ، وهذه بعض الأقوال :

- ١ - سمانة المغربية^(١) وتعرف بالسيّدة « أمّ الفضل »^(٢) .
- ٢ - مارية القبطية^(٣) .
- ٣ - يدش^(٤) .
- ٤ - حويت^(٥) .

وهناك أقوال أخرى في اسمها أعرضنا عن ذكرها ، أما التحقيق في اسمها فليس من المهمّ في شيء إذ لا يترتب عليه أية فائدة .

الوليد العظيم :

وأشرقت الدنيا بولادة الامام الهادي عليه السلام فلم تلد امرأة في ذلك العصر مثله علماً وتقوى وتحرجاً في الدين ، وقد ولد في (بصريا)^(٦) من يثرب^(٧) . وكان بحكم ميراثه جامعاً لجميع خصال الخير والشرف والنبيل .

مراسيم الولادة :

وسارع الإمام الجواد عليه السلام فأجرى على وليده المبارك المراسيم الشرعية فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، وختنه في اليوم السابع من ولادته ، وحلق رأسه وتصدّق بزنته فضة على المساكين وعقّ عنه بكبش ، كما

(١) تذكرة الخواص (ص ٣٩) .

(٢) بحار الأنوار ١٣/ ١٢٦ ، الدرّ النظيم .

(٣) بحر الأنساب (ص ٣٥) .

(٤) مرآة الزمان ٩ / ورقة ٥٥٣ مصور .

(٥) تاريخ الأئمة (ص ١٦) .

(٦) صريا : قرية أسسها الامام موسى بن جعفر (ع) تبعد عن المدينة بثلاثة أميال .

(٧) الاتحاف بحبّ الأشراف (ص ٦٧) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام (ص ١٥١) .

هي العادة المتبعة عند أئمة أهل البيت عليهم السلام أنهم يجرون هذه المراسيم الشرعية على أبنائهم عند الولادة .

سنة ولادته :

وأتفق أكثر المؤرخين أنه ولد في سنة (٢١٢ هـ)^(١) وقيل أنه ولد في سنة (٢١٤ هـ)^(٢) وقد اختلفوا في الشهر واليوم الذي ولد فيه وهذه بعض الأقوال :

- ١ - ولد في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة^(٣) .
 - ٢ - ولد في اليوم الثالث عشر من رجب^(٤) .
 - ٣ - ولد يوم الاثنين لثلاث خلون من رجب .
 - ٤ - ونصت بعض المصادر أنه ولد في رجب ولكن لم تعين لنا اليوم الذي ولد فيه ، وبذلك صرحت بعض الأدعية فقد جاء فيها « اللهم إني أسألك بالمولودين في رجب محمد بن علي الثاني ، وعلي بن محمد المنتجب » .
- وأهملت بعض المصادر اليوم والشهر الذي ولد فيه واكتفت بالقول أنه ولد بالمدينة^(٥) .

تسميته :

سمّاه أبوه الامام الجواد عليه السلام علياً تبرّكاً وتيمناً باسم جدّيه العظيمين : جدّه الامام أمير المؤمنين عليه السلام وجدّه الامام علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين وقد شابهها بحكم قوانين الوراثة ، فقد شابه جدّه الامام أمير المؤمنين في بلاغته وفصاحته ، وشابه جدّه الامام زين العابدين

(١) أصول الكافي ١/٤٩٧ ، الإرشاد (ص٣٦٨) أعيان الشيعة ٤/ق٢/٢٥٢ .
(٢) الاتحاف بحب الاشراف (ص٦٧) جوهرة الكلام (ص١٥١) مرآة الجنان ٢/١٥٩ تاريخ الخميس ٣٢١/٢ .
(٣) أعيان الشيعة ٤/ق٢/٢٥٢ .
(٤) تاريخ الخميس ٢/٣٢١ ، مرآة الجنان ٢/١٥٩ .
(٥) الاتحاف بحب الاشراف (ص٦٧) .

في تقواه وعبادته ونسكه .

كنيته :

والشيء المؤكد ان في كنية الطفل لوناً من ألوان التكريم له ، وهو مما يساعد على نمو شخصيته ، وتكامل ذاته ، وقد لاحظ الأئمة الطيبون هذه الجهة فكانوا يكتون أبناءهم في طفولتهم ، وقد أثر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

نحن الكرام وطفلنا في المهد يكنى إنا إذا قعد اللثام على بساط العزّ قمنا وكان العرب يتفاخرون في الكنية وفي ذلك قال شاعرهم :

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا ألقبه والسواة اللقبا

وكنى الامام الجواد عليه السلام ولده الامام الهادي بأبي الحسن ، وعرف بهذه الكنية جداه الإمام موسى بن جعفر والامام الرضا عليهما السلام وفرّق الرواة بينهم في هذه الكنية بعد أن أضافوا إليها الجهة المميزة فقالوا : إن أبا الحسن الأول هو الامام موسى بن جعفر عليه السلام وأبو الحسن الثاني هو الامام الرضا عليه السلام وأبو الحسن الثالث هو الامام عليّ الهادي عليه السلام .

ألقابه :

أما ألقابه الكريمة فإنها تحكي بعض ما اتّصف به هذا الامام العظيم من النزعات الكريمة ، والصفات الرفيعة وهي :

١ - الناصح : لقبٌ بذلك لأنه كان من أنصح الناس لأمة جدّه .

٢ - المتوكّل : وكان يبغض هذا اللقب ، ويأمر أصحابه أن لا يلقّبوه به ، وفيما أحسب أنّما كره هذا اللقب لأنه كان لقباً للخليفة جعفر المتوكّل الذي كان من أبغض الناس وأعداهم لأهل البيت عليهم السلام .

٣ - التقيّ : لأنّه اتقى الله وأتاب إليه ، وقد جهد الطاغية المتوكّل على أن يجرّ الإمام الى ميادين اللهو والدعارة فلم يستطع لذلك ، وقد أخبر بذلك حاشيته .

٤ - المرتضى : وهو أشهر ألقابه .

٥ - الفقيه : فقد كان أفقه أهل عصره ، وكان المرجع الأعلى للفقهاء والعلماء .

٦ - العالم : وكان أعلم الناس لا في شؤون الشريعة الإسلامية فحسب ، وأتما في جميع أنواع العلوم والمعارف .

٧ - الأمين : على الدين والدنيا .

٨ - الطيّب : فلم يكن أحد في عصره أطيب ولا أزكى منه .

٩ - العسكري : لقب بذلك لأنّ مقامه بسر من رأى وهي تسمّى العسكري^(١)

١٠ - الموضح : لأحكام الكتاب والسنة .

١١ - الرشيد : فقد كان من أرشد الناس وأهداهم الى سواء السبيل .

١٢ - الشهيد : لأنّه رزق الشهادة على يد أعداء الله .

١٣ - الوفي : فقد كان من أوفى الناس ، وكان الوفاء من عناصره ومميّزاته .

١٤ - الخالص : من كلّ سوء وعيب .

(١) عمدة الطالب (ص ١٨٨) وفي علل الشرايع (ص ٢٤١) ان المحلة التي كان يسكنها تسمّى عسكر فلذلك قيل له العسكري .

ملاحه :

أما ملاحه فكانت كملامح جدّه الامام الرضا وأبيه الامام الجواد فقد كان شديد السمرة^(١) ووصفه الرواة بأنّه كان أدعج العينين^(٢) ششن الكفين^(٣) عريض الصدر ، أقى الأنف ، أفلج الأسنان ، حسن الوجه ، طيب الريح ، وكان جسيم البدن - شبيهاً بجدّه الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام - ولم يكن بالقصير المتردّد^(٤) ولا بالطويل الممغط^(٥) . بعيد المنكبين ، ضخّم الكراديس . . ^(٦) معتدل القامة^(٧) .

تعويذه :

كان الامام الجواد عليه السلام يضمن على ولده الامام الهادي عليه السلام عوادي الدهر وطوارق الأيام ، وكان يلتجىء الى الله تعالى ليحميه من كل سوء ، ويقيه من كلّ مكروه وكان يعوذه كل يوم بهذا الدعاء الشريف الذي يمثّل مدى اعتصامه بالله وانقطاعه إليه وقد جاء فيه بعد البسملة :

« لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم ، اللهم ربّ الملائكة والروح ، والنبّيين والمرسلين ، وقاهر من في السموات والأرضين ، وخالق كل شيء ومالكة كفّ عنيّ بأس أعدائنا ، ومن أراد بنا سوءاً من الجنّ والانس ، فأغمّ أبصارهم وقلوبهم ، واجعل بيننا وبينهم حجاباً وحرساً ومدفعاً ، أنّك ربّنا ولا حول ولا قوّة إلا بالله عليه توكلنا وإليه أنبنا ، وهو العزيز الحكيم .

(١) نور الأبصار (ص ١٦٤) بحار الأنوار ١٣/١٢٧ ، جوهرة الكلام (ص ١٥١) .

(٢) أدعج العينين : شدّة في سواد العينين مع سعتهما .

(٣) ششن الكفين : هو الميل الى الغلظة .

(٤) القصير المتردّد : هو المتناهي في القصر .

(٥) الممغط : هو المتناهي في الطول .

(٦) مآثر الكبراء في تاريخ سامراء ٢٠/٣ .

(٧) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام (ص ١٥١) .

ربنا وعافنا من شر كل سوء ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ،
ومن شر ما سكن في الليل والنهار ، ومن شر كل سوء ، ومن شر كل ذي شر يا
رب العالمين ، وإله المرسلين ، صل على محمد وآله أجمعين ، وخصّ محمداً وآله
بأتم ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، بسم الله وبالله أو من
وبالله أعوذ ، وبالله أعتصم ، وبالله أستجير ، وبعزة الله ومنعته أمتنع من
شياطين الانس والجن ، ومن رجلهم وخيلهم وركضهم ، وعطفهم وكيدهم
وشرهم وشر ما يأتون به تحت الليل وتحت النهار من البعد والقرب ، ومن شر
الحاضر والغائب ، والشاهد والزائر أحياء وأمواتاً . . . ومن شر العامة
والخاصة ، ومن شر نفسي ووسوستها ، ومن شر الدناهش^(١) والحس واللمس ،
واللبس ، ومن عين الجن والإنس .

وبالاسم الذي اهتز له عرش بلقيس أعيد ديني ونفسي ، وجميع ما تحوط
به عنايتي من شر كل صورة وخيال أو بياض أو سواد، أو تمثال أو معاهد أو غير
معاهد ممن سكن الهواء والسحاب والظلمات والنور والظل والحُرور^(٢) والبرد ،
والبحور والسهل والوعور والخراب ، والعمران والآكام والآجام^(٣) والمفاوض ،
والكنائس والنواويس^(٤) والفلوات والجبانات ، من الصادرين ممن يبدو بالليل
وينتشر بالنهار ، وبالعشي والأبكار ، والغدو والآصال ، والمريبين والأسامرة
والأفاترة والفراعنة ، والأبالسة ، ومن جنودهم وأزواجهم وعشائهم ،
وقبائلهم ، ومن همزهم ولمزهم ونفثهم ، ووقاعهم ، وأخذهم ، وسحرهم ،
وضربهم وعبثهم ، ولمحهم ، واحتياهم ومن شر كل ذي شر من السحرة
والغيلان وأم الصبيان وما ولدوا . . . ومن شر كل ذي شر داخل وخارج ،

(١) الدناهش: نوع من أنواع الجن، جاء ذلك في

مجمع البحرين.

(٢) الحرور بالفتح الريح الحارة .

(٣) مواضع القصب .

(٤) مقبرة النصارى .

وعارض ومتعرّض ، وساكن ومتحرّك ، وضربان عرق ، وصداع شقيقة وأم
ملدم والحمى ، والمثلثة والربع والغب ، والنافضة والصالبة والداخلة والخارجة ،
ومن شرّ كلّ دابة أنت آخذ بناصيتها ، أنك على صراط مستقيم ، اللهم صلّ
على محمد وآل محمد وسلّم كثيراً . . . » .

لقد كان الامام الجواد عليه السلام يغذّي وليده العظيم بهذا الدعاء
الشريف ليستقبل الحياة وهو على ثقة واطمئنان من أن القوة المدبرة لهذا الكون ،
والحاكمة فيه إنّما هو الله تعالى صانع الحياة ، وخالق كل شيء ، وغيره سراب لا
حول له ولا قوة .

لقد غرس الامام الجواد عليه السلام في نفس وليده الإيمان المطلق
بقدرات الله تعالى ، فالالتجاء إنّما يكون إليه ، فهو الذي يدفع الضراء
والبأساء .

نشأته :

نشأ الامام الهادي عليه السلام في أسرة تميّزت عن الناس بسلوكها المشرق
وآدابها الرائعة ، وفضائلها النيرة ، فكان الصغير منهم يوقرّ الكبير ، والكبير
يحترم الصغير ، وقد روى المؤرّخون ألواناً رائعة تدعو الى الاعتزاز والفخر ، فقد
رووا أنّ الامام الحسين عليه السلام ما تكلم بين يدي أخيه الامام الحسن عليه
السلام إجلالاً وإكباراً له ، ورووا أن الامام زين العابدين عليه السلام ما أكل
مع أمّه أو مربيته خوفاً من أن يكون قد سبق نظرها الى بعض الطعام الذي
يتناوله ، فيكون بذلك عاقاً لها ، فأى آداب في الدنيا تضارع هذه الآداب التي
تضارع آداب الأنبياء وسمو سلوكهم وعلو أخلاقهم .

لقد نشأ الامام الهادي في ظلال أبيه الجواد الذي كان انموذجاً لكل ما يعتزّ
به الانسان من الفضائل والمآثر ، وقد أفرغ عليه أشعة من روحه ، فلم يبق
فضيلة الاّ غرسها في نفس وليده ، وكان يشيد به - دوماً - ويبيدي إعجابه بمواهبه

وذكائه ، وقد روى المؤرخون أنه لما أراد الشخوص الى العراق أجلسه في حجره -
وكان عمره آنذاك ست سنين - فقال له :

« ما الذي تحب أن يهدي إليك من طرائف العراق ؟ .. » .

فتبسّم الهادي وقال :

« سيف كأنه شعلة .. » .

والتفت الامام الجواد الى ولده موسى فقال له :

« وأنت ما تحب أن تشتهي ؟ .. » .

فقال موسى : « فراش بيت .. » .

ولم يكتم الامام إعجابه بولده الهادي فراح يخاطبه :

« أشبهني أبو الحسن .. » .

لقد سرّ بتمنيّ ولده الذي ينمّ عن شجاعته وبسالته ، وهذه سمته وسمة
آبائه .

نبوغه المبكر :

وملك الامام الهادي عليه السلام في طفولته المبكرة من الذكاء والنبوغ ما
يذهل الفكر ويبهز الألباب ، فكان يملك ذاكرة قوية وذكاءً مفرطاً وفطنةً بالغة فقد
ذكر الرواة بوادر كثيرة من ذكائه كان منها أن المعتصم بعدما اغتال الامام الجواد
عليه السلام عهد الى عمر بن الفرج أن يشخص الى يثرب ليختار معلماً لأبي
الحسن الهادي البالغ من العمر آنذاك ست سنين وأشهرًا ، وقد عهد إليه أن
يكون المعلم معروفاً بالنصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام ليغذّيه
بيغضهم ، ولما انتهى عمر الى يثرب التقى بالوالي وعرفه بمهمّته ، فأرشده الوالي
وغيره الى الجنيد ، وكان شديد البغض للعلويين فأرسل خلفه وعرفه بالأمر

فاستجاب له ، وعين له راتباً شهرياً ، وعهد إليه أن يمنع الشيعة من زيارته ، والاتصال به ، وقام الجنيدي بتعليم الامام الا انه قد ذهب لما يراه من حدة ذكائه ، فقد التقى محمد بن جعفر بالجنيدي فقال له :

« ما حال هذا الصبي - يعني الامام الهادي - الذي تؤدبه؟ .. » . فأنكر الجنيدي ذلك وراح يقول :

« أتقول : هذا الصبي؟! ولا تقول هذا الشيخ أشدك بالله هل تعرف بالمدينة من هو أعرف مني بالأدب والعلم؟ .. » .

« لا .. » .

إني والله لأذكر الحرف في الأدب ، وأظنّ أنّي قد بالغت فيه ، ثم انه يملي أبواباً أستفيده منه ، فيظنّ الناس أنّي أعلمه ، وأنا والله أتعلّم منه . . . » .

وانطوت أيام فالتقى محمد بن جعفر مرة أخرى بالجنيدي ، فقال له :

« ما حال هذا الصبي ؟ . » .

فأنكر عليه الجنيدي ذلك وقال :

« دع عنك هذا القول ، والله تعالى لهو خير أهل الأرض ، وأفضل من برأه الله تعالى ، وأنه لربما همّ بدخول الحجرة ، فأقول له : حتى تقرأ سورة ، فيقول : أي سورة تريد أن أقرأها؟ فاذكر له السور الطوال ، ما لم يبلغ إليها ، فيسرع بقراءتها بما لم أسمع أصحّ منها ، وكان يقرأها بصوت أطيب من مزامير داوود، وأنه حافظ القرآن من أوله الى آخره ، ويعلم تأويله وتنزيله . . . » .

وأضاف الجنيدي يقول : هذا صبيّ صغير نشأ بالمدينة بين الجدران السود

فمن أين علم هذا العلم الكبير ، يا سبحان الله !!

ثم انه نزع عن نفسه النصب لأهل البيت عليهم السلام ودان بالولاء

لهم ، واعتقد بالامامة^(١) .

ومن الطبيعي أنه لا تعليل لهذه الظاهرة إلا القول بما تذهب إليه الشيعة من أن الله أمدّ أئمة أهل البيت بالعلم والحكمة وآتاهم من الفضل ما لم يؤت أحداً من العالمين من غير فرق بين الصغير والكبير منهم .

هيئته ووقاره :

أمّا هيبة الامام الهادي عليه السلام فكانت تعنولها الجباه ، فقد ورث من آبائه هيئتهم ووقارهم ، وكانت تبدو عليه سيماء الأنبياء ، وبهاء الأوصياء ، وما لقيه أحد من خصومه أو شيعته إلا هابه ووقره ، وقد تحدّث عن مدى هيئته محمد بن الحسن الأشتر العلوي قال : كنت مع أبي على باب المتوكل في جمع من الناس ما بين طالبيّ وعبّاسيّ وجعفريّ فينبينا نحن وقوف إذ جاء أبو الحسن ، فترجّل الناس كلّهم إجلالاً وإكباراً له ، حتى دخل القصر ، وانبرى بعضهم فأنكر هذا التكريم للإمام وقال :

« لمن نترجّل لهذا الغلام ؟ ما هو بأشرفنا ، ولا بأكبرنا سنّاً ، والله لا نترجّل له إذا خرج . . . » .

فردّ عليه أبو هاشم الجعفري وقال :

« والله لتترجّلن له صغاراً وذلة . . » .

وخرج الامام عليه السلام فعلت أصوات التكبير والتهليل ، وقام الناس بأسرهم تعظيماً له ، فالتفت أبو هاشم الى القوم قائلاً :

« أليس زعمتم أنكم لا تترجّلون له ؟ . . » .

فلم يملكوا إعجابهم بالامام وراحوا يقولون :

(١) مآثر الكبراء ذي تاريخ سامراء ٣/٩٥-٩٦ .

« والله ما ملكنا أنفسنا حتى ترجلنا . . » (١) .

لقد كانت هيئته تملأ القلوب إكباراً وتعظيماً ، ولم تكن هيئته ناشئة عن ملك أو سلطان وإنما كانت ناشئة من طاعة الله وزهده في الدنيا وتحرجه في الدين كأعظم ما يكون التحرج ، فقد خرج من ذلّ معصية الله الى عزّ طاعته وقد بلغ من عظيم هيبة الناس له أنه كان إذا دخل على المتوكّل لا يبقى أحد في القصر إلا قام بخدماته ، وكانوا يتسابقون الى رفع الستائر ، وفتح الأبواب ولا يكلفونه بشيء من ذلك (٢) .

تعظيم العلويين له :

وأجمع السادة العلويون على تعظيم الامام الهادي عليه السلام والاعتراف له بالزعامة والفضل ، وكان من بينهم عمّ أبيه زيد بن الامام موسى بن جعفر عليه السلام وكان شيخاً كبيراً ، وقد كلّف عمر بن الفرج وكان بواباً للإمام على أن يستأذن له ليتشرّف بمقابلته ، وكلم الامام عليه السلام في شأنه فأذن له ، ودخل على الامام وكان في صدر المجلس فجلس زيد بين يديه تكريماً وتعظيماً ، واعترافاً له بالامامة ، وفي اليوم الثاني تشرّف زيد بالدخول الى مجلس الامام ، ولم يكن عليه السلام حاضراً فتصدّر زيد في المجلس ، وأقبل الامام فلما رآه زيد وثب من مكانه وأجلسه فيه ، وجلس بين يديه متأدّباً مع صغر سنّ الامام وكبر زيد (٣) . لقد اعترف بإمامته ولزوم طاعته كما هو شأن القائلين بإمامته .

صلات الكتابيين للإمام :

ولم يقتصر تعظيم الامام وتقديسه على المسلمين ، وإنما سرى الى غيرهم من الكتابيين ، فقد آمنوا بروحانيته ، وعظيم مكانته عند الله ، وكانوا إذا

(١) البحار ١٣/١٣١ ، أعيان الشيعة ٤/٢ق/٢٧٤ - ٢٧٥

(٢) البحار ١٣/١٢٩ .

(٣) مآثر الكبراء ٣/٩٤ .

تعرّضوا لمهمّة حملوا إليه الهدايا وتوسّلوا به ليفرّج عنهم مهمّاتهم ، وكان من بينهم ما حدّث به هبة الله بن أبي منصور الموصلبي قال :

ان يوسف بن يعقوب المسيحي كانت له صلة مع أبيه ، وقد نزل ضيفاً عنده فسأله عن شأن قدومه الى بغداد ؟ فقال له : قد دعيت الى المتوكل ولا أدري ما يراد مني ، الّا أنّي اشتريت نفسي بمائة دينار قد حملتها لعلي بن محمد بن الرضا عليه السلام فبارك له والدي ، ثمّ أنّه غادر بغداد متوجّهاً الى سر من رأى ، فمكث فيها أياماً ، ثمّ رجع مستبشراً فرحاً ، فسأله أبي عمّا لقي في سفره ؟ فقال : صرت الى سر من رأى ، ولم أكن قد دخلتها من ذي قبل ، وأحببت أن أوصل المائة دينار الى ابن الرضا قبل أن أصل الى المتوكل ، فسألت عنه ، فقيل لي : ان المتوكلّ منعه من الركوب وأنّه ملازم لداره ، فخفت من الوصول إليه ، وحاذرت من السؤال عنه ، ووقع في ذهني أن أركب دابتي ، وأخرج الى البلد لعلّي أقف على معرفته من غير سؤال ، وفعلت ذلك فبينما أنا أحترق الشوارع والأسواق إذ وصلت الى باب دار خطر في ذهني أنّها دار الامام ، فقلت لغلامي : سل لمن هذه الدار ؟ فبادر الغلام فسأل عن صاحبها فقيل له : أنّه ابن الرضا ، فطرق الباب فخرج غلام أسود فقصدني وقال : أنت يوسف بن يعقوب ؟ قلت : نعم ، قال إنزل فنزلت عن دابتي ، فأدخلني في الدهليز ثمّ دخل الغلام وخرج وقال لي : أين المائة دينار ؟ فناولته إياها ، فأوصلها الى الامام ، ثمّ أنّه خرج وأذن لي بالدخول فدخلت ، واذا الامام جالس وحده ، فنظر إليّ بعطف وحنان وقال :

« أما آن لك - يعني أن تهتدي - » .

قلت : يا مولاي قد بان لي من البرهان ما فيه الكفاية لمن اكتفى ، فقال له الامام :

« هيهات أنّك لا تسلم ، ولكن سيسلم ولدك ، وهو من شيعتنا ، يا يوسف ان

أقواماً يزعمون أن ولايتنا لا تنفع أمثالك ، امض فيما وافيت له ، أنك ستري ما تحبّ . . . » .

وبهر يوسف بما رآه من المعجز ، ومضى الى المتوكّل فنال جميع ما أراه .

يقول هبة الله : وتوفّي يوسف فلقيت ابنه وهو مسلم حسن الاعتقاد بأهل البيت عليهم السلام فأخبرني أن أباه قد توفّي على النصرانية وانه أسلم بعد موته ، وكان يقول : أنا بشارة مولاي^(١) .

لقد آمن الكتابيون بالامام ورأوا في حياته امتداداً لحياة الأنبياء والقديسين .

انطباعات المؤلفين عن شخصيته :

وكل من دون سيرة الامام الهادي عليه السلام رأى الكرامة والشرف والعلم والتقوى ماثلة في شخصيته الكريمة ، وقد أدلوا بإعجابهم وإكبارهم به ، وكان من بينهم :

١ - أبو الفلاح الحنبلي .

قال عبد الحي أبو الفلاح الحنبلي : « كان أبو الحسن بن علي الجواد بن الرضا ، بن الكاظم موسى بن جعفر الصادق العلوي الحسيني المعروف بالهادي فقيهاً إماماً متعبداً ، وهو أحد الأئمة الذين تعتقد غلاة الشيعة عصمتهم كالأنبياء . . . »^(٢) .

٢ - اليافعي :

قال اليافعي : « كان الامام علي الهادي متعبداً فقيهاً إماماً . . . »^(٣) .

(١) بحار الأنوار ١٣/١٣٣ .

(٢) شذرات الذهب ٢/١٢٨ - ١٢٩ .

(٣) مرآة الجنان ٢/١٦٠ .

٣ - أبو الفداء :

قال أبو الفداء : « علي التقيّ هو أحد الأئمة الاثني عشر عند الامامية وهو عليّ الزكيّ بن محمد الجواد . . . » (١) .

٤ - ابن الصباغ المالكي :

قال ابن الصباغ المالكي : قال بعض أهل العلم : « فضل أبي الحسن علي بن محمد الهادي قد ضرب على الحرة قبابه (٢) ومدّ على نجوم السماء أطنابه فما تعد منقبة الآ وإليه تحيلها ، ولا تذكر كريمة (٣) إلّا وله تفصيلها ، وجملتها ، ولا تستعظم حالة سنية الآ وتظهر عليها أدلته ، استحق ذلك بما في جوهر نفسه من كرم تفرّد بخصائصه ، ومجد حكم فيه على طبعه الكريم بحفظه من الشرب (٤) حفظ الراعي لقلايصه ، فكانت نفسه وأخلاقه مستعذبة ، وسيرته عادلة ، وخلاله فاضلة ، والمعروف بوجود وجوده عامر أهل ، جرى من الوقار والسكون والطمأنينة والعفة والنزاهة والنباهة على السيرة النبوية ، والشنشة العلوية ونفس زكية ، وهمة عالية ، لا يقاربه أحد من الأنام ، ولا يدانيه ، وطريقة خشنة مرضية لا يشاركه فيها خلق ، ولا يطمع فيها أحد » (٥) .

٥ - ابن شهر آشوب :

قال ابن شهر آشوب : « وكان أطيب الناس بهجة ، وأصدقهم لهجة وأملحهم من قريب ، وأكملهم من بعيد ، اذا صمت علتة هيبته الوقار ، واذا

(١) تاريخ أبي الفداء ٤٧/٢ .

(٢) في نسخة مخطوطة قد ضرب على المجرة قبابه .

(٣) في نسخة ولا تذكر مكرومة .

(٤) في نسخة : من الشوب .

(٥) الفصول المهمة (ص ٢٦٨) .

تكلّم سماه البهاء ، وهو من بيت الرسالة والامامة ، ومقرّ الوصية والخلافة ،
شعبة من دوحه النبوة مرتضاه ، وثمره من شجرة الرسالة مجتناه ..» (١) .

٦ - القطب الراوندي :

قال القطب الراوندي : « أما عليّ بن محمد الهادي فقد اجتمعت فيه
خصال الامامة ، وتكامل فضله وعلمه ، وخصاله الخيرة ، وكانت أخلاقه كلّها
خارقة للعادة كأخلاق آبائه ، وكان بالليل مقبلاً على القبلة لا يفتّر ساعة ، وعليه
جبة صوف وسجادة على حضير ولو ذكرنا محاسن شماله لطلال بها
الكتاب ..» (٢) .

٧ - الذهبي :

قال الذهبي : علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن زين
العابدين بن السيد الشريف العلوي الحسيني ، الفقيه أحد الاثني عشر ، وتلقبه
الإمامية بالمناري ..» (٣) .

٨ - ابن حجر :

قال ابن حجر : « كان عليّ الهادي وارث أبيه علماً وسخاءً » (٤) .

٩ - ابن عنبسة :

قال النسابة ابن عنبسة : « أما عليّ الهادي فيلقّب بالعسكري لمقامه
بسر من رأى ، وكانت تسمّى العسكر ، وأمّه أم ولد ، وكان في غاية الفضل
ونهاية النبيل ..» (٥) .

(١) المناقب ٤/٤٠١ .

(٢) الخوايخ .

(٣) تاريخ الاسلام الجزء الخامس عشر مصور .

(٤) الصواعق المحرقة .

(٥) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب (ص ١٨٨) .

١٠ - محمد بن طلحة :

قال محمد بن طلحة الشافعي : « أمّا مناقب عليّ الهادي ما حلّ في الآذان
حل حلاها بأشنانها ، واكتنفته شغفاً به اكتناف اللثالي الثمينة بأصدافها ،
وشهد لأبي الحسن علي الهادي أن نفسه موصوفة بنفائس أوصافها ، وإنها نازلة
من الدرجة النبوة في ذرى أشرافها ، وشرفات أعراقها . . » (١) .

١١ - آغا بزرك الطهراني :

قال المحقق الكبير الشيخ آغا بزرك الطهراني : « كان الامام الهادي أجلاً
اخوته ، وارث علم آبائه ، وسخائهم ، وأمّا انتقلت وانحصرت الامامة فيه
خاصة دون اخوته المذكورين لتوفر شروط الامامة فيه ، وهي العلم والعدالة
والكفاية ، وسلامة الحواس والاعضاء مما لا يؤثر في الرأي والعمل ، والنسب
القرشي العربي ، وزيادة عليها أنه من بني هاشم . . » (٢) .

١٢ - خير الدين الزركلي :

قال خير الدين الزركلي : « عليّ الملقب (بالهادي) بن محمد الجواد بن
علي الرضي بن موسى بن جعفر الحسيني الطالبي ، عاشر الأئمة الاثني عشر عند
الامامية وأحد الأتقياء الصلحاء . . » (٣) .

هذه بعض الكلمات التي أدلى بها العلماء وهي تمثل إعجابهم بشخصية
الامام كما تمثل بعض صفاته الرفيعة التي كان منها التخصّص في علوم الشريعة
الاسلامية ، فقد كان المرجع الأعلى للعالم الاسلامي فيها .

٢ - إقباله على العبادة والطاعة ، فلم ير الناس - في عصره - مثله في
عبادته وتقواه وتحرّجه في الدين .

(١) مطالب السؤل .

(٢) شجرة السبطين مخطوط .

(٣) الاعلام ١٤٠/٥ .

مَظَاهِرُ شَخْصِيَّتِهِ

وضارعت صفات الامام الهادي عليه السلام صفات آبائه التي امتازوا بها على سائر الناس فقد التقت به جميع عناصر الشرف والكرامة ، وحوى جميع الفضائل والمآثر ، وحسبه أنه من أئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً ، ونلمح - بإيجاز - الى بعض معالم شخصيته الكريمة .

إمامته :

أمّا الإمامة فإنّها لطف من ألطاف الله على عباده لا يمنحها تعالى إلا لمن اختار من عباده ممن امتحن الله قلبه للإيمان ، وزكّاه وطهره من جميع أفانين الظلم ، والأباطيل ، وقد تحدّثنا في جميع مؤلّفاتنا عن حياة الأئمة الطاهرين عليهم السلام عن الامامة ، وأطلنا البحث في بعضها ، وأوجزنا القول في البعض الآخر ، وفي هذا الكتاب نوجز القول ، ونشير الى بعض الجهات وهي :

الحاجة الى الإمامة :

أمّا الامامة فإنّها شأن من شؤون الحياة الاسلامية لا تستغني عنها ولا تستقيم بدونها ، لا لأنّها تدير الحياة الدينية فحسب ، وأنما تدير الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وتضمن للأمة استقلالها وحرّيتها وتوفّر لها الأمن والرخاء والاستقرار .

ولعلّ من أعمق الأسباب وأدقّها في الحاجة الى الامامة هو بسط القوى

الروحية ، ونشر الفضيلة والخير بين الناس ، ومحاربة النزعات الفاسدة من الأنانية والغرور والطمع والحسد وغيرها من نزعات الشذوذ والانحراف ، فجميع القوى الخيرة في العالم تبنى على الإيمان بالله تعالى فهو وحده الذي يصون العالم من ويلات الدمار وكوارث الحروب ، وهو أقوى سلاح وأمنعه في الأرض وقد اهتم الأئمة الطيبون بهذه الظاهرة بصورة إيجابية وفعالة ، فرفعوا راية الإيمان عالية خفاقة ، وجاهدوا في سبيل الله جهاداً شاقاً وعسيراً ، وقد خلفوا آثاراً مشرقة في الدعوة الى الله ، فقد حفل نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام بنفحات من نفحات الإيمان العميق بالله ، ففيه الدعوة الى التفكير في خلق هذه الكائنات التي تدعو الى حتمية الإيمان كما فيه الدعوة الى التحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات ، والتحذير من الأتصاف بالنزعات الشريرة التي تدعو الى التأخر والانحطاط ، وكذلك نجد الغذاء الروحي المشرق في الصحيفة السجادية التي هي إنجيل آل محمد صلى الله عليه وآله وهي مصدر خصب الى الإيمان ، كما أن في سائر الأدعية الماثورة عن الأئمة عليهم السلام نجد هذا الغذاء الروحي الذي يبعث على إشراق النفس وصفائها وتحريرها من آفات الجهل والغرور .

ونجد في كتب الاحتجاج الأدلة الوثيقة التي أقامها الأئمة الطاهرون على توحيد الله وتعظيمه ، وإبطال الشبه التي أقامتها الزمرة الباغية على الاسلام ، والمنكرة لله ، . . وقد أشاد الامام الهادي عليه السلام بجهاد آبائه الأئمة الطاهرين في ميادين الإيمان والدعوة الى الله في زيارته المسماة (بالجماعة) فقد جاء فيها :

« السلام على الدعاة الى الله ، والادلاء على مرضاة الله ، والمستقرين في أمر الله ، والتامين في محبة الله ، والمخلصين في توحيد الله ، والمظهرين لأمر الله . . . » .

وأضاف الامام قائلاً :

« فعظمتم جلاله - أي جلال الله - وأكبرتم شأنه ، ومجدتم كرمه ، وأدمتم

ذكره ، ووكدتم ميثاقه ، وأحكمتم عقد طاعته ، ونصحتم له في السرّ والعلانية ، ودعوتم الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبذلتم أنفسكم في مرضاته وصبرتم على ما أصابكم في جنبه ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر ، وجاهدتم في الله حقّ جهاده ، حتى أعلنتم دعوته وبَيّنتم فرائضه ، وأقمتم حدوده ، ونشرتُم شرائع أحكامه ، وسننتم سنّته وصرتُم في ذلك منه الى الرضا ، وسلّمتُم له القضاء ، وصدقتم من رسله من مضى . . . » .

وصوّرت هذه الفقرات الرائعة الدور النضالي الذي خاضه الأئمّة الطيّبون في رفع كلمة التوحيد ، والذبّ عن قيم الإيمان والإسلام ، فقد قدّموا أرواحهم قرابين خالصة لوجه الله لا يبيغون الأجر والجزاء الآ من الله .
عصمة الأئمّة :

وتعتبر عصمة الأئمّة عليهم السلام عنصراً مهماً في العقيدة الشيعية ، وقد أنكرها قوم زاعمين بعدم امكان تحققها ، وقد أثبتنا في بحوثنا عن حياة الأئمّة عليهم السلام زيف الناقدین لها ، ودلّلنا على إمكانها ووقوعها فان من يقرأ سيرة الأئمّة الطاهرين لا يخامرُه أدنى شكّ في عصمتهم ، وعدم اقترافهم لأيّ معصية عمدًا أو سهواً ، فلم ينحرف أي واحد عن الطريق القويم ، ولم يشذّ في سلوكه عن المنهج السليم ، وكانوا جميعاً متحرّجين في دينهم كأشدّ ما يكون التحرّج ، وقد حاول الطاغية المتوكل بكافة الوسائل التي يملكها أن يخدع الامام الهادي عليه السلام ، ليسلك مسلكه المنحرف ، ويدخل معه في ميادين اللهو والدعارة ، فاستعصم عليه السلام ، وامتنع كأشدّ ما يكون الامتناع ، وقد برهن بمواقفه المشرفة على عصمته وعصمة آبائه الطاهرين ، ودلّل على صحّة ما تذهب إليه الشيعة الإمامية من عصمة أئمّتهم .

علم الأئمّة :

أما علم الأئمّة فإنّه كعلم الأنبياء من دون فرق بينهما ، فكما أن علم الأنبياء والمرسلين علم إلهامي ، منحهم الله به ليقيموا الحجّة على خلقه ،

فكذلك علم الأئمة عليهم السلام .

وقد تحدّث الامام الصادق عليه السلام عن كيفية علمهم ، وما يملكونه من الكنوز العظيمة التي لا تقدّر بثمن قال عليه السلام :

« علمنا غابر ، ومزبور ، ونكت في القلوب ، ونقرّ في الأسماع ، وان عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ، ومصحف فاطمة عليها السلام ، وان عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه . . » .

وسئل عن تفسير هذه الجوانب من حديثه فأجاب عنها فقال :

« أمّا الغابر فالعلم بما يكون ، وأمّا المزبور فالعلم بما كان ، وأمّا النكت في القلوب فهو الإلهام ، والنقر في الأسماع حديث الملائكة نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم .

وأمّا الجفر الأحمر فوعاء فيه سلاح رسول الله صلّى الله عليه وآله ولن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت .

وأمّا الجفر الأبيض فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى ، وزبور داوود ، وكتب الله الأولى .

وأمّا مصحف فاطمة عليها السلام ففيه ما يكون من حادث ، وأسما كل من يملك الى أن تقوم الساعة .

وأمّا الجامعة فهي كتاب طوله سبعون ذراعاً املاء رسول الله صلّى الله عليه وآله من فلق فيه ، وخطّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده فيه - والله - جميع ما يحتاج الناس إليه الى يوم القيامة، حتى ان فيه ارش الخدش ، والجلدة ونصف الجلدة . . » (١) .

والى الجفر الذي يملكه أهل البيت عليهم السلام أشار المعري بقوله :

(١) الإرشاد (ص ٣٠٧ - ٣٠٨) أصول الكافي .

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك جفر
ومرآة المنجم وهي صغرى أرتة كل عامرة وقفر^(١)

ويدلل على هذه الحقيقة ما أثر عنهم من أنواع العلوم والمعارف فالامام
أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله قد فتق أبواباً
من العلوم بلغت - فيما يقول العقاد - إثنين وثلاثين علماً ، وهو الذي أخبر عن
التقدّم التكنولوجي والتطور العلمي الذي يظهر على مسرح الحياة ، فقد قال عليه
السلام : يأتي زمان على الناس يرى من في المشرق من في المغرب ، ومن في
المغرب يرى من في المشرق ، وقال عليه السلام : يأتي زمان على الناس يسمع
من في المشرق من في المغرب ، ومن في المغرب يسمع من في المشرق ، وتحقق
ذلك بظهور جهاز التلفزيون والراديو ، وقال عليه السلام : يأتي زمان على
الناس يسير فيه الحديد ، وتحقق ذلك بظهور القطار والسيارات وغيرها ، وكثير
من أمثال هذه الأمور التي أخبر عنها الامام^(٢) وهو الذي قال : سلوني عن كتاب
الله ، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبليلاً نزلت أم بنهار ، أم في سهل نزلت أم
في جبل^(٣) .

ومن أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين فجروا ينابيع العلم والحكمة في
الأرض ، معجزة العلم ، والفكر في الأرض ، الإمام الصادق عليه السلام فقد
أخبر عن تلوث الفضاء والبحار ، وما ينجم عنهما من الاضرار البالغة التي
تصيب الانسان ، كما أخبر عن وجود الحياة في بعض الكواكب ، وهو الذي
وضع قواعد التشريح ، وخصوصية أعضاء الانسان ، وما فيها من العجائب ،
وقد تعرض لذلك كتابه المسمى بتوحيد المفضل ، كما كان المؤسس الأول
لعلوم الفيزياء والكيمياء ، فقد وضع أصولها على يد تلميذه العظيم جابر بن

(١) حياة الحيوان : مادة جفر .

(٢) حياة الامام محمد الجواد (ص ٦٩) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/٣٥ .

حيان مفخرة الشرق ، ورائد التطور البشري في الأرض

وكان الامام الهادي في سنّ لا يتجاوز السبع سنين وتوفّي والده الامام الجواد عليه السلام ، وقد ظهر منه من العلوم والمعارف ، وهو بهذا السنّ ما يذهل الافكار ، فقد امتحنه كبار العلماء بأدقّ المسائل الفقهية والفلسفية والكلامية فأجاب عنها جواب العالم الخبير المتخصّص ، فدان العلماء بإمامته ، وفي ذلك دليل واضح على أن الله تعالى منح أئمة أهل البيت بالعلم والحكمة ، وآتاهم من الفضل ما لم يؤت أحداً من العالمين .

النصّ على إمامته :

واهتمّ ثقات الشيعة في شأن الامامة لأنها عندهم أصل من أصول الاسلام فكانوا يسألون الامام الحاضر عن الإمام من بعده ليرجعوا إليه ، ويدينوا بولائه وطاعته ، وقد روى النصّ على إمامة الهادي عليه السلام من أبيه الامام الجواد عليه السلام جماعة من خيار المسلمين وثقاتهم ، وفيما يلي بعضهم :

١ - إسماعيل بن مهران :

وخفّ إسماعيل بن مهران الى الامام الجواد عليه السلام حينما شخص الى بغداد في سفرته الأولى فقال له :

« جعلت فداك أتّي أخاف عليك في هذا الوجه فالي من الأمر من بعدك ؟ » .

فقاله الامام ببسمات فيّاضة بالبشر ، وقال له :

« ليس كما ظننت في هذه السنة . . » .

(١) حياة الامام محمد الجواد (ص ٧٠) .

ودفع عنه ما كان يخشاه على الامام من السلطة العباسية ، ولما استدعاه
المعتصم انبرى اسماعيل ليتعرّف على الامام من بعده فقال له :
« أنت خارج فالى من هذا الأمر من بعدك ؟ .. » .

وبكى الامام عليه السلام وتوجس خيفة في سفره ، وظنّ أن لا رجعة له
الى يثرب ، فعين عليه السلام له الامام من بعده وهو ولده الهادي قائلاً :
« عند هذه يخاف عليّ ، الأمر من بعدي الى عليّ ابني .. » (١) .

وتحقّق ما تنبأ به الامام ، فقد اغتاله المعتصم العباسي ، وكان الامام
في غضارة الشباب ونضارة العمر .

٢ - الخירاني :

ومن رواية النصّ على إمامة الهادي عليه السلام الخيراني ، فقد روى
ذلك عن أبيه ، وسنذكر نصّ حديثه في البحوث الآتية .

٣ - الصغر بن أبي دلف :

وروى الصغر بن أبي دلف النصّ على إمامة الهادي من أبيه الجواد ،
قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا يقول :

« إن الامام بعدي إبني علي أمره أمري ، وقوله قولي ، وطاعته طاعتي
والامامة بعده في ابنه الحسن .. » (٢) .

٤ - بعض الشيعة :

وأدلى الامام الجواد بالنصّ على إمامة ولده الهادي الى بعض شيعته ،
وذلك حينما شخص الى بغداد فقال :

(١) الإرشاد (ص ٣٦٩) أصول الكافي ١/٣٢٣ .

(٢) البحار ١٣/١٢٧ الاكمال للصدوق .

« إنِّي ماض ، والأمر - أي الامامة - صائر الى ابني عليّ ، وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي . . » (١) .

وقد أكد الامام الجواد في حديثه على لزوم طاعة ولده ، وان له من الحق على شيعته ما كان له بالذات بعد أبيه .

٥ - أحمد بن أبي خالد :

ونقل أحمد بن أبي خالد النص من الامام الجواد عليه السلام على إمامة ولده قال : ان أبا جعفر أوصى الى ابنه الهادي عليه السلام وسنذكر بنود الوصية في البحوث الآتية (٢) .

هؤلاء بعض نقلة النص على إمامة الهادي عليه السلام وقد تواترت النصوص بذلك .

ومن الجدير بالذكر ان الشيعة تذهب الى أن تعيين الامام لم يكن خاضعاً للعواطف والأهواء ، وإنما أمره بيد الله تعالى فهو الذي يختار ويعين ، والنبويّ صلّى الله عليه وآله يبلغ ما أمر به ، وقد أعلن الرسول صلّى الله عليه وآله ان خلفاءه إثنا عشر خليفة ، وقد تواترت النصوص بذلك (٣) ، والامام الهادي عليه السلام أحدهم .

كرمه :

وظاهرة أخرى من صفات الامام الهادي عليه السلام وهي الكرم والسخاء فقد كان من أبسط الناس كفاً ، وأنداهم يداً ، وكان على غرار آبائه الذين يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً ، وكانوا يطعمون الطعام

(١) أعيان الشيعة ٤ / ق ٢٠٦ / ٢٠٦ .

(٢) أصول الكافي .

(٣) صحيح مسلم كتاب الامارة مسند الامام أحمد بن حنبل ٥ / ٨٩ ، صحيح البخاري ١٦٤ .

حتى لا يبقى لأهلهم طعاماً ، ويكسوهم حتى لا يبقى لهم كسوة ، وقد كان الامام الصادق عليه السلام يطعم الناس ويكسوهم حتى لا يبقى لعياله شيء^(١) .

وقد روى المؤرخون بوادر كثيرة من برّ الامام الهادي عليه السلام واحسانه الى الفقراء والبائسين ، نقتصر منها على ما يلي :

١ - وفد جماعة من اعلام الشيعة على الامام الهادي عليه السلام وهم أبو عمر وعثمان بن سعيد ، وأحمد بن اسحاق الأشعري ، وعلي بن جعفر الحمداني ، فشكا إليه أحمد بن اسحاق ديناً عليه ، فالتفت عليه السلام الى وكيله عمرو ، وقال له : ادفع له ثلاثين ألف دينار ، والى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار ، كما أعطى وكيله مثل هذا المبلغ ، وعلق ابن شهر آشوب على هذه المكرمة العلوية بقوله : « فهذه معجزة لا يقدر عليها إلا الملوك ، وما سمعنا بمثل هذا العطاء »^(٢) لقد وقر عليه السلام لهؤلاء الاعلام عيشاً رغيداً ينعمون به ، ودفع عنهم ضائقة الفقر ، ومن الطبيعي ان خير العطاء ما أبقى نعمة .

٢ - ومن بوادر كرمه ما رواه اسحاق الجلاب قال : اشترت لأبي الحسن الهادي عليه السلام غنماً كثيرة يوم التروية ، فقسمها عليه السلام في أقاربه^(٣) .

٣ - ومن كرمه ما رواه المؤرخون أنه كان قد خرج من سامراء الى قرية له ، فقصده رجل من الأعراب ، فلم يجده في منزله فأخبره أهله بأنه ذهب

(١) صفة الصفوة ٢/٩٨ .

(٢) المناقب .

(٣) بحار الأنوار .

الى ضيعة له ، فقصده ، ولما مثل عنده سأله الامام عن حاجته ، فقال بنبرات خافتة :

«يا ابن رسول الله ، أنا رجل من أعراب الكوفة المتمسكين بولاية جدك عليّ بن أبي طالب ، وقد ركبني فادح - أي دين - أثقلني حمله ، ولم أر من أقصده سواك . . . » .

فرق الامام لحاله ، وأكبر ما توسل به ، وكان عليه السلام في ضائقة ، لا يجد ما يسعفه به ، فكتب عليه السلام ورقة بخطه جاء فيها أن للأعرابي ديناً عليه ، وعيّن مقداره ، وقال له : خذ هذه الورقة ، فاذا وصلت الى سر من رأى ، وحضر عندي جماعة فطالبي بالدين الذي في الورقة ، وأغلظ عليّ في ترك إيفائك ، ولا تخالفني فيما أقول لك : فأخذ الأعرابي الورقة ، ولما قفل الامام الى سر من رأى حضر عنده جماعة كان فيها من عيون السلطة ومباحث الأمن ، فجاء الأعرابي فأبرز الورقة ، وطالب الامام بتسديد دينه الذي في الورقة فجعل الامام عليه السلام يعتذر إليه ، والاعرابي قد أغلظ له في القول ، ولما تفرّق المجلس بادر رجال الأمن الى المتوكل فأخبروه بالأمر فأمر بحمل ثلاثين ألف درهم الى الامام فحملت له ، ولما جاء الأعرابي قال له الامام :

« خذ هذا المال فاقض به دينك ، وانفق الباقي على عيالك . . . » .

وأكبر الاعرابي ذلك ، وقال للامام : ان ديني يقصر على ثلث هذا المبلغ . . . ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء^(١) وأخذ المال وسافر الى أهله وهو مسرور القلب ناعم البال ، وهو يدعو للإمام الذي أنقذه من حياة البؤس والحرمان .

(١) الاتحاف بحبّ الاشراف (ص ٦٧ - ٦٨) شرح شافية أبي فراس ٢ / ورقة ١٦٧ جوهرة الكلام (ص ١٥١) .

٤ - ومما ذكره الرواة من برّه وكرمه ان أبا هاشم الجعفري أصابته ضائقة شديدة ، فصار الى الامام عليه السلام ولما نظر الامام الى ما فيه من الفاقة والبؤس أراد أن يخفف عما هو فيه من المحنة فقال له :

« يا أبا هاشم أي نعم الله عليك تريد أن تؤدّي شكرها؟ رزقك الله الايمان فحرم جسدك على النار ، ورزقك العافية فأعانتك على الطاعة ورزقك القنوع فصانك عن التبذل . . » .

ان هذه النعم التي أدلى بها الامام من أعظم نعم الله لمن يتمتع بها ثم ان الامام عليه السلام أمر له بمائة دينار^(١) .

زهده :

لقد عزف الامام الهادي عليه السلام عن جميع مباحج الحياة ومتعتها وعاش عيشة زاهدة الى أقصى حدّ ، لقد واظب على العبادة والورع والزهد ، فلم يحفل بأي مظهر من مظاهر الحياة ، وآثر طاعة الله على كل شيء ، وقد كان منزله في يثرب وسر من رأى خالياً من كل أثاث ، فقد داهمت منزله شرطة المتوكل ففتشوه تفتيشاً دقيقاً فلم يجدوا فيه شيئاً من رغائب الحياة ، وكذلك لما فتّشت الشرطة داره في سر من رأى ، فقد وجدوا الامام في بيت مغلق ، وعليه مدرعة من شعر وهو جالس على الرمل والحصى ، ليس بينه وبين الأرض فراش ، قال السبط بن الجوزي : إن علي الهادي لم يكن عنده ميل الى الدنيا ، وكان ملازماً للمسجد فلما فتّشوا داره لم يجدوا فيه الا مصاحف وأدعية وكتب علم . . لقد عاش على ضوء الحياة الكريمة التي عاشها آباؤه من الزهد في الدنيا ، وعدم الاكتراث بأي شأن من شؤونها المادية سوى ما يتّصل بالحق ، فقد كان جدّه الأعلى الامام أمير المؤمنين عليه السلام من

(١) أمالي الصدوق، البحار .

أزهد الناس في الدنيا ، ففي أيام خلافته وحكمه لم يتخذ من غنائمها وفراً ، فكان نعاله من ليف ويخصفه بيده ، وكان حزامه من ليف ، وقد شدّ حجر المجاعة على بطنه ، وكانت زوجته سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها قد رفضت الدنيا فعاشت في بيت ضيق لا أثار فيه ، وان يديها قد مجلتا من الرحي . . على هذا الخطّ سار الأئمّة الطاهرون ، فقد طلقوا الدنيا واعرضوا عن زينتها ، واتصلوا بالله تعالى وعملوا كل ما يقربهم إليه زلفى .

عمله في مزرعة له :

وتجرّد الامام العظيم من كلّ نزعة مادية ، فلم يعرف الأنانية ، ولم يخضع لأية رغبة من رغائب الهوى ، ويقول الرواة : إنّه كان يعمل بيده في أرض له لإعاشة عياله ، فقد روى عليّ بن حمزة قال : رأيت أبا الحسن الثالث يعمل في أرض وقد استنقعت قدماه من العرق فقلت له :

« جعلت فداك أين الرجال ؟ . . » .

فقال الامام :

« يا علي قد عمل بالمسحاة من هو خير منّي ومن أبي في أرضه . . » .

« من هو ؟ . . » .

« رسول الله صلّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وآبائي كلّهم عملوا بأيديهم ، وهو من عمل النبيّين والمرسلين والأوصياء الصالحين . . »^(١) .

لقد كان العمل شعار الأنبياء ، فلم يبعث الله نبياً الاّ كان عاملاً وقد استدللنا بهذا الحديث الشريف في كتابنا « العمل وحقوق العامل في الاسلام » على أهمية العمل وشرفه ، وإنّه من سيرة الأنبياء الصالحين .

(١) من لا يحضره الفقيه .

إرشاد الضالين :

واهتمّ الامام الهادي عليه السلام اهتماماً بالغاً بإرشاد الضالين والمنحرفين عن الحق وهدايتهم الى سواء السبيل ، وكان من بين من أرشدهم الامام وهداهم أبو الحسن البصري المعروف بالملاح ، فقد كان واقفياً يقتصر على إمامة الامام موسى بن جعفر ولا يعترف بإمامة غيره من أبنائه الطاهرين ، فالتقى به الامام الهادي فقال له :

« الى متى هذه النومّة ؟ أما آن لك أن تتبّه منها . . . » .

وأثرت هذه الكلمة في نفسه فأب الى الحق ، والرشاد^(١) .

نهيه عن مجالسة الصوفيين :

وحذّر الامام الهادي عليه السلام أصحابه وسائر المسلمين من الاتصال بالصوفيين والاختلاط بهم لأنهم مصدر غواية وضلال الى الناس ، فهم يظهرون التقشّف والزهد لاغراء البسطاء والسذج وغوايتهم .

لقد شدّد الامام الهادي في التحذير من الاختلاط بهم فقد روى الحسين ابن أبي الخطاب قال : كنت مع أبي الحسن الهادي عليه السلام في مسجد النبيّ صلّى الله عليه وآله فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري ، وكان بليغاً وله منزلة مرموقة عند الامام عليه السلام وبينما نحن وقوف اذ دخل جماعة من الصوفية المسجد فجلسوا في جانب منه ، وأخذوا بالتهليل ، فالتفت الامام الى أصحابه فقال لهم :

« لا تلتفتوا الى هؤلاء الخدّاعين فإنّهم حلفاء الشياطين ، ومخرّبو قواعد الدين ، يتزهدون لإراحة الأجسام ، ويتهجّدون لصيد الأنعام ،

(١) من لا يحضره الفقيه .

يتجرعون عمراً حتى يديخوا للايكاف^(١) حمراً، لا يهللون الا لغرور الناس ، ولا يقللون الغذاء الا لملأ العساس واختلاف قلب الافناس^(٢) يتكّلون الناس باملاتهم في الحبّ ، ويطرحونهم بأداليلهم في الجب ، أورادهم الرقص ، والتصدية ، وأذكارهم الترنّم والتغنية ، فلا يتبعهم الا السفهاء ، ولا يعتقد بهم الا الحمقاء ، فمن ذهب الى زيارة أحدهم حياً أو ميتاً ، فكأنما ذهب الى زيارة الشيطان وعبادة الأوثان ، ومن أعان واحداً منهم فكأنما أعان معاوية ويزيد وأبا سفيان . . . » .

« وان كان معترفاً بحقوقكم ؟ . . . » .

فزجره الامام وصاح به قائلاً :

« دع ذا عنك ، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا ، أما تدري أنّهم أحسّ طوائف الصوفية ، والصوفية كلهم مخالفونا ، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا ، وإن هم الا نصارى أو مجوس هذه الأمة ، أولئك الذين يجتهدون في إطفاء نور الله بأفواههم ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون . . . »^(٣) .

ودلّل الامام على زيف الصوفيين ، وأنهم لا نصيب لهم من الدين ، وذكر من صفاتهم ما يلي :

١ - أنّهم حلفاء الشياطين في اغرائهم وخداعهم الى الناس .

٢ - أنّهم حملوا معول الهدم على الاسلام في سلوكهم المنحرف الذي

أضافوه الى الدين وهو منه بريء .

٣ - ان زهدهم في الدنيا لم يكن حقيقياً ، وأنما لإراحة أبدانهم .

(١) يديخوا : أي يذلوها ويقهروها .

(٢) الافناس : الغيّي والأحمق .

(٣) روضات الجنّات ٣/١٣٤ .

٤ - ان تهجدهم في الليل واطهارهم للنسك لم يكن الله واخلاصاً في طاعته ، وانما كان لصيد الناس واستلاب أموالهم .

٥ - ان أورادهم ليست أوراد عبادة وانما هي رقص لأنها لم تنبعث عن قلوب مؤمنة بالله تعالى وكذلك أذكارهم فانها غناء لأنها خالية من الاخلاص في الطاعة لله .

٦ - ان الذي يملك عقله واختياره لا يتبعهم ، وانما يتبعهم الحمقاء والسفهاء الذين لا رشد لهم .

تكريمه للعلماء :

وكان الامام الهادي عليه السلام يكرم رجال الفكر والعلم ويحتفي بهم ويقدمهم على بقية الناس لأنهم مصدر النور في الأرض ، وكان من بين من كرمهم أحد علماء الشيعة وفقهائهم ، وكان قد بلغه عنه انه حاجج ناصبياً فأفحمه وتغلب عليه فسر الامام عليه السلام بذلك ، ووفد العالم على الامام فقابله بحفاوة وتكريم ، وكان مجلسه مكتظاً بالعلويين والعباسيين ، فأجلسه الامام على دست ، وأقبل عليه يحدثه ، ويسأل عن حاله سؤالاً حفيماً ، وشق ذلك على حضار مجلسه من الهاشميين فالتفتوا الى الامام ، وقالوا له :

« كيف تقدّمه على سادات بني هاشم ؟ .. » .

فقال لهم الامام :

« إياكم أن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ ألم تر الى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴾ (١) أترضون بكتاب الله عزّ وجلّ حكماً ؟ .. » .

(١) سورة آل عمران آية ٢٢ .

فقالوا جميعاً :

«بل يا ابن رسول الله . . .» .

وأخذ الامام يقيم الدليل على ما ذهب إليه قائلاً :

أليس الله قال : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم الى قوله : والذين أوتوا العلم درجات﴾^(١) فلم يرض للعالم المؤمن الا أن يرفع على المؤمن غير العالم ، كما لم يرض للمؤمن الا أن يرفع على من ليس بمؤمن ، أخبروني عنه ، قال تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ هل قال : يرفع الله الذين أوتوا شرف النسب درجات ، أوليس قال الله : ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾^(٢) .

فكيف تنكرون رفاعي لهذا لما رفعه الله ، ان كسر هذا لفلان الناصب بحجج الله التي علمه إياها لأشرف من كل شرف في النسب . . .» .

وسكت الحاضرون ، فقد ردّ عليهم الامام ببالح حجّته ، الا ان بعض العباسيين انبرى قائلاً :

«يا ابن رسول الله لقد شرفت هذا علينا ، وقصرتنا عنم ليس له نسب كنسبنا ، وما زال منذ أول الاسلام يقدم الأفضل في الشرف على من دونه . . .» .

وهذا منطوق رخيص فان الاسلام لا يخضع بموازينه الا الى القيم الصحيحة التي لم يعها هذا العباسي ، وقد ردّ عليه الامام عليه السلام قائلاً :

(١) سورة المجادلة آية ١٠ .

(٢) سورة الزمر آية ٨ .

« سبحان الله : أليس العباس بايع أبا بكر وهو تيمي ، والعباس هاشمي ، أوليس عبد الله بن عباس كان يخدم عمر بن الخطاب ، وهو هاشمي أبو الخلفاء ، وعمر عدوي ، وما بال عمر أدخل البعداء من قریش في الشورى ، ولم يدخل العباس؟؟ فان كان رفعاً لمن ليس بهاشمي على هاشمي منكرًا ، فأنكر على العباس بيعته لأبي بكر وعلى عبد الله بن عباس بخدمته لعمر ، فان كان ذلك جائزاً فهذا جائز . . » .

فافحم العباسي ، والقم حجراً^(١) فانه لما كان لم يع الأدلة المدعمة من الكتاب العزيز عرض له بيعة جدّه العباس لأبي بكر وخدمة عبد الله بن عباس لعمر مع أن الخليفتين لا يساويان العباس وابنه في النسب .

عبادته :

ولا تقرأ سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام إلا تجد البارز في سيرتهم الاقبال على الله والانابة إليه واحياء الليالي بالعبادة ومناجاة الله وتلاوة كتابه ، ويقول أبو فراس الحمداني في الموازنة والمقايسة بينهم وبين العباسيين :

تمسي التلاوة في أبياتهم سحراً وفي بيوتكم الأوتار والنغم

أما الامام الهادي عليه السلام فلم يرَ الناس في عصره مثله في عبادته وتقواه وشدة تحرجه في الدين ، فلم يترك نافلة من النوافل إلا أتى بها ، وكان يقرأ في الركعة الثالثة من نافلة المغرب سورة الحمد وأول سورة الحديد الى قوله تعالى : ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ وفي الركعة الرابعة سورة الحمد وآخر سورة الحجرات^(٢) كما نسبت إليه صلاة نافلة كان يصلي فيها ركعتين

(١) الاحتجاج للطبرسي .

(٢) وسائل الشيعة ٤ / ٧٥٠ .

يقرأ في الأولى سورة الفاتحة وياسين ، وفي الثانية سورة الفاتحة وسورة الرحمن^(١) .

أدعيته في قنوت صلاته :

وأثرت عن الامام الهادي عليه السلام عدّة أدعية كان يدعو بها في قنوت صلاته ، وهي تمثل مدى انقطاعه الى الله وعظيم اتّصاله به ، وهذه بعضها :

أ - « اللهمّ : إنّ مناهل كراماتك بجزيل عطياتك مترعة ، وأبواب مناجاتك لمن أملك مشرّعة ، وعطوف لحظاتك لمن ضرع إليك غير متقطّعة ، وقد الجم الحذار ، واشتدّ الاضطرار ، وعجز عن الاضطبار أهل الانتظار ، وأنت اللهم بالمرصد من المكان ، اللهمّ وغير مهمل مع الامهال ، واللائذ بك آمن ، والراهب إليك غانم القصد ، اللهمّ لبابك سالم .

اللهمّ : فعاجل من قد استنّ في طغيانه ، واستمرّ على جهالته لعقباه في كفرانه ، وأطعمه حلمك عنه في نيل إرادته ، فهو يتسرّع الى أوليائك بمكارهه ، ويواصلهم بقبايح مراصده ، ويقصدهم في مظانهم بأذيتّه ، اللهمّ اكشف العذاب عن المؤمنين وابعثه جهرةً على الظالمين ، اللهمّ اكفف العذاب عن المستجيرين ، واصببه على المغترين ، اللهمّ بادر عصبة الحق بالعون ، وبادر أعوان الظلم بالقضم ، اللهم اسعدنا بالشكر ، وامنحنا النصر ، واعذنا من سوء البداء والعاقبة والخطر . . »^(٢) .

ولم تقتصر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام على الجانب الروحي ، وأنما شملت جميع مناحي الحياة ، وقد صوّر هذا الدعاء الحياة السياسية ، ومآمني الناس به من الظلم والجور في عهد أولئك الملوك الذين جهدوا في

(١) وسائل الشيعة ٢٩٨/٥ .

(٢) مهج الدعوات ، المصباح .

ظلم الناس وإرغامهم على ما يكرهون ، واكبر الظنّ أنه عنى بدعائه على المتوكّل الطاغية السفّاك الذي بالغ في ظلم العلويين وقهرهم .
ب - ومن أدعيته الشريفة التي كان يدعو بها في قنوته هذا الدعاء

الشريف :

يا من تفرّد بالربوبية ، وتوحّد بالوحدانية ، يا من أضاء باسمه النهار ، وأشرفت به الأنوار ، وأظلم بأمره حندس الليل وهطل بغيثه وابل السيل ، يا من دعاه المضطّرون فأجابهم ، ولجأ إليه الخائفون فآمنهم ، وعبده الطائعون فشكرهم ، وحمده الشاكرون فأثابهم ، ما أجلّ شأنك ، وأعلى سلطانك ، وأنفذ أحكامك ، أنت الخالق بغير تكلف ، والقاضي بغير تحييف ، حجّتك البالغة ، وكلمتك الدامغة ، بك اعتصمت وتعوّذت من نفثات العقدة ، ورصدات الملحدة ، الذين ألدّوا في أسمائك ، وأرصدوا بالمكارة لأوليائك ، وأعانوا على قتل أنبيائك وأصفياك ، وقصدوا لإطفاء نورك بإذاعة سرّك ، وكذبوا رسلك ، وصدّوا عن آياتك واتخذوا من دونك ودون أوليائك وليجة ورغبة عنك ، وعبدوا طواغيتهم بدلاً منك ، فمنتت على أوليائك بعظيم نعمائك ، وجدت عليهم بكريم آلائك ، وأتممت لهم ما أوليتهم بحسن جزائك حفظاً لهم من معاندة الرسل ، وضلال السبل ، وصدقت لهم بالعهود السنة الإجابة ، وخشعت لك بالعقود قلوب الانابة وأسألك اللهم باسمك الذي خشعت له السماوات والأرض وأحييت به أموات الأشياء ، وأمتّ به جميع الأحياء ، وجمعت به كل متفرق ، وفرّقت به كل مجتمع ، وأتممت به الكلمات ، وأريت به كبرى الآيات ، وثبت به على التّوابين ، وأخرت به عمل المفسدين فجعلت عملهم هباءً منثوراً تبرّتهم تبييراً . . . ان تصلّي علي محمد وآل محمد ، وان تجعل شيعتي من الذين حملوا فصدقوا ، واستنطقوا فنطقوا آمنين مأمونين .

اللهمّ : إنّي أسألك لهم توفيق أهل الهدى ، وأعمال أهل اليقين ، ومناصحة أهل التوبة ، وعزم أهل البصر ، وتقية أهل الورع ، وكتمان

الصدّيقين حتى يخافوك ، اللهمّ مخافة تحجزهم عن معاصيك حتى يعملوا بطاعتك لينالوا كرامتك ، وحتى يناصرحوا لك وفيك خوفاً منك ، وحتى يخلصوا لك النصيحة في التوبة حباً لهم فتوجب لهم محبتك التي أوجبتها للتوّابين ، وحتى يتوكلوا عليك في أمورهم كلها حسن ظنّ بك ، وحتى يفوضوا إليك أمورهم ثقة بك .

اللهمّ لا تنال طاعتك إلا بتوفيقك ، ولا تنال درجة من درجات الخير إلا بك ، اللهمّ يا مالك يوم الدين العالم بخفايا صدور العالمين طهر الأرض من نجس أهل الشرك ، وأخرس الخراصين عن تقوّلهم على رسولك الإفك .

اللهمّ اقصم الجبّارين وابرّ المفترين ، وابد الأفاكين الذين إذا تتلى عليهم آيات الرحمن قالوا : أساطير الأولين وانجز لي وعدك أنّك لا تخلف الميعاد ، وعجّل فرج كلّ طالب مرتاد أنّك لبالمرصاد ، وأعوذ بك من كلّ أبتس ملبوس ، ومن كل قلب من معرفتك محبوس ، ومن نفس تكفر إذا أصابها يؤس ، ومن واصف عدل عمله عن العدل معكوس ، ومن طالب للحق وهو عن صفات حقّ منكوس ، ومن مكتسب اسم باسمه مركوس ، ومن وجه عند تتابع النعم عليه عبوس ، أعوذ بك من ذلك كلّه ومن نظيره واشكاله وأمثاله أنّك عليم حكيم . . .

وكشف هذا الدعاء عن روعة بلاغته وفصاحته ، وإنّه كجده الامام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الظاهرة .

وقدّم الامام في هذا الدعاء الشريف عرضاً لتوحيد الله وتمجيده والاعتصام به ، فقد التجأ عليه السلام الى الخالق تعالى بكل نازلة وشدة ، فليس هناك من يكشف البلوى ، ويستدفع به الضرّ غيره ، كما تعوذ به تعالى شرّ الجبابرة الطغاة الذين لا يرقبون الله إلاّ ولا ذمّة ، ولا يرجون له وقاراً .

وقد دعا عليه السلام بهذا الدعاء لشيئته بالتوفيق والسداد ومجانبة

(١) مهج الدعوات ، المصباح للكفعمي .

الشرّ، والابتعاد عن الغرور ليكونوا قدوة صالحة في سلوكهم إلى بقية المسلمين . . . وختم عليه السلام دعاءه بالدعاء على أهل الشرك والنفاق الذين أعرضوا عن آيات الله ، واتخذوها هزواً .

دعاؤه عقيب صلاة الفجر :

وكان الامام الهادي عليه السلام يعقب بعد صلاة الفجر ، ولا ينام ، وكان يدعو بهذا الدعاء الشريف ، وهذا نصّه :

« يا كبير كلّ كبير ، يا من لا شريك له ولا وزير ، يا خالق الشمس والقمر المنير ، يا عصمة الخائف المستجير ، يا مطلق المكبل الأسير ، يا رازق الطفل الصغير ، يا جابر العظم الكسير ، يا راحم الشيخ الكبير ، يا نور النور ، يا مدبّر الأمور ، يا باعث من في القبور ، يا شافي الصدور ، يا جاعل الظلّ والحرور ، يا عالماً بذات الصدور ، يا منزل الكتاب والنور ، والفرقان العظيم والزبور ، يا من تسبح له الملائكة بالابكار والسحور ، يا دائم الثبات ، يا مخرج النبات بالغدو والآصال ، يا محيي الأموات ، يا منشيء العظام الدارسات ، يا سامع الصوت ، يا سابق الفوت ، يا كاسي العظام البالية بعد الموت ، يا من لا يشغله شغل عن شغل ، يا من لا يتغير من حال الى حال ، يا من لا يحتاج الى تجشم حركة ولا انتقال ، يا من لا يمنعه شأن عن شأن ، يا من يرد بالصدقة والدعاء عن اعنان السماء ما حتم وأبرم من سوء القضاء ، يا من لا يحيط به موضع ومكان ، يا من يجعل الشفاء فيما يشاء من الأشياء ، يا من يمسك الرمق من المرض العميق^(١) بما قلّ من الغذاء .

يا من يزيل بأدنى الدواء ما غلظ من الداء ، يا من إذا وعد وفى ، وإذا توعد عفا ، يا من يملك حوائج السائلين ، يا من يعلم ما في ضمير الصامتين ، يا عظيم الخطر ، يا كريم الظفر ، يا من له وجه لا يبلى ، يا من

(١) العميق : هو المرض المستحکم .

له ملك لا يفنى ، يا من له نور لا يطفى ، يا من فوق كل شيء عرشه ، يا من في البر والبحر سلطانه ، يا من في جهنم سخطه ، يا من في الجنة رحمته ، يا من مواعيده صادقة ، يا من أيديه فاضلة ، يا من رحمته واسعة ، يا غياث المستغيثين ، يا مجيب دعوة المضطرين ، يا من هو بالمنظر الأعلى ، وخلقه بالمنظر الأدنى ، يا ربّ الأرواح الفانية ، يا ربّ الأجساد البالية ، يا أبصر الناظرين ، يا أسمع السامعين ، يا أسرع الحاسبين ، يا أحكم الحاكمين ، يا أرحم الراحمين ، يا وهّاب العطايا ، يا مطلق الأسارى ، يا ربّ العزة ، يا أهل التقوى وأهل المغفرة ، يا من لا يدرك أمده ، يا من لا يحصى عدده ، يا من لا ينقطع مدده ، أشهد والشهادة لي رفعة وعدّة ، وهي مني سمع وطاعة ، وبها أرجو النجاة يوم الحسرة والندامة ، أنّك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وان محمداً عبدك ورسولك صلواتك عليه وآله ، وإنه قد بلغ عنك وأدى ما كان واجباً عليه لك ، وإنّك تخلق دائماً وترزق ، وتعطي وتمنع ، وترفع وتضع ، وتغني وتفقر وتخذل وتنصر ، وتعفو وترحم ، وتتصفح وتتجاوز عمّا تعلم ، ولا تظلم ، وإنّك تقبض وتبسط ، وتمحو وتثبت ، وتبدأ وتعيد ، وتحبي وتميت ، وأنت حيّ لا تموت ، فصلّ على محمد وآل محمد ، واهدني من عندك ، وأفض عليّ من فضلك ، وانشر عليّ من رحمتك ، وانزل عليّ من بركاتك ، فطالما عودّتي بالحسن الجميل ، وأعطيتني الكثير الجزيل ، وسترت عليّ القبيح .

اللهمّ : فصلّ على محمد وآل محمد وعجّل فرجي ، وأقلني عثرتي ، وارحم غربتي ، وارددني الى أفضل عادتك عندي ، واستقبل بي صحة من سقمي ، وسعة من عدّتي ، وسلامة شاملة في بدني ، وبصيرة في ديني ، وأعني على استغفارك واستغفالتك قبل أن يفنى الأجل ، وينقطع الأمل ، وأعني على الموت وكربته ، وعلى القبر ووحشته ، وعلى الميزان وخفته ، وعلى الصراط وزلته ، وعلى يوم القيامة وروعته ، وأسألك نجاة العمل قبل انقطاع

الأجل ، وقوة في سمعي وبصري واستعمالاً لصالح ما علمتني وفهمتني أنك أنت الرب الجليل ، وأنا العبد الذليل وشتان ما بيننا ، يا حنان ، يا منان ، يا ذا الجلال والإكرام ، صلّ على محمد وآل محمد الطيّبين الطاهرين . . « (١)

إن في أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام صفحات مشرقة من العرفان والتوحيد ، وهي مما تدعو الى الإيمان وصيانة النفس من الانحراف والتردي في متاهات التحلل والسقوط .

أمّا هذا الدعاء فقد دلّ على كمال معرفة الامام بالله ، والاخلاص له في الطاعة فقد مجّد فيه الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وأرجع جميع الأمور الى إرادته تعالى وقدرته ، وهذا هو كمال اليقين بالله .

دعاؤه بعد صلاة العصر :

وكان الامام الهادي عقيب صلاة العصر يدعو بهذا الدعاء الشريف :

« يا من علا فعظم ، يا من تسلّط فتجبر ، وتجرّ وتسلّط ، يا من عزّ فاستكبر في عزّه يا من مدّ الظلّ على خلقه ، يا من منّ بالمعروف على عباده أسألك يا عزيز ذي انتقام ، يا منتقماً بعزّته من أهل الشرك أسألك بحقّ وليّك عليّ بن أبي طالب ، وأقدّمه بين يدي حوائجي أن تصلّي عليّ محمّد وآل محمّد ، وان تعينني به على قضاء حوائجي ونوافلي وفرائضي وبرّ إخواني ، وكمال طاعتك يا أرحم الراحمين . . « (٢)

وقد توجّه الامام بهذا الدعاء سائلاً من الله أن يعينه على قضاء حوائجه

(١) المصباح ، البحار .

(٢) المصباح للكفعمي .

ومهامه وأداء فرائض الله ، وأبرّ بالاخوان الذي هو من أفضل الطاعات والعبادات .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض أدعيته التي كان يدعو بها عقيب أداء الفرائض ، أما بقية أدعيته فسوف نذكرها عند التحدّث عن علومه ومعارفه .

استجابة دعائه :

وظاهرة أخرى مما أتصف به الامام الهادي عليه السلام هو سرعة استجابة دعائه فإنّ له ولآبائه منزلة كريمة عند الله ، فقد ذكر المؤرّخون ان الامام جعفر الصادق كان لا يسأل الله شيئاً الاّ أجابه من قريب^(١) وقد ذكر الرواة بوادر كثيرة من استجابة دعاء الامام عليه السلام عند الله كان منها :

١ - ما رواه المنصور عن عمّ أبيه قال : قصدت الامام عليّاً الهادي ، فقلت له : يا سيّدي ان هذا الرجل - يعني المتوكّل - قد اطرحني ، وقطع رزقي ، وملّني وما أتهم به في ذلك هو علمه بملازمتي بك ، وطلب من الامام التوسّط في شأنه عند المتوكّل ، فقال عليه السلام : تكفي إن شاء الله ، ولما صار الليل طرقت رسل المتوكّل فخف معهم مسرعاً إليه ، فلما انتهى الى باب القصر رأى الفتح واقفاً على الباب فاستقبله وجعل يوبّخه على تأخيره ثم أدخله على المتوكّل فقابله ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً :

« يا أبا موسى تشغل عنّا ، وتسانا ، أي شيء لك عندي ؟ . . » .

وعرض الرجل حوائجه وصلاته التي قطعها عنه ، فأمر المتوكّل بها وبضعفها له ، وخرج الرجل مسروراً ، فرأى الفتح فبادر إليه قائلاً :

(١) إسعاف الراغبين (ص ٢٢٧) .

- هل وافى عليّ بن محمد ؟

- لا .

- هل كتب رقعة ؟

- لا . .

وانصرف الرجل فتبعه الفتح فأسرع إليه قائلاً :

« لست أشكّ أنك التمسّت منه - أي من الامام - الدعاء ، فالتمس لي

منه الدعاء . . » .

ومضى ميّماً وجهه نحو الامام عليه السلام فلمّا تشرّف بالمشول بين

يديه قال عليه السلام له :

« يا أبا موسى هذا وجه الرضا . . » .

فقال الرجل بخضوع :

« ببركتك يا سيّدي ، ولكن قالوا لي : إنك ما مضيت إليه ولا

سألته . . » .

فأجابه الامام ببسمات قائلاً :

« ان الله تعالى علم منّا أنّا لا نلجأ في المهمات إلا إليه ، ولا نتوكّل في

الملّمات إلاّ عليه ، وعودنا إذا سألناه الإجابة ، ونخاف أن نعدّل فيعدّل

بنا . . » .

وفطن الرجل الى ان الامام قد دعا له بظهر الغيب ، وتذكّر ما سأله

الفتح فقال :

« يا سيّدي ان الفتح يلمس منك الدعاء » .

فلم يستجب الامام له وقال :

« ان الفتح يوالينا بظاهره ، ويجانبنا بباطنه ، الدعاء انما يدعى له إذا أخلص في طاعة الله ، واعترف برسول الله صَلَّى الله عليه وآله وبحقنا أهل البيت . . . » .

انّ دعاء الأئمة الطيّبين انما يكون للذوات الطاهرة المؤمنة بالله ورسوله صَلَّى الله عليه وآله وحقّ أهل البيت ، وأمّا الذين لا يؤمنون بذلك فإنهم عليهم السلام لا يدعون لهم ، وطلب الرجل من الامام أن يعلمه دعاءً يتتفع به فأرشده عليه السلام الى هذا الدعاء :

« يا عدّتي عند العدد ، ويا رجائي والمعتمد ، ويا كهفي والسند ، ويا واحد ، يا أحد ، ويا قل هو الله أحد ، أسألك اللهم بحقّ من خلقتهم ولم تجعل في خلقك مثلهم أن تصلّي عليهم . . . ثم تذكر حاجتك . . . »^(١) .

٢ - وممّا رواه المؤرّخون من استجابة دعائه أنّه كان باصفهان رجل يسمّى عبد الرحمن ، وقد اعتنق التشيع وقال بإمامة الهادي عليه السلام فسئل عن السبب في ذلك فقال : إنّي كنت رجلاً فقيراً ، وكنت ذا لسان وجراً ، فخرجت مع جماعة من أهل بلدي متظلمين الى المتوكّل ، فلما انتهينا الى سر من رأى ، قصدنا قصره ، وبينما نحن على بابه إذ صدر الأمر من القصر بإحضار عليّ بن محمد بن الرضا عليه السلام فسألت عنه ، فقيل أنّه رجل علوي ، تقول الرافضة : بإمامته ، ولا يبعد أن يأمر المتوكّل بقتله ، فقلت في نفسي : لا أبرح من مكاني حتى أنظر إليه ، ولم ألبث إلّا قليلاً حتى جاء الامام عليه السلام راكباً فقام الناس إليه إجلالاً وإكباراً ، فلما رأته وقع حبه في قلبي فصرت أدعو الله أن يصرف عنه كيد المتوكّل ووقع بصر الامام عليّ فقصدني ، وقال :

« قد استجاب الله دعائك ، وطوّل عمرك ، وكثّر مالك وولدك » .

(١) البحار ١٣/١٢٩ ، الأمايلي للصدوق .

فارتعدت فرائصي لأنه قد علم بدخائل نفسي ، وما انطوت عليه نيتي ،
ودخلنا على المتوكل وقضينا حوائجنا ثم سافرت إلى اصفهان وقد فتح الله عليّ
وجوهاً من المال لم أحلم بها أنا اليوم أغلق بابي على ما قيمته ألف ألف
درهم سوى مالي الذي في خارج الدار ، كما رزقت من الأولاد عشرة ،
وبلغت من العمر ما ينيف على السبعين عاماً^(١) كل ذلك ببركة دعاء الامام
عليه السلام .

٣ - ومن أدعية الامام عليه السلام المستجابة ما رواه المؤرخون أن عليّ
ابن جعفر كان من وكلاء الامام عليه السلام فسعي به الى المتوكل فحبسه ،
وبقي في ظلمات السجون مدة من الزمن ، وقد ضاق به الأمر فتكلم مع بعض
عملاء السلطة في إطلاق سراحه ، وقد ضمن أن يعطيه عوض ذلك ثلاثة
آلاف دينار ، فأسرع الى عبيد الله وهو من المقرّبين عند المتوكل ، وطلب منه
التوسّط في شأن عليّ بن جعفر ، فاستجاب له ، وعرض الأمر على المتوكل ،
فأنكر عليه ذلك وقال له :

« لو شككت فيك لقلت : إنك رافضي ، هذا وكيل أبي الحسن الهادي
وأنا على قتله عازم . . . » .

وندم عبيد الله على التوسّط في شأنه ، وأخبر صاحبه بالأمر ، فبادر الى
عليّ بن جعفر وعرفه أن المتوكل عازم على قتله ولا سبيل الى إطلاق
سراحه ، فضاقت الأمر بعليّ بن جعفر ، فكتب رسالة الى الامام جاء فيها « يا
سيدي الله الله فيّ ، فقد خفت أن أرتاب » فوقع الامام على رسالته « أمّا إذا
بلغ بك الأمر ما أرى فسأقصد الله فيك » واصبح المتوكل محموراً دنفاً ،
وازدادت به الحمى فأمر باطلاق جميع المساجين ، وأمر بإطلاق سراح علي
ابن جعفر بالخصوص ، وقال لعبيد الله لِمَ لَمْ تعرض عليّ اسمه ؟ فقال : لا

(١) بحار الأنوار ١٣/١٣٢ .

أعود الى ذكره أبداً ، فأمره بأن يخلي عنه ، وأن يلتمس منه أن يجعله في حلّ مما ارتكبه منه ، وأطلق سراحه ثم نزح الى مكة فأقام بها بأمر من الامام^(١) .

٤ - ومن أدعيته المستجابة ما رواه المؤرّخون ان أحمد بن الخصيب كان من الحاقدين على الامام عليه السلام فألح على الامام أن يعطيه داره ويسلمها له بغير حقّ ، فتميّز الامام غيظاً وقال له :

« لأقعدنّ من الله مقعداً لا تبقى لك باقية .. » .

ولم يلبث أحمد الآ قليلاً حتى أخذه الله أخذ عزيز ذي انتقام فقد هلك^(٢) .

هذه بعض البوادر التي ذكرها الرواة من استجابة دعاء الامام ، ومن المؤكّد ان استجابة الدعاء ليس من عمل الانسان وصنعه ، وانّما هو بيد الله تعالى فهو الذي يستجيب دعاء من يشاء من عباده ، ومما لا شبهة فيه ان لأئمة أهل البيت عليهم السلام منزلة كريمة عنده تعالى لأنهم أخلصوا له كأعظم ما يكون الاخلاص ، وأطاعوه حقّ طاعته وقد خصّهم تعالى باستجابة دعائهم كما جعل مراقدهم الكريمة من المواطنين التي يستجاب فيها الدعاء .

(١) البحار ١٣/١٤٢ .

(٢) البحار ١٣/١٣٢ .

عُلُومَهُ وَمَعَارِفَهُ

وشرح الله صدر الامام الهادي عليه السلام للعلم ، وأوسع قلبه للمعارف ، فقد تفتّحت له أسرار الحقائق ، وغوامض الأمور بغير طلب أو جهد ، وقد تحدّث الناس عن سعة معارفه إذ لم يكن هناك أحد يضارعه في ثرواته العلمية المذهلة التي شملت جميع أنواع العلوم من الحديث والفقه والفلسفة وعلم الكلام ، وغيرها من سائر العلوم .

وقد تسالم العلماء والفقهاء على الرجوع الى رأيه المشرف في المسائل المعقّدة والغامضة من أحكام الشريعة الإسلامية ، ومن الغريب أن المتوكل العباسي الذي كان من ألد أعداء الامام عليه السلام وأشدّهم نصباً وعداوة لآبائه كان يرجع الى رأي الامام عليه السلام في المسائل التي اختلف فيها علماء عصره ، ويقدم رأيه على آرائهم ، وسنعرض لذلك في البحوث الآتية .

وعلى أيّ حال فإننا نتحدّث بصورة موجزة عن بعض ما أثر عنه من العلوم والمعارف وما أدلى به من غرر الحكم والآداب التي تناولت مختلف القضايا التربوية والاجتماعية ، وفيما يلي ذلك :

الحديث :

ولم تقتصر الأحاديث الواردة عن الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله والأئمّة لطاهرين من أهل بيته على الأحكام الشرعية وقضايا الدين ، وأنما

شملت جميع مناحي الحياة ، فقد وضعت البرامج لقواعد الاخلاق والآداب وحسن السلوك وغيرها من مختلف القضايا الفكرية والاجتماعية .

وقد أثرت عن الامام الهادي عليه السلام مجموعة من الروايات يروي بعضها عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْبَعْضُ الْآخَرُ عَنْ آبَائِهِ الْأئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ وفيما يلي ذلك :

رواياته عن النبي :

روى الامام الهادي عليه السلام بسنده عن آباءه مجموعة من الأحاديث كان من بينها :

١ - روى المسعودي قال : حدّثني محمد بن الفرّج بمدينة جرجان في المحلة المعروفة (سراي غسان) قال : حدّثني أبو دعامة قال : أتيت عليّ بن محمد بن علي بن موسى عائداً في علته التي كانت وفاته منها في هذه السنة ، فلما هممت بالانصراف قال لي : يا أبا دعامة قد وجب حقك ، أفلا أحدّثك بحديث تسرّبه ؟

قال : فقلت له : ما أحوجني الى ذلك يا ابن رسول الله ، قال : حدّثني أبي محمد بن علي ، قال : حدّثني أبي علي بن موسى بن جعفر قال : حدّثني أبي جعفر بن محمد ، قال : حدّثني محمد بن علي قال : حدّثني علي بن الحسين ، قال حدّثني أبي الحسين بن علي ، قال : حدّثني أبي علي بن أبي طالب ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : اكتب ، قال : قلت : وما أكتب ؟ قال : اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم الايمان ما قرته القلوب ، وصدقته الأعمال ، والاسلام ما جرى به اللسان ، وحلّت به المناكحة .. » .

قال أبو دعامة : فقلت : يا ابن رسول الله ما أدري والله أيهما أحسن الحديث أم الاسناد ؟ فقال : إنّها لصحيفة بخطّ علي بن أبي طالب بإملاء

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَتَوَارَثُهَا صَاغِرًا عَنْ كَابِرٍ . (١) وَنَظَرَ هَذَا الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ فَحَقِيقَةُ الْإِيمَانِ أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي أَعْمَاقِ النَّفْسِ ، وَدَخَائِلِ الْقَلْبِ ، وَتَصَدَّقَهُ وَتَدَلَّلَ عَلَيْهِ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الَّتِي تَصْدُرُ مِنَ الْقُلُوبِ الْمُؤْمِنَةِ بِاللَّهِ .

أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَنَّهُ يَكْفِي فِيهِ جَرِيَانُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَالشَّهَادَةِ بِنُبُوَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى اللِّسَانِ وَتَحَلُّلٌ بِهِ الْمَنَاكِحِ ، وَسَائِرُ الْأَثَارِ الْوَضْعِيَّةِ الَّتِي يَشْتَرَطُ فِي تَرْتِبِهَا الْإِسْلَامُ .

٢ - رَوَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عَنْ آبَائِهِ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : « إِذَا حَشَرَ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَانِي مَنْادٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَكَّنَكَ مِنْ مَجَازَاةِ مُحِبِّكَ ، وَمُحِبِّي أَهْلِ بَيْتِكَ الْمَوَالِينَ لَهُمْ فِيكَ ، وَالْمَعَادِينَ لِأَعْدَائِهِمْ فِيكَ ، فَكَفَاهُمْ بِمَا شِئْتُ ، فَأَقُولُ : يَا رَبَّ الْجَنَّةِ فَبِوَيْهِمْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُ ، فَذَلِكَ الْمَقَامَ الْمُحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَ بِهِ . . » (٢) .

إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمُ الَّذِينَ رَفَعُوا رَايَةَ الْإِسْلَامِ عَالِيَةَ خَفَّاقَةَ ، وَحَارَبُوا الْعِتَاةَ وَالطَّغَاةَ ، وَنَادَوْا بِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ وَكِرَامَةِ الْإِنْسَانِ ، وَقَدْ نَقِمَ عَلَيْهِمْ أَوْلَئِكَ الْعِتَاةُ الْمَجْرُمُونَ فَتَنَاهَبَتْ سَيُوفُهُمْ وَرَمَاحُهُمْ أَجْسَادَ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَجْرَهُمْ وَأَجْرَ مُحِبِّهِمُ الْجَنَّةَ يَتَبَوَّأُونَ مِنْهَا حَيْثُ مَا شَاءُوا جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ وَمُحِبِّهِمْ .

٣ - رَوَى الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَنَدِهِ عَنْ آبَائِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : « أَحَبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ ،

(١) مَرُوجُ الذَّهَبِ ٤/ ١١٤ .

(٢) بَحَارُ الْأَنْوَارِ الْجُزْءُ الثَّلَاثُ .

وأحبّون لحبّ الله ، وأحبّوا أهل بيتي . . . »^(١)

لقد أمر الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله بحبّ الله لأنّه مصدر الفيض للنعم التي يغذو بها الانسان ، كما أمر بحبه وحبّ أهل بيته لأنّ في حبّهم حبّاً لله تعالى .

٤ - روى الامام الهادي عليه السلام بسنده عن آبائه ان رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : « أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة : المحبّ لأهل بيتي ، والموالي لهم ، والمعادي فيهم ، والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم فيما ينوبهم من أمورهم . . . »^(٢) .

لقد أكّد الرسول صلّى الله عليه وآله على لزوم مودّة العترة الطاهرة ، وجعل حبّهم فريضة على كل مسلم ومسلمة لأنّ في اتباعهم صيانة للأمة من الاختلاف والتشتت ، وضماناً لها من الانحراف والفتن .

٥ - روى الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام بسنده عن آبائه ان رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : « يقول الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم ما تنصفتني أتحبّ إليك بالنعم ، وتممّقت إليّ بالمعاصي ، خيرني إليك نازل ، وشركّ إليّ صاعد ، ولا يزال ملك كريم يأتييني عنك في كل يوم وليلة بعمل قبيح ، يا ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك ، وأنت لا تعلم من الموصوف لسارعت الى مقتته . . . »^(٣) .

وفي هذا الحديث الشريف دعوة الى عمل الخير ، والابتعاد عن الأعمال التي يمقتها الله ، فكل عمل يرفع الى الله قال تعالى ﴿إليه يصعد العمل الصالح والكلم الطيب﴾ والله تعالى يجازي عباده على وفق أعمالهم

(١) الأمالي للشيخ الطوسي .

(٢) الأمالي للطوسي .

(٣) الأمالي للطوسي .

٦ - روى الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام بسنده عن آبائه ان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال : « أَنَّمَا سَمَّيْتُ ابْنَتِي فَاطِمَةَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَطَمَهَا ، وَفَطَمَ مِنْ أَحَبِّهَا مِنَ النَّارِ . . » (١) .

لقد تواترت الأخبار عن النبيّ (ص) في فضل سيّدة نساء العالمين وبضعته فاطمة الزهراء سلام الله عليها ، وكان من بين تلك الأخبار هذا الحديث الشريف الذي أعلن ان الله قد فطم سيّدة النساء وفطم من أحبّها من النار .

٧ - روى الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام بسنده عن آبائه عن جدّه الامام الباقر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : كنت عند النبيّ صَلَّى الله عليه وآله أنا من جانب ، وعليّ أمير المؤمنين من جانب إذ أقبل عمر ابن الخطابّ ومعه رجل قد تلبّب به ، فقال صَلَّى الله عليه وآله : ما باله ؟ قال : حكى عنك يا رسول الله أنّك قلت : من قال : لا إله إلاّ الله محمد رسول الله دخل الجنّة ، وهذا اذا سمعه الناس فرطوا في الأعمال ، أفأنت قلت ذلك ؟ قال صَلَّى الله عليه وآله : نعم إذا تمسّكوا بمحبّة هذا وولايته ، وأشار الى الامام أمير المؤمنين عليه السلام (٢) .

لا شكّ أن التمسّك بولاية الامام أمير المؤمنين والاعتراف بفضله وسموّ منزلته مما توجب البراءة من النار حسبما نطقّت به الأخبار .

٨ - روى الامام الهادي عليه السلام بسنده عن آبائه عن جدّه الامام أمير المؤمنين عليه السلام عن النبيّ صَلَّى الله عليه وآله انه قال : « يا عليّ خلقتني الله وأنت من نوره حين خلق آدم فأفرغ ذلك النور في صلبه ، فأفضى

(١) البحار الجزء العاشر .

(٢) البحار الجزء الثامن .

به الى عبد المطلب ، ثم افترقا من عبد المطلب فصرت أنا في عبد الله ، وأنت في أبي طالب لا تصلح النبوة الآلي ، ولا تصلح الوصية الآ لك ، فمن جحد وصيتك جحد نبوتي ، ومن جحد نبوتي أكبه الله على منخره في النار . . . » (١) .

إن الله تعالى خلق نبيه العظيم محمداً ووصيه الامام أمير المؤمنين عليه السلام من نور واحد فأضاء الحياة الفكرية والاجتماعية ، وحرراً الأرض من أرجاس الوثنية وخرافات الجاهلية ، وهما سلام الله عليهما نفس واحدة ، ومن جحد ولاية علي ، فقد جحد نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وما له في الآخرة من نصيب ، وهو من الخاسرين .

٩ - روى الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام بسنده عن آبائه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي : « يا عليّ محبّك محبّي ، ومبغضك مبغضي . . » (٢) .

وتضافرت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله ان من أحب الامام أمير المؤمنين فقد أحب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أبغضه فقد أبغض النبي صلى الله عليه وآله فإنّ علياً هو نفس رسول الله ، وباب مدينة علمه ، وأبوسبطيه ، والمكافح عنه في جميع المواقف والمشاهد .

١٠ - روى الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام بسنده عن آبائه عن جدّه الامام أمير المؤمنين عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « من سرّه أن يلقي الله عزّ وجلّ آمناً ، مطهراً لا يحزنه الفزع الأكبر فليتولّك يا علي ، وليتولّ ابنك الحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعليّ بن موسى ، ومحمد بن علي

(١) البحار الجزء التاسع .

(٢) البحار الجزء التاسع .

وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، ثم المهدي وهو خاتمهم ، وليكونن في آخر الزمان قوم يتولونك ، يا عليّ ويشنأهم الناس ، ولو أحبّوهم كان خيراً لهم لو كانوا يعلمون ، ويؤثرونك وولدك على آبائهم وأمّهاتهم واخواتهم وعلى عشائرتهم ، والقربات صلوات الله عليهم أفضل الصلوات ، أولئك يحشرون تحت لواء الحمد ، يتجاوز عن سيئاتهم ، ويرفع درجاتهم جزاءً بما كانوا يعملون ..»^(١) .

وأعلنت هذه الرواية سموّ منزلة الموالى للإمام أمير المؤمنين عند الله تعالى ، وإنه إذا لقي الله فيلقاه مسروراً آمناً من الفرع الأكبر ، قد أجزل له تعالى الثواب ، وألحقه بدرجة أوليائه ، كما نصّت على إمامة الأئمة الإثني عشر خلفاء النبيّ على أمته ، وأوصيائه الذين حملوا مشعل الهداية الى الناس .

١١ - قال عليه السلام : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « الناس إثنان : رجل أراح ورجل استراح ، فأما الذي استراح فالمؤمن استراح من الدنيا ونصبها وأفضى الى رحمة الله وكريم ثوابه ، وأما الذي أراح فالفاجر أراح منه الناس والشجر والدواب وأفضى الى ما قدم ..»^(٢) .

وأشادت هذه الرواية بمنزلة المؤمن ومكانته ، فانه إذا انتقل من هذه الدنيا فقد استراح من عنائها وهمومها وآلامها ، وقدم على ربّ كريم يضاعف له الأجر ويزيد في حسناته وثوابه ، كما استهانت بالفاجر وانه اذا هلك فقد أراح الناس من شرّه واعتدائه ، بل استراحت منه الشجر والدواب لأنّه مصدر شرّ عليها ، وهو سيلاقى العقاب من جراء ما اقترفه من السيئات في دار الدنيا .

(١) البحار الجزء التاسع .

(٢) أمالي الطوسي .

هذه بعض الروايات التي رواها الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام عن جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان معظمها في فضل العترة الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً .

رواياته عن الامام أمير المؤمنين :

وروى الامام الهادي عليه السلام مجموعة من الحكم والآداب عن جدّه الامام أمير المؤمنين رائد الحكمة والعدالة في الأرض ، وهذه بعضها :

١ - قال عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إياكم والمنى فإنها من بضائع الفجرة . . » (١) .

ان الاسلام - بكل اعتزاز وفخر - ناهض جميع الوسائل التي تؤدّي الى التأخّر والانحطاط ، ومن بينها الاتكال على التمني وترك العمل الأمر الذي يوجب إيقاف سير التقدّم والتطور في الحياة .

٢ - قال عليه السلام : قال أمير المؤمنين : « من أصبح والآخرة همّه استغنى بغير مال واستأنس بغير أهل ، وعز بغير عشيرة . . » (٢) .

انّ من اهتمّ بشأن الآخرة وسعى لها فانه يكون ثرياً بتقواه وورعه ، ويأنس لأنّه أرضى ضميره بالاتصال بخالقه ، كما يكون عزيزاً وذا منعة عند الناس ، وان عزته بغير عشيرة وانما هي بالصلاح والتقوى .

٣ - قال عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « العلم وراثته كريمة ، والآداب حلل حسان ، والفكرة مرآة صافية ، والاعتبار منذر ناصح ، وكفى بك أدباً لنفسك ترك ما كرهته لغيرك . . » (٣) .

(١) أمالي الطوسي .

(٢) أمالي الطوسي .

(٣) مآثر الكبراء ٢١٩/٣ .

وهذه الكلمات الذهبية من كنوز الحكمة المشرقة ، ففيها الدعوة الى التحليّ بالعلم والأدب ، وانّها من خير ما يظفر بهما الانسان في هذه الحياة ، كما نظر الامام الحكيم الى الفكر نظرة عميقة فاعتبره كالمرآة الصافية ينطبع فيه صور الخير والشرّ ، والانسان المهذب هو الذي يلتقط في فكره الصور الخيرة ولا يلوّثه بصور الرذائل ، والقبح ، واعتبر الامام من أرقى ألوان الأدب أن يترك الانسان ويجتنب ما يكرهه من غيره من ألوان الشذوذ والانحراف .

٤ - قال عليه السلام : قال أمير المؤمنين : « من دخله العجب هلك ... »^(١) .

ان إعجاب المرء بنفسه مدعاة الى هلاكه ، فان في العجب آفات مدمّرة كان منها التطاول على الغير ، والاعتداء بغير حقّ ، والغضب عمّا يقترفه المعجب بنفسه من الرذائل والمساوىء .

٥ - قال عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « من أيقن بالخلف جاد بالعطيّة »^(٢) .

ما أروع هذه الكلمة ، فان من ينفق في سبيل الله ، ويتيقن أن الله سيخلفه عليه في الدنيا والآخرة ، فأنه من الطبيعي يقدم عطاءً سمحاً وجزيلاً .

٦ - قال عليه السلام : جاء رجل يهودي الى الامام أمير المؤمنين عليه السلام فقال له :

أخبرني عمّا ليس لله ، وعمّا ليس عند الله ، وعمّا لا يعلمه الله ، فقال عليه السلام : أما ما لا يعلمه الله فلا يعلم له ولداً ، تكذيباً لكم حيث قلتُم :

(١) وسائل الشيعة ٧٨/١ .

(٢) وسائل الشيعة ٥٢٣/١١ .

عزير بن الله ، وأما قولك : عمّا ليس عند الله فليس عند الله ظلم على العباد ، وأما قولك : عمّا ليس لله ، فليس له شريك ، وبهر اليهودي ، فأعلن إسلامه ، وتشهد الشهادتين ، وخاطب الامام قائلاً :

« أشهد أنك الحقّ ، ومن أهل الحقّ ، وقلت الحقّ . . » (١)

ان الامام أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علم النبيّ صلّى الله عليه وآله ولو ثبت له الوسادة لأفتى أهل الانجيل بإنجيلهم وأهل الزبور بزبورهم ، وأهل التوراة بتوراتهم ، كما كان يقول عليه السلام ، ومن المقطوع به ان الخلافة لو آلت إليه بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله لما بقي كتابي الآ وأعلن الاسلام ، وآب الى طريق الحقّ .

٧ - روى الامام الهادي عليه السلام بسنده عن آبائه ان رجلاً من أهل العراق دخل على الامام أمير المؤمنين عليه السلام حين خروجه الى حرب صفين فقال له :

« أخبرنا عن خروجنا الى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر ، . . »

فأجابه الامام الحكيم قائلاً :

« أجل يا شيخ فوالله ما علوتم قلعة ، ولا هبطتم بطن واد الآ بقضاء من

الله وقدر ، . . » .

فانبرى الشيخ قائلاً :

« عند الله احتسب عنائي يا أمير المؤمنين . . » .

وراح الامام يوضّح للشيخ حقيقة القضاء والقدر قائلاً :

« مهلاً يا شيخ !! لعلك تظنّ قضاءً حتماً ، وقدراً لازماً ، لو كان كذلك

(١) مآثر الكبراء .

لبطل الثواب والعقاب ، والأمر والنهي ، والزجر ، ولسقط معنى الوعيد والوعد ، ولم يكن على مسيء لائمة ، ولا لمحسن محمده ، ولكان المحسن أولى باللائمة من المذنب ، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن ، تلك مقالة عبدة الأوثان ، وخصماء الرحمن ، وقد رية هذه الأمة ومجوسها ، يا شيخ : ان الله عزّ وجلّ كلّف تخيراً ، ونهى تحذيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظنّ الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار . . . » .

فنهض الشيخ وهو يقول :

أنت الامام الذي نرجو بطاعته	يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً	جزاك ربك عنا فيه إحسانا
فليس معذرة في فعل فاحشة	قد كنت راكبها فسقاً وعدوانا
لا لا ولا قائلاً ناهيه أوقعه	فيها عبدت إذا يا قوم شيطانا
ولا احب ولا شاء الفسوق ولا	قتل الولي له ظلماً وعدوانا
انّي يحب وقد صحت عزيمته	ذو العرش أعلن ذاك الله اعلاناً ^(١)

وسنعرض بصورة مفصلة الى مسألة القضاء والقدر في البحوث الآتية .

٨ - قال عليه السلام : قال أمير المؤمنين : « كم من غافل ينسج ثوباً ليلبسه ، وانما هو كفته ، ويبنى بيتاً ليسكنه ، وانما هو موضع قبره . . »^(٢) .

وفي هذا الكلام الشريف دعوة الى اليقظة والاحساس ، والحذر من مطامع الدنيا وأهوائها .

(١) التوحيد (ص ٣٨٠ - ٣٨١) .

(٢) عيون أخبار الرضا .

روايته عن الامام الباقر :

وروى الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام عن جدّه الامام محمد الباقر عليه السلام أنّه قال :

« اتّقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ انّ في ذلك لآيات للمتوسّمين ﴾ . . . »^(١) .

انّ المؤمن الحقيقي قد صفت نفسه من أدران المادة ، وخلصت من ظلمات الباطل فهو ينظر الى الأشياء بمنظار يصل الى واقعها وحقيقتها فلا يخطيء ، ولا يتعد عن الحق فيما يراه وينظر إليه .

روايته عن الامام الصادق :

وروى الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام مجموعة من الأحاديث عن جدّه الامام الصادق العقل المفكّر في الانسانية ، وهذه بعضها :

١ - قال عليه السلام : قال الصادق عليه السلام : « ثلاث دعوات لا يحجب عن الله تعالى دعاء الوالد لولده إذا أبرّه ، ودعوته عليه إذا عقّه ، ودعاء المظلوم على ظالمه ، ودعاؤه لمن انتصر له ، ورجل مؤمن دعا لأخ له مؤمن واساه فينا ، ودعاؤه عليه إذا لم يواسه مع القدرة عليه ، واضطرّ أخيه إليه . . . »^(٢) .

وحفل هذا الحديث الشريف بالدعوة الى البرّ بالأب لأنّ دعاءه مستجاب في حقّ ولده ، كما حذّر من عقوقه ، فان دعاءه عليه لا يحجبه حاجب عن الله تعالى ، وكذلك دعاء المظلوم على ظالمه ، كما حثّ على نصرة المؤمن ومواساته فان دعاءه يصل الى الله تعالى ، وكذلك حذّر من عدم مواساته مع القدرة على الانتصار له فدعاؤه أيضاً لا يحجب عن الله .

(١) مآثر الكبراء ٣/٢٢٠ .

(٢) مآثر الكبراء وروي في الوسائل ٤/١٦٣ بصورة موجزة .

٢ - قال عليه السلام : قال الصادق عليه السلام : « عليكم بالورع فإنه الدين الذي تلازمه وتدين الله به ، ويريده ممن يوالينا . . » (١) .

ان الورع عن محارم الله هو أساس الدين ، وهو مما يكشف عن وجود ملكة قائمة في أعماق النفس تصدّ الانسان عن اقرار ما حرّم الله ، وبذلك كان الورع عنصراً مهماً من عناصر الدين .

٣ - قال عليه السلام : قال الصادق : « ليس منا من لم يلزم التقية ، ويصوننا من سفلة الرعية . . » (٢) .

وحثّ الأئمة الطاهرون على التقية ، وألزموا بها شيعتهم حفظاً على دمايهم من تلك السلطات التي استحلّت ازهاق نفوسهم ، ولولا تشريع التقية لما بقي أحد من شيعة أهل البيت ومحبيهم .

٤ - قال عليه السلام : قال الصادق عليه السلام : « ثلاثة أوقات لا يحجب فيها الدعاء عن الله تعالى ، الدعاء في اثر المكتوبة - أي منذ الفراغ من الصلاة الواجبة - وعند نزول القطر ، وظهور آية معجزة لله في أرضه . . » (٣) .

إنّ الله تعالى أحبّ أن يُدعى في هذه الأوقات ، وضمن لمن دعاه الاستجابة كما ضمن تعالى استجابة الدعاء عند مراقد الأئمة الطاهرين .

٥ - قال عليه السلام : جاء رجل الى الامام الصادق عليه السلام فقال : قد سئمت من الدنيا فائمني من الله الموت ، قال عليه السلام له : ثمن الحياة

(١) الأمالي للطوسي .

(٢) وسائل الشيعة ٤٦٦/١١ .

(٣) الأمالي للطوسي .

لتطيع لا لتعصي فلائن تعيش فتطيع خير لك من أن تموت ، فلا تعصي ولا تطع » .

انّ الانسان إذا مات انقطع عمله خيراً كان أو شراً ، وقد أمره الامام عليه السلام أن يتمنى الحياة وطول العمر ليعمل صالحاً ويكتسب خيراً فأنه أفضل من الموت الذي لا طاعة بعده ولا عصيان .

٦ - قال عليه السلام : قيل للصادق : صف لنا الموت ، قال عليه السلام : هو للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعش لطيبه ، وينقطع التعب والألم كله منه ، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشدّ ، فقيل له : ان قوماً يقولون : إنّه أشدّ من نشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض ، ورضخ بالأحجار ، وتدوير قطب الأرحية على الاحراق ، قال عليه السلام : كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين ، ألا ترون منهم من يعاني تلك الشدائد ، والذي يرى بعد ذلك هو أشد من هذا ، ألا هو عذاب الآخرة ، فأنه أشدّ من عذاب الدنيا ، قيل له : فما بالنارى كافرأ يسهل عليه النزاع فينطفي ، وهو يحدث ويضحك ، ويتكلم ، وفي المؤمنين أيضاً من يكون كذلك ، ومن المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد ، فقال عليه السلام : ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه ، وما كان من شدائده فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقياً نظيفاً مستحقاً لثواب الأبد ، لا مانع له دونه ، وما كان من سهولة هناك على الكافر فليوف أجر حسناته في الدنيا ، وفي الآخرة ليس له إلا ما يوجب عليه العذاب ، وما كان من شدة على الكافر فهو ابتداء عذاب الله ، فان الله عدل لا يجور . . . «^(١) .

٧ - قال عليه السلام : قال الصادق عليه السلام : في قول يعقوب : « فصبر جميل » أي صبر بلا شكوى^(٢) ولعل القرينة الدالة على ذلك هو

(١) عيون اخبار الرضا .

(٢) مآثر الكبراء ٣/ ٢٢٨ .

وصف الصبر بالجميل .

٨ - قال عليه السلام : قال الصادق عليه السلام : في تفسير قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » قال : كانوا لا ينامون حتى يصلّوا العتمة^(١) .

٩ - قال عليه السلام : قال الصادق عليه السلام : في تفسير قوله تعالى : « فلنحيينه حياة طيبة » قال : المراد بها القنوع .

هذه بعض الأخبار التي رواها الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام عن جدّه الامام الصادق عليه السلام .

روايته عن موسى بن جعفر :

روى الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام بسنده عن آبائه عن جدّه الامام موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال : « إنّ الله خلق الخلق ، فعلم ما هم إليه صائرون ، فأمرهم ونهاهم ، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل الى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل الى تركه ، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصية ، بل اختبرهم بالبلوى كما قال الله تعالى : ﴿ ليلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ . . » وقد أبطل الامام العظيم بصورة لا تقبل الجدل (الجبر) ودلّل على فساده ، وسنعرض لهذه المسألة في البحوث الآتية .

(١) الأمالي للطوسي .

روايته عن الامام الرضا :

روى الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام عن جدّه الامام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام أنّه خرج أبو حنيفة ذات يوم من عند الامام الصادق ، فاستقبله موسى بن جعفر فقال له أبو حنيفة :

« يا غلام ممن المعصية ؟ .. » .

فأجابه الامام موسى :

« لا تخلو من ثلاث : إما أن تكون من الله عزّ وجلّ - وليست منه - فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لا يكتسبه ، واما أن تكون من الله عزّ وجلّ ومن العبد وليس كذلك ، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف ، واما أن تكون من العبد - وهي منه - فان عاقبه الله فبذنبه ، وان عفا عنه فبكرمه ، وجوده .. »^(١) .

ودلّل الامام على إبطال الجبر ووهنه ، وان الانسان مخيّر في هذه الحياة فهو غير مجبور على الطاعة ولا على المعصية ، فإرادته بيده فهو الذي يختار ما يشاء . . . وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الأخبار التي رواها الامام عن آباءه سلام الله عليهم .

ردّ الأخبار المشكّلة لأهل البيت :

وألزم الامام الهادي عليه السلام شيعته بالتثبّت من الأخبار المروية عن الأئمة الطاهرين ، فما علموا أنّه صادر منهم وفهموا معناه أخذوا به ، وما أشكل عليهم معناه فقد أمرهم برده إليهم حتى يبيّنوه لهم ، وقد جاء هذا في جوابه عن رسالة داود بن فرقد الفارسي فقد جاء فيها « نسألك عن العلم

(١) التوحيد (ص ٩٦) .

المنقول إلينا عن آبائك وأجدادك قد اختلفوا علينا فيه ، كيف العمل به على اختلافه « فأجابه عليه السلام : « إن علمتم أنه قولنا فالزموه ، وما لم تعلموه فردّوه إلينا »^(١) وإنما أمرهم بردّها إليهم لإيضاحها وبيانها ان كانت صادرة عنهم ، وان كانت موضوعة ومفتعلة قالوا لهم بذلك .

الأخبار المختلفة :

كتب الحميري الى الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام يسأله عن الأخبار المختلفة ، كيف العمل بها ، فأجابه الامام :

« إلى من لزم رأس العين لم يختلف عليه أمره ، فانها تخرج من مخرجها وهي بيضاء صافية . . » .

وقد أراد الامام ان من اتّصل بالامام عليه السلام فانه لا يختلف عليه شيء لأنّه يأخذ الواقع من منبعه وأصله ، ولما قرأ الحميري كتب الى الامام عليه السلام : « كيف لنا برأس ، وقد حيل بيننا وبينه » .

وقد أراد الحميري أنّه لا سبيل للاتصال بالامام نظراً للضغوط السياسية ، ومعاقبة الدولة لكل من اتّصل بالأئمّة عليهم السلام فأجابه الامام : « هي مبذولة لمن طلبها الآ لمن أرادها بالاحاد . . »^(٢) .

وأشار الامام عليه السلام الى أن طالب الحقيقة إذا أخلص في سعيه فإنّه يصل الى الحقّ ، ويظفر به .

الفقه :

واهتمّ الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام كأشدّ ما يكون الاهتمام

(١) بصائر الدرجات .

(٢) الدرّ النظيم مخطوط .

بنشر معالم الشريعة الإسلامية ، وبيان أحكامها ، وتدریس علومها ، وقد احتف به الفقهاء والعلماء وهم يتهلون من نمیر علومه ، ويدونون ما حفظوه من أحاديثه التي هي من مصادر التشريع الاسلامي عند الشيعة الإمامية .

لقد كان الامام أبو الحسن عليه السلام فقيه عصره بلا منازع حتى ان المتوكل العباسي الذي كان من أعدى الناس وأحقدهم على العلويين كان يرجع إليه في المسائل المعقدة ، ويقدم فتواه على بقية فتوى الفقهاء ، وسنذكر ذلك في بحوث هذا الكتاب ، ونعرض لبعض ما أثر عنه من الأحاديث التي يرجع إليها فقهاء الشيعة في استنباطهم للأحكام الشرعية ، وفيما يلي ذلك .

غسل الأموات :

كتب أحمد بن القاسم رسالة الى الامام الحسن عليه السلام يسأله فيها عن المؤمن يموت فيأتيه الغاسل يغسله وعنده جماعة من المرجئة ، هل يغسله غسل العامة ، ولا يعممه ولا يصير معه جريدة ، فكتب عليه السلام في جوابه « يغسله غسل المؤمن ، وان كانوا حضوراً ، وأما الجريدة فليستخف بها ، ولا يرونه ، وليجهد في ذلك جهده »^(١) .

ودلت هذه الرواية - بوضوح - على تغسيل الميت من المؤمنين على طريقة أهل البيت عليهم السلام وعدم الاعتناء بالمرجئة ، كما دلت على العمل بالخفاء في وضع الجريدتين من النخل عند الميت مراعاة للتقية ، وقد تضافرت الأخبار في استحباب وضع جريدتين خضراوين مع الميت ، فان تعذرا فيجعل مكانهما شيء من الشجر غير النخل ، ومن بين تلك الأخبار رواية علي بن بلال عن الامام الهادي ، وقد دلت على ذلك ، وإليها استند

(١) الوسائل ٢/٧٣٧ .

الفقهاء في فتواهم بذلك^(١) .

الصلاة في الوبر :

واشترط فقهاء الامامية في لباس المصلّي شروطاً كالطهارة وعدم الغصب وان لا يكون متخذاً من وبر ما لا يؤكل لحمه ، وقد استندوا في ذلك الى الروايات المتضاربة عن أئمة الهدى عليهم السلام ، ومنها مكاتبة علي بن عيسى الى الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام يسأله عن جواز الصلاة في الوبر - أي وبر ما لا يؤكل لحمه - وأي إضافة أصلح ، فأجابه عليه السلام لا أحب الصلاة في شيء منه ، فكتب ثانياً الى الامام عليه السلام انه مع قوم في تقية ، وبلاده لا يمكن أن يسافر منها أحد بلا وبر ، ولا يأمن على نفسه ان نزع وبره . . فأجابه عليه السلام تلبس الفنك^(٢) والسمور^(٣) . . «^(٤) وقد دلت الرواية على جواز الصلاة في وبر الفنك والسمور للضرورة .

الصلاة في شعر الانسان :

وتضافت الأخبار عن أئمة الهدى عليهم السلام في عدم جواز الصلاة بشعر ما لا يؤكل لحمه كالهرة مثلاً ، ومن الطبيعي ان ذلك لا يشمل شعر الانسان ، فان إطلاق الأدلة منصرفه عنه ، وقد سأل الريان بن الصلت الامام أبا الحسن الهادي عليه السلام عن جواز الصلاة في ثوب تعلّق به شعر الانسان أو ظفره ، فأفتاه الامام بالجواز^(٥) .

(١) الوسائل ٧٣٨/٢ ، الحدائق الناضرة ٤١/٤ .

(٢) الفنك : دويبة برية غير مأكولة اللحم يؤخذ منها الفرو يقال : إن فروها أطيب من جميع أنواع الفراء يجلب كثيراً من بلاد العقالبة وهو أبرد من السمور واعدل وأحرّ من السنجاب صالح لجميع الأمزجة المعتدلة ، جاء ذلك في الحدائق الناضرة ٧٤/٧ .

(٣) السمور دابة يتخذ من جلدها فراء ثمينة تكون في بلاد الترك ، الحدائق الناضرة ٧٣/٧ .

(٤) وسائل الشيعة ٢٥٤/٣ .

(٥) وسائل الشيعة ٢٧٧/٣ .

عدم بطلان الصلاة بالمرور أمام المصلي :

وذهب فقهاء الامامية الى عدم بطلان الصلاة بمرور شخص أمام المصلي وان ذلك ليس من مبطلاتها ، وقد استندوا في ذلك الى ما رواه أبو سليمان مولى الامام الهادي عليه السلام قال : سأله - أي سأل الامام الهادي - بعض مواليه ، وأنا حاضر عن الصلاة يقطعها شيء لوجهه مما يمر بين يدي المصلي ، فقال عليه السلام : لا ، ليست الصلاة تذهب هكذا بحيال صاحبها إنما تذهب متساوية لوجه صاحبها^(١) .

الصلاة في البيداء :

سأل علي بن مهزيار الامام أبا الحسن الهادي عليه السلام عن الرجل يصير في البيداء فتدركه صلاة فريضة ، فلا يخرج من البيداء حتى يخرج وقتها ، كيف يصنع بالصلاة ، وقد نُهي أن يصلي في البيداء ، فقال عليه السلام : يصلي فيها ، ويتجنب قارعة الطريق^(٢) إن كراهة الصلاة أنّما هي في قارعة الطريق سواء كانت مشغولة بالمارة أم فارغة إن لم يعطلها والأحرمت الصلاة^(٣) .

السجود على الزجاج :

وأجمع فقهاء أهل البيت على لزوم السجود في الصلاة على الأرض أو ما أنبتت ولم يجيزوا السجود على المأكول والملبوس بالفعل أو بالقوة ، كما منعوا السجود على الزجاج ، واستندوا في ذلك الى الأخبار المتضاربة عن أئمة الهدى المانعة من ذلك ، ومنها ما رواه محمد بن الحسين قال : إن

(١) وسائل الشريعة ٣/٣٣٤ .

(٢) وسائل الشريعة ٣/٢٥١ .

(٣) اللعة ١/٢٢٣ .

بعض أصحابنا كتب الى الامام أبي الحسن العسكري عليه السلام يسأله عن الصلاة على الزجاج ، قال : فلمّا نفذ كتابي تفكّرت وقلت : هو مما أنبتت الأرض وما كان لي أن أسأل عنه ، قال : فكتب إليّ لا تصلّ على الزجاج ، وان حدّثتك نفسك أنّه مما أنبتت الأرض ، ولكنه من الملح ، والرمل وهما ممسوخان^(١) .

عدم قضاء المغمى عليه للصلاة :

واشترط الفقهاء في صحة توجّه التكليف الى المكلف أن لا يكون مغمى عليه في وقت التكليف ، فاذا كان مصاباً بالاغماء من أول وقت التكليف الى آخره فإنّه لا يكون مكلفاً بالاداء ولا بالقضاء ، وقد استندوا في ذلك الى كوكبة من الروايات كان منها ما رواه علي بن مهزيار أنّه سأل أبا الحسن الثالث عليه السلام عن المغمى عليه ، فقال عليه السلام : لا يقضي الصوم ولا الصلاة ، وكلما غلب الله عليه فالله أولى بالعدر^(٢) كما كتب إليه أيوب بن نوح يسأله عن المغمى عليه يوماً أو أكثر هل يقضي ما فاته من الصلوات أو لا ؟ فكتب عليه السلام لا يقضي الصوم ، ولا يقضي الصلاة^(٣) .

التقصير في السفر الى مكة :

واشترط فقهاء الامامية في صلاة القصر شروطاً منها أن لا يتخذ السفر عملاً له كالمكاري والملاح والساعي والراعي فان هؤلاء يتمون الصلاة في سفرهم ويتوقف كون السفر عملاً له على العزم وعلى المزاولة له مرّة بعد أخرى على نحو لا تكون له فترة غير معتادة لمن يتخذ ذلك السفر عملاً له

(١) الوسائل ٤/٤٠٤ .

(٢) الوسائل ٥/٣٥٢ .

(٣) الوسائل ٥/٣٥٢ .

فسفر « الحملدارية » الى الحج في كل سنة لا يوجب التمام^(١) وأنما عليه القصر فقد روى محمد بن جرك قال : كتبت الى أبي الحسن الثالث عليه السلام ان لي جمالاً ولي قوام عليها ، ولست أخرج إلا في طريق مكة لرغبتني في الحج أو في النذرة الى بعض المواضع فما يجب عليّ إذا أنا خرجت معهم أن أعمل ، أوجب عليّ التقصير في الصلاة والصيام في السفر أو التمام ؟ فوقع الامام إذا كنت لا تلزمها ، ولا تخرج معها في كل سفر إلا الى مكة فعليك تقصير وافطار^(٢) . وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الأحكام التي سُئِل عنها الامام في الصلاة .

الخُمس :

الخُمس من الضرائب الاسلامية الرائعة التي فرضها الاسلام لمكافحة الفقر ، ونشر الثقافة وتطوّر الفكر ، وإحياء المعارف الاسلامية ، وهو يجب في أمور ذكرها الفقهاء فيها ما يفضل عن مؤونة الانسان له ولعياله من فوائد الصناعات والتجارات وغيرها مما هو مذكور في كتب الفقه ، وقد استند الفقهاء في ذلك الى ما روي عن أئمة الهدى والتي منها ما رواه في الكافي عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال : « كتبت الى أبي الحسن عليه السلام أفرأني عليّ بن مهزيار كتاب أبيك عليه السلام في ما أوجبه على أصحاب الضياع نصف السدس بعد المؤونة وانه ليس على من لم تقم ضيعته نصف السدس ولا غير ذلك ، واختلف من قبلنا في ذلك ، فقالوا : يجب على الضياع الخُمس بعد المؤونة مؤونة الضيعة وخراجها لا مؤونة الرجل وعياله ؟ فكتب عليه السلام بعد مؤونته ومؤونة عياله وبعد خراج السلطان .. »^(٣) .

(١) منهاج الصالحين ١/ ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) وسائل الشيعة ٥/ ٥١٨ .

(٣) الحدائق الناضرة ١٢/ ٣٤٨ .

وروى عليّ بن مهزيار عن عليّ بن محمد بن شجاع النيسابوري ، أنه
سأل أبا الحسن الثالث عن رجل أصاب من ضيعته من الحنطة مائة كر ما يزكي
فأخذ منه العشر عشرة أكرار ، وذهب منه بسبب عمارة الضيعة ثلاثون كراً ،
وبقي في يده ستون كراً ما الذي يجب لك من ذلك ؟ وهل يجب لأصحابه
من ذلك عليه شيء ، فوقع عليه السلام لي منه الخمس من ما يفضل من
مؤونته . . .» (١) .

وقد استند الفقهاء الى هذه الأخبار فأفتوا بوجوب الخمس في جميع ما
يفضل من مؤونة السنة ، وقد فصلت الكتب الفقهية والرسائل العملية ذلك
بالتفصيل .

الزكاة :

من البرامج الخلاقة التي فرضها الاسلام في نظامه الاقتصادي الزكاة ،
وهي من الوسائل الرائعة التي تقتلع جذور الفقر والبؤس ، وقد سئل الامام أبو
الحسن الهادي عليه السلام عن بعض الفروع المتعلقة فأجاب عنها ، وهذه
بعضها :

مستحقّ الزكاة :

واشترط الفقهاء في مستحقّ الزكاة أن يكون مؤمناً فلا تعطى الكافر ،
وكان من جملة أدلتهم في ذلك ما روي أن الامام أبا الحسن عليه السلام سئل
عمّن قال : بالتجسيم - أي أن الله جسم - هل يُعطى من الزكاة شيء ؟ فقال
عليه السلام : من قال : بالجسم فلا تعطوه من الزكاة ، ولا تصلّوا وراءه (٢) .

ومن الطبيعي أنه لا خصوصية لمن قال : بالتجسيم ، فيشمل المنع كل

(١) الوسائل ٦/١٢٣ .

(٢) الوسائل ٦/١٥٧ .

كافر لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر .

واشترط الفقهاء ان لا يكون المعطى للزكاة ممن تجب نفقته على المعطى كالأبوين وان علوا ، والأولاد وان سفلوا من الذكور والإناث ، إلا ان الكليني قد روى في الكافي عن اسماعيل بن عمران القمي ، قال : وكتبت الى أبي الحسن الثالث ان لي ولداً رجلاً ونساءً أفيجوز أن أعطيهم من الزكاة شيئاً ؟ فكتب عليه السلام ان ذلك جائز لك ، وقد حمل الشيخ هذه الرواية في التهذيبين على اختصاصه بالسائل ، ومن حاله كحالته في أن ماله لا يفي نفقة عياله (١) .

مقدار ما يعطى من الزكاة :

ولا حدّ للمال الذي يُعطى للفقير من الزكاة - ما عدا زكاة الفطرة - قلة وكثرة ، فقد كتب بعض الشيعة على يد أحمد بن اسحاق الى الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام : « اعطي الرجل من اخواني من الزكاة الدرهمين والثلاثة ، فكتب عليه السلام إفعل إن شاء الله تعالى (٢) .

زكاة الفطرة :

وأول ما شرعت في الاسلام هي زكاة الفطرة التي اصطلح الفقهاء على تسميتها بزكاة الأبدان ، وهي تجب على جميع الناس مسلمين وكافرين كباراً وصغاراً ذكوراً وإناثاً ، وقد أدلى الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام بذلك ، فقد كتب الى إبراهيم بن محمد الهمداني ما نصّه :

« الفطرة عليك وعلى الناس كلّهم ، ومن تعول ذكراً كان أو أنثى ، صغيراً أو كبيراً ، حرّاً أو عبداً ، فطيماً أو رضيعاً ، تدفعه وزناً ستّة أرطال برطل المدينة ، والرطل مائة وخمسة وتسعون درهماً يكون الفطرة ألفاً ومئة

(١) الحدائق الناضرة ١٢/٢١١ .

(٢) الوسائل ٦/١٧٧ .

وسبعين درهماً^(١) .

وروى إبراهيم بن محمد الهمداني قال : اختلفت الروايات في الفطرة فكتبت الى أبي الحسن صاحب العسكر أسأله عن ذلك فكتب عليه السلام :
« ان الفطرة صاع من قوت بلدك على أهل مكة ، واليمن ، والطائف ، واطراف الشام ، واليمامة والبحرين ، والعراقين ، وفارس والأهواز ، وكرمان تمر ، وعلى أهل أوساط الشام زبيب ، وعلى أهل الجزيرة والموصل والجبال كلها برّ أو شعير ، وعلى أهل طبرستان الأرز ، وعلى أهل خراسان البر ، الآ على أهل مرو والريّ فعليهم الزبيب ، وعلى أهل مصر البر ، ومن سوى ذلك فعليهم ما غلب من قوتهم ، ومن سكن البوادي من الاعراب فعليهم الاقط ، والفطرة عليك وعلى الناس كلهم . . . »^(٢) .

انّ الضابط في جنس الفطرة أن يكون قوتاً شائعاً لأهل ذلك البلد كالحنطة والشعير - مثلاً - والواجب منه صاع وهو وزن ثلاث كيلوات تقريباً ويجزي عنه دفع القيمة حسبما ذكره الفقهاء .

الصوم :

وسئل الامام أبو الحسن الهادي عن مسائل كثيرة في الصوم فأجاب عنها ، كان منها ما يلي :

وجوب الصوم برؤية الهلال :

ومن أوثق الطرق التي يثبت بها هلال رمضان رؤيته فيجب الصوم على من رآه سواء انفرد برؤيته أو شاركه غيره ، وقد روى عليّ بن راشد عن أبي

(١) وسائل الشيعة ٦ / ٢٣٧ .

(٢) وسائل الشيعة ٦ / ٢٣٨ .

الحسن العسكري عليه السلام أنه قال : « لا تصم الآ للرؤية »^(١) وحمل الفقهاء النهي عن الصوم بقصد الوجوب مع عدم ثبوت الرؤية للهلال .

صوم المرضعة :

كتب علي بن مهزيار الى الامام أبي الحسن عليه السلام يسأله (عن امرأة ترضع ولدها وغير ولدها في شهر رمضان فيشتدّ عليها الصوم وهي ترضع حتى يغشى عليها ، ولا تقدر على الصيام ، أترضع وتفطر ، وتقضي صيامها إذا أمكنها أو تدع الرضاع وتصوم ، فان كانت ممّن لا يمكن اتخاذ من يرضع ولدها ، فكيف تصنع ؟ فكتب عليه السلام :

« إن كانت ممّن يمكنها اتخاذ ظئر استرضعت لولدها ، وأتمّت صيامها ، وان كان ذلك لا يمكنها أفطرت ، وأرضعت ولدها ، وقضت صيامها متى ما أمكنها »^(٢) .

واستند فقهاء الامامية الى هذه الرواية في فتواهم بإفطار المرضعة القليلة اللبن إذا اضربها الصوم أو بولدها إذا لم يمكنها استئجار مرضعة تقوم بإرضاع الطفل .

كفارة الصوم المعين :

كتب الحسين بن عبيدة الى الامام أبي الحسن العسكري عليه السلام « يا سيدي رجل نذر أن يصوم يوماً ، فوقع ذلك اليوم على أهله ما عليه من الكفارة ؟ فأجابه عليه السلام : يصوم يوماً مكان يوم وتحرير رقبة^(٣) وعلى ضوء هذه الرواية فقد أفتى الفقهاء بأن كفارة إفطار الصوم المعين نفسه بالنذر هي كفارة مخالفة اليمين وهي عتق رقبة ، أو إطعام عشرة مساكين أو

(١) وسائل الشيعة ١٨٧/٧ .

(٢) الوسائل ١٥٤/٧ .

(٣) الوسائل ١٨٧/٧ .

كسوتهم ، فان عجز صام ثلاثة أيام .

الحجّ :

سُئل الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام عن بعض مسائل الحج فأجاب عنها ، وكان من بينها المسألة التالية :

روى محمد بن مسرور قال : كتبت الى أبي الحسن الثالث عليه السلام ما تقول في رجل متمّع بالعمرة الى الحج وافى غداة عرفة ، وخرج الناس من منى الى عرفات أعمرته قائمة أو قد ذهبت منه ؟ الى أيّ وقت عمرته قائمة إذا كان متمتعاً بالعمرة الى الحج ، فلم يواف يوم التروية ، ولا ليلة التروية ، فكيف يصنع ؟ فوقع عليه السلام : ساعة يدخل مكة ، إن شاء الله يطوف ، ويصلي ركعتين ، ويسعى ويقصر ، ويحرم بحجته ، ويمضي الى الموقف ، ويفيض مع الامام . . . « (١) .

إن إحرام المتمتع بالحجّ يوم التروية - الذي هو اليوم الثاني من شهر ذي الحجة - ومبئته بمنى ليلة التاسع ، وخروجه منها على عرفات كل ذلك مستحبّ وليس واجباً ، وأنما الواجب إدراك الموقف الذي هو ركن ، وهو الكون في عرفة من زوال يوم التاسع الى غروب الشمس ، فاذا دخل الحاج مكة يوم التاسع فعليه أن يأتي بأعمال العمرة ثم يفيض الى عرفات ليدرك حسبما تفضّل الامام عليه السلام بذلك .

التجارة :

ونقل الرواة عن الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام عدّة مسائل في التجارة استند إليها الفقهاء في فتاواهم وهذه بعضها :

(١) الوسائل ٢١٣/٨ .

حُرمة العمل مع الظالمين :

ولمّا كان الحكم في بني العباس مسرحاً للظلم والجور كان العمل معهم غير مشروع حسبما تذهب إليه الشيعة ، وقد كتب محمد بن علي بن عيسى الى الامام أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام يسأله « عن العمل لبني العباس ، وأخذ ما يتمكّن من أموالهم هل فيه رخصة؟ فقال عليه السلام : ما كان المدخل فيه بالجبر والقهر فالله قابل العذر ، وما خلا ذلك فمكروه ، ولا محالة قليله خير من كثيره ، وما يكفر به ما يلزمه فيه من يرزقه يسبب وعلى يديه ما يسرّك فينا وفي موالينا » .

لقد أجاب الامام عليه السلام بأن العمل لبني العباس إذا كان بالقوة والجبر ، فالله تعالى لا يحاسب العامل معهم ، واذا كان عن اختيار فان العمل مكروه ، ولعلّ المراد بالكراهة هي الحرمة ، فانها في بعض الأحيان قد تطلق على الحرام ، وجعل الامام عليه السلام الكفارة في الدخول معهم هو إدخال السرور على أهل البيت بقضاء حوائج المؤمنين والفقراء ، ودفع الغائلة والمكروه عنهم ، وقد دلّت على ذلك طائفة من الأخبار ذكرها الفقهاء في بحوثهم عن الولاية للجائر^(١) .

ولمّا وافى كتاب الامام عليه السلام الى محمد بن علي بن عيسى بادر فكتب الى الامام عليه السلام « ان مذهبي في الدخول في أمرهم - أي في أمر بني العباس - وجود السبيل الى ادخال المكروه على عدوه ، وانبساط اليد في التشفّي منهم بشيء أتقرب إليهم ، فأجاب عليه السلام من فعل ذلك فليس مدخله في العمل حراماً بل أجراً وثواباً^(٢) .

(١) المكاسب للشيخ الأنصاري .

(٢) الوسائل ١٢/١٣٧ .

الإجارة :

رفعت الى الامام أبي الحسن عليه السلام مجموعة من الأسئلة عن الإجارة فأجاب عنها ، كان منها ما يلي :

١ - كتب محمد بن عيسى اليقطيني الى الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام يسأله : « عن رجل دفع ابنه الى رجل ، وسلّمه منه سنة بأجرة معلومة ليخيط له ، ثم جاء رجل فقال : سلّم ابنك مني سنة بزيادة ، هل له الخيار في ذلك ، وهل يجوز له أن يفسخ ما وافق عليه الأول أم لا ؟ فكتب عليه السلام يجب عليه الوفاء للأول ما لم يعرض لابنه مرض أو ضعف^(١) . ودلت الرواية على أن لا إشكال في امضاء العقد الأول ولا سبيل الى فسخه ، اللهم إلا ان يعرض للولد مرض أو ضعف فلا يستطيع العمل فيفسخ الاجارة لتعذر العمل .

٢ - روى محمد بن اسحاق قال : كتبت الى أبي الحسن الثالث عليه السلام : « رجل استأجر ضيعة من رجل فباع المواجه تلك الضيعة التي آجرها بحضرة المستأجر ، ولم ينكر المستأجر البيع ، وكان حاضراً له شاهداً عليه فمات المشتري ، وله ورثة أيرجع ذلك في الميراث ، أو يبقى في يد المستأجر الى أن تنقضي إجارته ؟ فكتب عليه السلام الى أن تنقضي إجارته »^(٢) .

ودلت الرواية على أن يبيع العين ، وموت المشتري لها غير موجب لبطان الإجارة وتبقى العين في يد المستأجر يستوفي منافعها الى أن تنقضي مدة إجارته .

٣ - روى إبراهيم بن محمد الهمداني قال : « كتبت الى أبي الحسن

(١) الوسائل ١٣/٢٥٤ .

(٢) الوسائل ١٣/٢٦٨ .

عليه السلام وسألته عن امرأة آجرت ضيعتها عشر سنين على أن تعطي الاجارة في كل سنة عند انقضائها ، لا يقدم لها شيء من الاجارة ما لم يمض الوقت ، فماتت قبل ثلاث سنين أو بعدها ، هل يجب على ورثتها انفاذ الاجارة الى الوقت أم تكون الاجارة منقضية بموت المرأة ؟ فكتب عليه السلام إن كان لها وقت مسمى لم يبلغ فماتت فلورثتها تلك الاجارة فان لم تبلغ ذلك الوقت وبلغت ثلثه أو نصفه أو شيئاً منه فتعطي ورثتها بقدر ما بلغت من ذلك الوقت ان شاء الله « (١) .

اختلف الفقهاء في ان الاجارة هل تبطل بموت المؤجر أو المستأجر أو لا تبطل ، ذهب المشهور من متأخري الفقهاء الى عدم البطلان ، وذهب المشهور من قدمائهم الى البطلان ، وقد استدلوا بهذه الرواية - التي عبّروا عنها بالموثقة - فقالوا : ان قوله عليه السلام : « فلورثتها تلك الاجارة » أنّها تبطل من حين الموت ولا تبطل من أصلها بقريته ما بعد هذه الفقرة مما هو ظاهر في توزيع الأجرة بنسبة زمان الحياة الى مجموع المدّة ، ولكن في مجمع البرهان ادّعى صراحتها في الدلالة على عدم بطلانها بموت المؤجر ، وكأنّه استند في ذلك الى ظاهر قوله عليه السلام : « فلورثتها تلك الاجارة » فان الظاهر منه ان الاجارة صحيحة ، وحمل ما بعده على أن الورثة يستحقّون الأجرة على حسب التوقيت الصادر في عقد الاجارة (٢) .

الوقف :

وكان من بين المسائل التي سُئل عنها الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام هذه المسألة في الوقف ، روى عليّ بن مهزيار قال : كتبت الى أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّي وقفت أرضاً على ولدي ، وفي حجّ ووجوه

(١) الوسائل ١٣/٢٦٨ .

(٢) مستمسك العروة الوثقى ١١/٣٠ .

برّ ، ولك فيه حقّ بعدي ولي بعدك ، وقد أزلتها عن ذلك المجري ، فقال عليه السلام : أنت في حلّ ، وموسع لك^(١) .

واستظهر الشيخ الحرّ العاملي من الرواية أن التغيير هنا وقع قبل القبض ، كما يحتمل أن يكون الوقف هنا بمعنى الوصية ، بقريضة قوله : بعدي^(٢) والسبب في ذلك حتى لا يتنافى مع الوقف الذي إن تمّ ما يعتبر فيه من الشرائط صار لازماً ولا يجوز الرجوع فيه .

الأطعمة :

من المسائل التي تتعلّق في كتاب الأطعمة مسألة « الجاموس » فقد سأل عنه أيّوب بن نوح الامام أبا الحسن الثالث عليه السلام فقال له : ان أهل العراق يقولون : إنّه مسخ ، - ومعنى ذلك أنّه لا يجوز أكله - فردّ عليه الامام قائلاً : أو ما سمعت قول الله عزّ وجلّ : ﴿ ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ﴾^(٣) وقد أبطل عليه السلام هذه الشبهة وأثبت أنه نوع من البقر ، وليس حيواناً ممسوخاً .

القضاء :

سئل الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام عن بعض مسائل القضاء ، ومن بينها هذه المسألة ، روى جعفر بن عيسى قال : « كتبت الى أبي الحسن يعني علي بن محمد عليه السلام المرأة تموت فيدعي أبوها أنّه كان أعارها بعض ما كان عندها من متاع وخدم أتقبل دعواه بلا بيّنة ؟ فكتب عليه السلام إليه يجوز بلا بيّنة .

قال : وكتبت إليه إن ادّعى زوج المرأة الميتة أو أبو زوجها أو أمّ زوجها

(١) الوسائل ١٣/٢٩٩ .

(٢) الوسائل ١٣/٢٩٩ .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٤ .

في متاعها وخدمها مثل الذي ادعى أبوها من عارية بعض المتاع والخدم
أيكون في ذلك بمنزلة الأب في الدعوى؟ فكتب عليه السلام لا...» (١).

ودلت الرواية بوضوح على قبول دعوى الأب على ابنته الميتة من أنه قد
أعارها بعض الامتعة ، فلا يحتاج الى إقامة بيّنة ، وأما غيره لو ادعى بمثل هذه
الدعوى فيحتاج الى البيّنة ، وقد أعرض المشهور عن العمل بهذه الرواية ،
كما ضعفها المحقق في الشرائع لأنّ في سندها محمد بن جعفر الكوفي
الأسدي الواقع في طريق الكليني ، وقد دفع سيّدنا الاستاذ هذين الأمرين ،
أما الأمر الأول فان مبناه بأن اعراض المشهور لا يسقط الرواية عن الحجية ،
وأما الثاني فيدفعه - كما يقول - أن الراوي هو محمد بن جعفر بن محمد بن
عون الأسدي وهو ثقة ، على أنه غير موجود في طريق الصدوق ، وان كان من
جهة محمد بن عيسى الواقع في طريق الصدوق ، فالصحيح أنه ثقة ، وان
توقف فيه ابن الوليد كما نبّه عليه غير واحد من علماء الرجال وان كان من جهة
جعفر بن عيسى الواقع في كلا الطريقتين فهو ممدوح مدحاً لا يقلّ عن التوثيق
على أيّيه وارد في اسناد كامل الزيارات ، فالظاهر انه لا مانع من العمل
بالرواية (٢).

الحدود :

ومن بين المسائل التي تعرّض الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام
ليبان أحكامها هي بعض مسائل الحدود ، ومن بينها ما يلي :

١ - روى الحسن بن علي بن شعبة بسنده عن أبي الحسن الثالث أنه
قال : في حديث له « وأما الرجل الذي اعترف باللواط فانه لم يقم عليه
البيّنة ، وإنما تطوّع بالاقرار من نفسه ، واذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب

(١) الوسائل ١٨/٢١٣ .

(٢) مباني تكملة المنهاج ١/٧٢ .

عن الله كان له أن يمنّ عن الله ، أما سمعت قول الله : ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب . . ﴾^(١) .

ودلّت هذه الرواية - بوضوح - على أن الامام الشرعي المنصوب من قبل الله تعالى له أن يعفو عمّن أقرّ على نفسه باقتراف جريمة اللواط ، كما أنّ له أن يعاقب على ذلك ، ويختصّ العفو بهذه الصورة أما من قامت عليه البيّنة بذلك فليس للإمام أن يعفو عنه .

٢ - روى جعفر بن رزق الله قال : قُدّم الى المتوكّل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة ، وأراد أن يقيم عليه الحدّ ، فأسلم ، فقال يحيى بن أكثم : قد هدم إيمانه شركه وفعله ، وقال بعضهم : يضرب ثلاثة حدود ، وقال بعضهم : يفعل كذا وكذا ، فأمر المتوكّل باستفتاء الامام أبي الحسن ، فاستفتي فأجاب عليه السلام يضرب حتّى يموت ، فأنكر يحيى ، وسائر الفقهاء هذه الفتيا وطلبوا من المتوكّل أن يكتب للإمام ، ويطلب منه المدرك في فتياه ، فكتب له المتوكّل ، فأجاب عليه السلام بعد البسملة ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ، وكفرنا بما كنّا به مشركين ، فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنّة الله قد خلت في عباده وخسر هنالك المبطلون ﴾^(٢) . فأمر المتوكّل بضربه فضرّب حتّى مات^(٣) .

لقد استند الامام في فتواه الى كتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد بهر المتوكّل وسائر الفقهاء من علم الامام وفضله .

(١) سورة ص آية ٣٩ .

(٢) سورة غافر آية ٨٤ - ٨٥ .

(٣) الوسائل ١٨ / ٣٣١ .

(٤) الوسائل ١٨ / ٤٠٧ - ٤٠٨ .

كفر الغلاة

وأجمعت الشيعة الإمامية على كفر الغلاة ونجاستهم ، ويترتب عليهم ما يترتب على الكفار من الأحكام التي منها جواز قتلهم ، وقد أثر عن الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه : « وان وجدت من أحد منهم خلوة فاشدح رأسه بالصخرة »^(١) وستعرض الى التحدّث عنهم بصورة مفصلة في البحوث الآتية .

الى هنا ينتهي بنا الحديث عن فقه الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام ، وقد ذكرنا انموذجاً سيراً من فقهه ، وقد دلّلت المسائل التي سئل عنها على أنه كان المرجع الأعلى للفتيا في عصره للعالم الإسلامي ، وأنه كان يتمتع بثروات علمية هائلة بأحكام الشريعة الإسلامية .

بحوث كلامية :

وشاعت في عصر الامام الهادي عليه السلام كثير من الشكوك والأوهام حول أصول العقيدة الاسلامية ، وكانت بداية وجودها أيام الحكم الأموي ، فهو الذي فسح المجال لانتشار الأفكار المضللة ، وشجّع عليها ، وقد استمرت بتصاعد أيام الحكم العباسي ، وقد تصدّى علماء المسلمين ، وفي طليعتهم أئمة أهل البيت عليهم السلام الى تزييف الآراء الملحدة بالأدلة العلمية الحاسمة ، وقد سجّلت في كتب « الاحتجاج » التي ألفها علماء الشيعة للتدليل على كفاح أئمتهم في نصرة العقيدة الإسلامية ومكافحة الكفر والإلحاد ونعرض لبعض ما أثر عن الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام في هذا المجال .

(١) وسائل الشيعة ١٨ / ٥٥٤ .

امتناع رؤية الله :

كتب أحمد بن اسحاق الى الامام أبي الحسن الثالث عليه السلام يسأله عن الرؤية - أي رؤية الله تعالى - وما فيه الناس فأجابه الامام :

« لا يجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر ، فاذا انقطع الهواء ، وعدم الضياء بين الرائي ، والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه ، وكان في ذلك التشبيه لأن الأسباب لا بدّ من اتّصالها بالمسببات »^(١) .

ودلّل الامام العظيم على استحالة الرؤية ، وعدم إمكانها علمياً فان الجهاز البصري انما يرى الأشياء بواسطتين : الهواء والضياء فاذا انعدما ، استحالت الرؤية ، ولا يمكن لهاتين القوتين أن يبصرا الله تعالى لأنهما من الممكنات المحدودة ، فكيف يبصران القوة المدبرة لهذه العوالم ، والأكوان المذهلة ، التي من أبسطها هذا الكوكب الذي نعيش عليه بما فيه من العجائب والغرائب .

ان الجهاز البصري انما يرى من يساوي المرئي في خصائصه الإمكانية ، فاذا انعدمت المساواة بينهما استحال النظر ، وقد جهد موسى في أن يرى الله تعالى : ﴿قال: ربّ أرني أنظر إليك، قال: لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقرّ مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً ، فلما أفاق قال : سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾^(٢) .

لقد كان موسى يتلقّى كلمات الله ، وروحه تتشوّق ، وتشرّف ، وتتمنّى

(١) أصول الكافي ٩٧/١ ، التوحيد (ص ١٠٩) .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٤٢ .

فينسى من هو ، وينسى ما هو ، ويطلب ما لا يحق لبشر في هذه الأرض وما لا يطيقه بشر في هذه الأرض يطلب الرؤية الكبرى ، وهو مدفوع في زحمة الشوق ، ودفعة الرجاء ، حتى تنبهه الكلمة الحاسمة الجازمة : ﴿قال: لن تراني﴾ ثم يترقق به الخالق العظيم فيعلمه لماذا لن يراه : ﴿ولكن انظر الى الجبل فان استقرّ مكانه فسوف تراني﴾ والجبل أمكن وأثبت ، والجبل مع تمكّنه وثباته أقلّ تأثراً واستجابة من الكيان الآدمي ، ومع ذلك فماذا ؟ ﴿فلما تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً﴾ أي جعله مفتتاً منهياراً متداعياً ، وأدرك موسى رهبة الموقف فخرّ صعقاً ، فلما أفاق قال : ﴿سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾^(١) .

وانظر كيف خاطب الامام العظيم أبو الحسن الهادي عليه السلام الله تعالى بهذه الكلمات المشرقة التي كشفت عن مدى معرفته لله تعالى حيث يقول :

« إلهي تاهت أوهام المتوهّمين ، وقصر طرف الطارفين ، وتلاشت أوصاف الواصفين ، واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك ، لعجيب شأنك أو الوقوع الى علوك ، فأنت في المكان الذي لا يتناهى ، ولم تقع عليك عيون بإشارة ، ولا عبارة ، هيهات ، ثم هيهات يا أولي ، يا وحداني ، يا فرداني شمخت في العلوّ بعزّ الكبر ، وارتفعت من رواء كل غورة ونهاية بجبروت الفخر . . . »^(٢) .

لقد ضلّت أوهام المتوهّمين من إدراك حقيقة الله أو الوصول الى كمال معرفته ، وكيف يصل الانسان الذي لم يعرف حقيقة ذاته الى إدراك تلك الحقيقة العظمى التي يعجز البيان والوصف عن تصوير أي جانب من جوانبها يقول ابن أبي الحديد :

(١) في ظلال القرآن ٣٩/٩ .

(٢) التوحيد (ص٦٦) .

فيك يا أعجوبة الكون غدا الفكر عيلاً
أنت حيّرت ذوي اللب وبليت العقولا
كلّما أقدم فكري فيك شبراً فرّ ميلاً
ناكصاً يخبط في عمياء لا يُهدى السبيلاً^(١)

استحالة التجسيم :

ويستحيل أن يتّصف واجب الوجود بالتجسيم ، فان ذلك من صفات الممكن الذي يحتاج وجوده الى علّة، وعدمه الى علّة ، ولازمه أن يكون محدثاً ، وقد تعرّض الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام في كثير من أحاديثه الى الردّ على من قال بالتجسيم ، كان منها ما يلي :

١ - روى الصقيرين أبي دلف قال : سألت أبا الحسن علي بن محمد عليه السلام عن التوحيد وقلت له : إني أقول : بقول هشام بن الحكم - وكان يقول قبل هدايته بالتجسيم - فغضب الامام عليه السلام وقال :

« ما لكم ولقول هشام : إنه ليس منا من زعم أن الله عز وجلّ جسم ، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة ، يا ابن أبي دلف ان الجسم محدث ، والله محدثه ومجسمه . . . »^(٢) .

إنّ القول بالتجسيم لازمه ان يكون محدثاً محتاجاً الى علّة تفيض عليه الوجود تعالى الله عن ذلك .

٢ - روى حمزة بن محمد قال : كتبت الى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم والصورة ، فكتب عليه السلام « سبحان من ليس كمثله شيء لا جسم ولا صورة »^(٣) .

(١) شرح ابن أبي الحديد.

(٢) التوحيد (ص ١٠٤).

(٣) التوحيد (ص ٩٧).

٣ - روى إبراهيم بن محمد الهمداني قال : كتبت الى الرجل - يعني أبا الحسن عليه السلام - ان من قبلنا من مواليك ، قد اختلفوا في التوحيد ، فمنهم من يقول : جسم ، ومنهم من يقول : صورة ، فكتب عليه السلام بخطه : سبحان من لا يحدّ ، ولا يوصف ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع العليم . . . « (١) » .

إنّ الله تعالى يستحيل أن ينعت بالحدّ الذي تتكوّن منه حقائق الأشياء الممكنة كما يستحيل أن يوصف بالأوصاف المستلزمة لتعدد الصفة والموصوف فان صفاته تعالى عين ذاته حسبما حققه المتكلّمون .

استحالة وصفه تعالى :

وأدلى الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام في حديث له مع الفتح بن يزيد الجرجاني أعرب فيه عن استحالة وصف الخالق الحكيم بصفة تحيط بكنهه وحقيقته ، وقد جاء فيه :

« إن الخالق لا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه ، وأنّي يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه ، والأوهام أن تناله ، والخطرات أن تحدّه ، والأبصار عن الإحاطة به ، جلّ عما يصفه الواصفون ، وتعالى عمّا ينعته الناعتون ، نأى في قربه ، وقریب في نأيه ، فهو في نأيه قريب ، وفي قربه بعيد ، كيف كيف فلا يقال كيف ، وأيّن الأين فلا يُقال أين ، اذ هو منقطع الكيفية والأينية ، هو الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فجلّ جلاله ، أم كيف يوصف بكنهه محمد صلّى الله عليه وآله وقد قرنه الجليل باسمه ، وشركه في عطائه ، وأوجب لمن أطاعه جزاء طاعته اذ يقول : ﴿وما نقموا إلاّ ان أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ (٢) وقال : يحكي

(١) الدرّ النظيم التوحيد (ص ١٠٠) .

(٢) سورة التوبة : آية ٤٧ .

قول : من ترك طاعته وهو يعذبه بين أطباق نيرانها وسراويل قطرانها : « يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول » (١) أم كيف يوصف بكنهه من قرن الجليل طاعتهم - يعني بهم أئمة أهل البيت عليهم السلام - بطاعة رسوله حيث قال : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (٢) وقال : ﴿ولو ردّوا إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم﴾ (٣) وقال : ﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها﴾ (٤) . وقال : ﴿فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾ (٥) .

يا فتح كما لا يوصف الجليل جلّ جلاله والرسول والخليل وولد البتول فكذلك لا يوصف المؤمن المسلم لأمرنا . . . » (٦) .

وعرض هذا الحديث الى الاستحالة في وصف الله بصفة تحكي واقعه وتلمّ بذاته فذلك أمر ممتنع ، وكذلك بالنسبة الى الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وأوصيائه الأئمة المعصومين بل حتى المؤمن المسلم لأمر أهل البيت فان الأوصاف تقصر عن أن تلمّ بنزعاته الشريفة وصفاته الفاضلة .

حقيقة التوحيد :

سئل الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام عن حقيقة التوحيد فأجاب عليه السلام « لم يزل الله تعالى وحده لا شيء معه ، ثم خلق الأشياء بديعاً ، واختار لنفسه الأسماء ولم تزل الأسماء والحروف معه قديمة .
لم يزل الله موجوداً ، ثم كون ما أراد ، ولا رادّ لقضائه ، ولا معقب

(١) سورة الأحزاب : آية ٦٦ .

(٢) سورة النساء : آية ٥٩ .

(٣) سورة النساء : آية ٨٣ .

(٤) سورة النساء : آية ٥٨ .

(٥) سورة الأنبياء : آية ٧ .

(٦) كشف الغمة ١٧٦/٣ .

لحكمه . . .» (١) .

وألمّت هذه الكلمات ببعض جوانب التوحيد ، التي ينبغي للمسلم أن يؤمن بها فيوحد ربّه خالق الكون وواهب الحياة الذي لا رادّ لقضائه ، ولا معقب لحكمه .

إبطال الجبر والتفويض :

لعلّ من أروع ما أثر عن الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام من الثروات الفكرية والعلمية هذه الرسالة الذهبية التي بعثها لأهل الأهواز (ع) وقد تعرض فيها بصورة موضوعية ودقيقة للردّ على فكرة « الجبر » وهي التي تبنتها الأشاعرة ونادوا بها فقالوا ان العباد مجبورون على ما يفعلون ، وأنهم غير خاضعين لإرادتهم واختيارهم . . . كما ردّ فيها على التفويض ، الذي قال به المعتزلة فذهبوا الى أن الله تعالى قد فوّض العباد في أفعالهم الى سلطانهم وإرادتهم ولا دخل لأيّ إرادة أو سلطان عليهم ، وعندما أبطل الامام هذين الأمرين أثبت بالأدلة العلمية الحاسمة « الأمر بين الأمرين » وهي الفكرة التي رفع شعارها أئمة أهل البيت عليهم السلام وتبنّوها هم وشيعتهم وتعتبر هذه الرسالة من أخصب الدراسات لهذه البحوث ، وقد صدرها الامام بكلمة تمهيدية تعرّض فيها لإمامة جدّه الامام أمير المؤمنين المنافح الأول عن رسالة الإسلام ، والحامي لأهدافه ومبادئه ، وتعرّض بصورة موجزة الى التعليق على هذه الرسالة الشريفة ، وشرح بعض مضامينها ، ومنه تعالى نستمدّ التوفيق ، قال عليه السلام بعد البسملة :

« من عليّ بن محمد سلام عليكم ، وعلى من اتّبع الهدى ورحمة الله وبركاته فإنّه ورد عليّ كتابكم ، وفهمت ما ذكرتم ، من اختلافكم في دينكم ، وخوضكم في القدر ، ومقالة من يقول منكم بالجبر ، ومن يقول

(١) الاحتجاج للطبرسي .

بالتفويض ، وتفرقكم في ذلك ، وتقاطعكم ، وما ظهر من العداوة بينكم ، ثم سألتموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كله . . . » .

وكشفت هذه الفقرات عن مدى الاختلاف الخطر الناشئ بين المسلمين بسبب هذه المسائل ، فقد أدى النزاع فيها الى تشتتهم وفرقتهم واختلاف كلمتهم ، وشيوع العداوة والبغضاء بينهم ، وبذلك فقد تباعدوا عن دينهم الذي ألزم بالوحدة بين المسلمين ونشر المحبة والمودة بينهم .

قال عليه السلام :

« اعلموا رحمكم الله إننا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الاسلام ممن يعقل عن الله جلّ وعزّ لا تخلو من معنيين : إما حقّ فيتبع ، وإمّا باطل فيجتنب وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم ان القرآن حقّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه مصيبون مهتدون وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا تجتمع أمّتي على ضلالة » فأخبر ان جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق ، هذا إذالم يخالف بعضها بعضاً ، والقرآن حق لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه ، فاذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه ، وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الاقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب فان (هي) جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة . . . » .

وركّز الامام في هذه الفقرات من حديثه على ضرورة الرجوع الى القرآن الكريم - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - فيما اختلفت فيه الأمة من نزعات فكرية ، وعقائد مذهبية ، فما وافق منها الكتاب فهو حق لا ريب فيه ، وما خالفه فهو زخرف وباطل ، ومن دان به فهو خارج عن ربة

(١) الاحتجاج للطبرسي .

الاسلام ، قال عليه السلام : « فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه ، والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أفاويلهم ، حيث قال : « إني مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي - أهل بيتي - لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض » . فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً ، مثل قوله جلّ وعزّ : « إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولّى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون »^(١) وروت العامة في ذلك أخباراً لأُمير المؤمنين عليه السلام أنّه تصدّق بخاتمه وهو راع فشكر الله ذلك له ، وانزل الآية فيه . فوجدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قد أتى بقوله : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » وبقوله : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى الآ أنّه لا نبيّ بعدي » ووجدناه يقول : « عليّ يقضي ديني وينجز مواعيدي وهو خليفتي عليكم من بعدي . . . »

تعرّض الإمام العظيم في هذه الفقرات المشرفة من حديثه الى أروع حديث نبوي وهو حديث (الثقلين) الذي أعلن فيه الرسول الأعظم صَلَّى الله عليه وآله المصير الحاسم لأُمَّته فقد وضعها على عتبة الانتصار ، وضمن لها أن لا تضلّ في مسيرتها ، ولا تنحرف في طريقها ، وذلك فيما إذا تمسّكت بكتاب الله العظيم ، وأعلت قيادتها الروحية والزمنية الى أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، وقد اختار الامام حديث الثقلين ، وذلك لما له من الأهمية البالغة سنداً ودلالة أما سنداً فقد أجمع علماء المسلمين على روايته ، ونشير في الهامش الى بعض مصادره^(٢) وأمّا

(١) سورة المائدة: آية ٦٠ - ٦١ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤/٣٦٦ ، صحيح الترمذي ٢/٣٠٨ ، سنن البيهقي ٢/١٤٨ كنز العمال ٧/١٠٢ ، مستدرک الصحيحين ٣/١٠٩ ، طبقات ابن سعد ٢/ القسم ٢ ص ٢ .

دلالتة فواضحة على لزوم اتباع أهل البيت عليهم السلام فقد قرنهم بمحكم التنزيل الذي يجب على كل مسلم اتباعه والافتداء به ، وكما أن الكتاب معصوم من الباطل فكذلك العترة الطاهرة والآل لم تصح المقايسة بينهما ، وكما أن الكتاب يجب على كل مسلم الأخذ بتعاليمه فكذلك العترة الطاهرة ، وقد دعم الامام هذا الحديث بما يلي :

أ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ « الآية » نصّ علماء المسلمين أنّها نزلت في الامام أمير المؤمنين عليه السلام حينما تصدّق بخاتمه على المسكين^(١) وقد حصرت الآية الولاية العامة بالله والرسول والامام أمير المؤمنين ، وكما أن ولاية الله والرسول نافذتان على المسلمين فكذلك ولاية الامام أمير المؤمنين عليه السلام .

ب - قوله صلّى الله عليه وآله في الامام أمير المؤمنين عليه السلام : « من كنت مولاً، فعليّ مولاه » وهو جزء من الحديث النبوي المشهور الذي أعلن فيه الرسول صلّى الله عليه وآله الولاية العامة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ونصبه خليفة من بعده على المسلمين ، وذلك في يوم (غدیر خم) وهو من أيام الاسلام الخالدة التي تمّت فيه النعمة الكبرى وكمل الدين ، وهو من أوثق الأدلّة وأكثرها صراحة ووضوحاً على إمامة الامام أمير المؤمنين عليه السلام^(٢) .

ج - قوله صلّى الله عليه وآله : « يا عليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى . . الخ » وهذا الحديث من أشهر الأحاديث النبوية وقد دوّن في أكثر

(١) الكشاف في تفسير الآية التي في سورة المائدة ، تفسير الرازي ، تفسير الطبري ١٨٦/٦ ، الدر المنثور ، كنز العمال ٣١٩/٦ ، مجمع الزوائد ١٧/٧ ذخائر العقبى (ص ١٠٢) الرياض النضرة ٢٢٧/٢ .

(٢) حديث الغدير من الأحاديث المتواترة ، وقد عقد المحقق الكبير الشيخ الأميني الجزء الأول من الغدير في سند الحديث ومصادره .

كتب الصحاح وغيرها^(١) ، وهو يدلّ بصراحة على خلافة الامام فقد قرنه صلى الله عليه وآله بهارون ، وهارون وزير موسى وخليفته فكذلك الإمام أمير المؤمنين .

د- قوله صلى الله عليه وآله : « عليّ يقضي ديني ، وينجز مواعيدي ، وهو خليفتي عليكم من بعدي »^(٢)

ودلت الرواية - بوضوح - على خلافة الامام أمير المؤمنين من بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأنه هو الذي يقوم بقضاء دينه ، وانجاز مواعيده ، وأنه ليس هناك أحد أولى بمقام الرسول صلى الله عليه وآله وأحقّ بمنصبه من الامام علي مفضرة الشرق ورائد التطور الفكري والحضاري في الأرض .

هذه بعض الروايات التي تدعم حديث الثقلين وتسايره في التدليل على قيادة العترة الطاهرة للأمة التي ضمن لها الرسول صلى الله عليه وآله أن لا تزيغ عن طريق الهدى فيما لو أتبعتمهم ، ولم تتقدّم عليهم .

قال عليه السلام : « فالخبر الأول الذي استنبطت منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم ، وهو أيضاً موافق للكتاب ، فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر ، وهذه الشواهد الأخر لزم على الأمة الاقرار بها ضرورة إذ كانت هذه الأخبار شواهدا في القرآن ناطقة ، ووافقت القرآن والقرآن وافقها ، ثم وردت حقائق الأخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصادقين ، ونقلها قوم ثقات معروفون ، فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كل مؤمن ومؤمنة ، لا يتعدّاه إلا أهل العناد ، وذلك ان أفاويل آل

(١) صحيح ابن ماجه (ص١٢) حلية الأولياء ١٩٤/٧ ، خصائص النسائي (ص١٥) تاريخ بغداد

٤٣٢/١١ صحيح الترمذي ٣٠١/٢ ، مشكل الآثار ٣٠٩/٢ مسند أبي داود ٢٩/١ .

(٢) قريب من هذا الحديث الشريف جاء في هذه كنز العمال ١٥٥/٦ ، مجمع الزوائد ١١٣/٩ .

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَتَّصِلَةٌ بِقَوْلِ اللهِ ، وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : « إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا »^(١) وَوَجَدْنَا نَظِيرَ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَى اللَّهَ ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ يُوْشِكُ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ » وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ » وَمِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : فِي بَنِي وَليعةَ لِأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ رَجُلًا كَنَفْسِي يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قُمْ يَا عَلِيُّ فَسِرْ إِلَيْهِمْ » وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَوْمَ خَيْرٍ « لِأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ غَدًا رَجُلًا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَرَّارًا غَيْرَ فَرَّارٍ ، لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ » فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْفَتْحِ قَبْلَ التَّوْجِيهِ ، فَاسْتَشْرَفَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَعَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَعَثَهُ إِلَيْهِمْ فَاصْطَفَاهُ بِهَذِهِ الْمُنْقَبَةِ وَسَمَّاهُ كَرَّارًا غَيْرَ فَرَّارٍ ، فَسَمَّاهُ اللَّهُ مُجَبًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، فَأَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُحِبَّانَهُ . . . » .

وَبَعْدَمَا أَعْلَنَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْمَقْيَاسَ فِي مَعْرِفَةِ الْخَبَرِ الصَّحِيحِ هُوَ مُطَابَقَتُهُ لِكِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ وَمُوَافَقَتُهُ لَهُ ، وَعَلَى ضَوْءِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ نَالَ حَدِيثُ الثَّقَلَيْنِ الدَّرَجَةَ الْقَطْعِيَّةَ مِنَ الصَّحَّةِ ، فَقَدْ وَافَقَ الْكِتَابُ وَتَأَيَّدَ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَبِتَرْتِبِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْتَقِدَ بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَيُؤْمِنَ بِالْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ وَيَدِينُ بِالْوَلَاءِ لَهَا .

ثُمَّ ذَكَرَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ وَذَكَرَ كَوَكْبَةً مِنَ الْأَخْبَارِ وَرَدَّتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَقِّ وَصِيِّهِ وَبَابِ مَدِينَةِ عِلْمِهِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَنَذَكَرَهَا لِلْإِشَارَةِ إِلَى مَصَادِرِهَا ، وَهِيَ :

(١) سورة الأحزاب : آية ٥٧ .

١ - قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « من آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي ،
ومن آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهُ الْحَدِيثَ . . . » (١) .

٢ - قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « من أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي
ومن أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللهُ » (٢) .

٣ - قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : في يوم خيبر « لأبعثنَّ إليهم
غداً رجلاً يحبُّ اللهُ ورسوله ويحبُّه اللهُ ورسوله كزارٍ غير فرارٍ لا يرجع حتى
يفتح اللهُ عليه . . » (٣) .

هذه بعض الأحاديث النبوية التي اتفقت مع القرآن الكريم ، وهي مما
أجمع المسلمون على صحتها ، وقد أشادت بفضل أبي الحسين ، وفرضت
ولايته وإمامته على عموم المسلمين .

قال عليه السلام : « وإنما قدّمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا
وقوة لما نحن مبينوه من أمر الجبر والتفويض ، والمنزلة بين المنزلتين ، وبالله
العون والقوة ، وعليه نتوكّل في جميع أمورنا . فانا نبدأ بقول الصادق عليه
السلام : « لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين » ، وهي صحة
الخلقة وتخليّة السرب^(٤) والمهلة في الوقت ، والزاد مثل الراحلة ، والسبب
المهيج للفاعل على فعله « فهذه خمسة أشياء جمع بها الصادق جوامع
الفضل ، فاذا نقص العبد منها حلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه ، فأخبر
الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته ، ونطق

(١) مستدرك الصحيحين ١٢٢/٣ ، الاصابة ٣٠٤/٤ ، كنز العمال ١٥٢/٦ مجمع الزوائد ١٢٩/٩ ،
الرياض النضرة ١٦٥/٢ .

(٢) مستدرك الصحيحين ١٣٠/٣ تاريخ بغداد ٣٢/١٣ ، أسد الغابة ٣٨٣/٤ مجمع الزوائد
١٣١/٩ .

(٣) صحيح ابن ماجه (ص ١٢) حلية الأولياء ٦٢/١ خصائص النسائي (ص ٣٢) كنز العمال ٣٩٥/٦ .

(٤) السرب : - بالفتح - الطريق والصدر ، وبالكسر ، أيضاً الطريق والقلب .

الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله ، لأن الرسول صَلَّى اللهُ عليه وآله لا يعدو شيء من قوله وأقاويلهم حدود القرآن ، فاذا وردت حقائق الأخبار ، والتمست شواهدا من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد كما ذكرنا في أول الكتاب . ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام : من المنزلة بين المنزلتين ، وإنكاره الجبر والتفويض ، وجدنا الكتاب قد شهد له ، وصدق مقالته في هذا ، وخبر عنه أيضاً موافق لهذا ، ان الصادق سُئِلَ هل أجبر الله العباد على المعاصي ؟ فقال الصادق : هو أعدل من ذلك ، فقليل له : فهل فوض إليهم ؟ فقال عليه السلام : هو أعز وأقهر لهم من ذلك ، وروي عنه أنه قال : الناس في القدر على ثلاثة أوجه : رجل يزعم أن الأمر مفوض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك ورجل يزعم أن الله جلَّ وعزَّ أجبر العباد على المعاصي ، وكلفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك ، ورجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ، ولم يكلفهم ما لا يطيقون ، فاذا أحسن حمد الله واذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ ، فاخبر عليه السلام ان من تقلد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق ، فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطأ ، وان الذي يتقلد التفويض يلزمه الباطل ، فصارت المنزلة بين المنزلتين . . . » .

تعرض الامام عليه السلام في هذه القطعة من كلامه الى أن ما ذكره - أولاً - من لزوم التمسك بالخبر الموافق للكتاب العزيز وذكر مقدمة تمهيدية للإستدلال ببعض الأخبار على بطلان الجبر والتفويض مضافاً الى الأدلة العقلية ، كما تعرض بصورة مجملة الى بطلانها ، وسيعرض لهما في كلامه الآتي بصورة مفصلة قال عليه السلام : « واضرب لكل باب من هذه الأبواب مثلاً يقرب المعنى للطاب ويسهل له البحث عن شرحه ، تشهد به محكمات آيات الكتاب ، وتحقق تصديقه عند ذوي الألباب ، وبالله التوفيق والعصمة .

فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ فهو قول من زعم أن الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها ، ومن قال : بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه ، وكذّبه وردّ عليه قوله : ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾^(١) وقوله : ﴿ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد﴾^(٢) وقوله : ﴿ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾^(٣) مع أي كثيرة في ذكر هذا ، فمن زعم أنه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله ، وقد ظلمه في عقوبته . ومن ظلم الله فقد كذّب كتابه ، ومن كذّب كتابه فقد لزمه الكفر باجتماع الأمة ، ومثل ذلك مثل رجل مملوك ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه ولا يملك عرضاً من عرض الدنيا ، ويعلم مولاه ذلك منه فأمره على علم منه بالمصير الى السوق لحاجة يأتيه بها ، ولم يملكه ثمن ما يأتيه به من حاجته ، وعلم المالك أن على الحاجة رقيقاً لا يطمع أحد في أخذها منه الآ بما يرضى به من الثمن ، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة واطهار الحكمة ، ونفي الجور ، وأوعد عبده إن لم يأت به بحاجته ان يعاقبه على علم منه بالرقيب الذي على حاجته أنه سيمنعه وعلم أن المملوك لا يملك ثمنها ، ولم يملكه ذلك ، فلما صار العبد الى السوق وجاء ليأخذ حاجته التي بعته المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها الآ بشراء وليس يملك العبد ثمنها فانصرف الى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته فاغتاظ مولاه من ذلك وعاقبه عليها . أليس يجب في عدله وحكمه أن لا يعاقبه ، وهو يعلم أن عبده لا يملك عرضاً من عروض الدنيا ولم يملكه ثمن حاجته ، فان عاقبه عاقبه ظالماً متعدياً عليه مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفه ، وان لم يعاقبه كذب نفسه في وعيده إيّاه حين أوعدته بالكذب والظلم اللذين ينفيان العدل

(١) سورة الكهف : آية ٤٩ .

(٢) سورة الحجّ : آية ١٠ .

(٣) سورة يونس : آية ٤٤ .

والحكمة . تعالى عما يقولون : علواً كبيراً .

فمن دان بالجبر أو بما يدعو الى الجبر فقد ظلم الله ونسبه الى الجور والعدوان ان اوجب على من أجبره العقوبة ، ومن زعم ان الله أجبر على العباد فقد اوجب على قياس قوله : ان الله يدفع عنهم العقوبة ، ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذب الله في وعيده حيث يقول : ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾^(١) وقوله : ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾^(٢) وقوله : ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزاً حكيماً﴾^(٣) مع آي كثيرة ، فهذا ألقى ممن كذب وعيد الله ويلزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر ، وهو ممن قال الله ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾^(٤) بل نقول : إن الله جلَّ وعزَّ جازى العباد على أعمالهم ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملكهم إياها ، فأمرهم ونهاهم بذلك ونطق كتابه ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾^(٥) وقال جلَّ ذكره : ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه . . . الخ﴾^(٦) وقال : ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم

(١) سورة البقرة: آية ٨١ .

(٢) سورة النساء : آية ١٠ .

(٣) سورة النساء: آية ٥٦ .

(٤) سورة البقرة: آية ٨٥ .

(٥) سورة الأنعام: آية ١٦٠ .

(٦) سورة آل عمران آية ٣٠ .

اليوم»^(١) فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ، ومن دان به . ومثلها في القرآن كثير اختصرنا ذلك لئلا يطول الكتاب وبالله التوفيق . . . »

وأعطى الإمام عليه السلام صورة واضحة عن الجبر ، وبين ما يترتب عليه من المفسد التي من أظهرها نسبة الجور والظلم الى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، ثم انه استدلال على بطلانه تارة بالآيات الكريمة ، وأخرى بالدليل الوجداني الذي لا يقبل الجدل والشك ، واعقب ذلك بذكر الآيات الكريمة الدالة - بوضوح - على مسؤولية الانسان نفسه عما يقترفه من ذنب ومعصية ، وانه محاسب على عمله ، ومؤاخذ بجريته بعدما منحه الله الارادة والاختيار ، ولم يرغمه على أي شيء من الأشياء ، فهو بسوء اختياره قد ارتكب السوء والعصيان ، ثم تعرّض الامام عليه السلام بعد ذلك الى بطلان التفويض :

قال عليه السلام : « وأما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وأخطأ من دان به وتقلده فهو قول القائل : ان الله جلّ ذكره فوّض الى العباد اختيار أمره ونهيه ، وأهمّ لهم . وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب الى تحريره ودقته ، والى هذا ذهب الأئمة المهتدية من عترة الرسول صلّى الله عليه وآله فانّهم قالوا : لو فوّض إليهم على جهة الاهمال لكان لازماً له رضى ما اختاروه ، واستوجبوا منه الثواب ، ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب اذا كان الاهمال واقعاً وتنصرف هذه المقالة على معنيين : اما أن يكون العباد تظاهروا عليه فالزموه قبل اختيارهم بأرائهم ضرورة ، كره ذلك أم أحبّ فقد لزمه الوهن ، أو يكون جلّ وعزّ عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي على إرادته كرهوا أو أحبّوا ففوّض أمره ونهيه إليهم واجراهما على محبتهم إذا عجزوا عن تعبدهم بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان ، ومثل ذلك مثل رجل ملك

(١) سورة المؤمن أو غافر : آية ١٧ .

عبدًا اتباعه ليخدمه ، ويعرف له فضل ولايته ، ويقف عند أمره ونهيه ، وأدعى مالك العبد أنه قاهر عزيز حكيم ، فأمر عبده ، ونهاه ، ووعدته على اتباع أمره عظيم الثواب ، وأوعده على معصيته أليم العقاب ، فخالف العبد إرادة مالكة ، ولم يقف عند أمره ونهيه ، فأمر أمره أو أي نهى نهاه عنه لم يأتها على إرادة المولى ، بل كان العبد يتبع إرادة نفسه ، واتباع هواه ، ولا يطيق المولى أن يرده الى اتباع أمره ونهيه والوقوف على إرادته ، ففوض اختيار أمره ونهيه إليه ، ورضي منه بكل ما فعله على إرادة العبد لا على إرادة المالك وبعثه في بعض حوائجه ، وسمى له الحاجة فخالف على مولاه ، وقصد لإرادة نفسه ، واتباع هواه ، فلما رجع الى مولاه نظر الى ما أتاه به فاذا هو خلاف ما أمره به ، فقال له : لم أتيتني بخلاف ما أمرتك ؟ فقال العبد : اتكلت على تفويضك الأمر اليّ فاتبعت هواي وإرادتي لأن المفوض إليه غير محظور عليه فاستحال التفويض . . . » .

إن حقيقة التفويض هو الالتزام بأن الله تعالى فوض أفعال العباد الى إرادتهم واختيارهم بلا دخل لإرادة الله فيها ، وقد أقام الامام عليه السلام الأدلة الحاسمة على بطلان هذا القول واستحالته ، وأضاف الامام بعد ذلك قائلاً :

« أوليس يجب على هذا السبب اما أن يكون المالك للعبد قادراً بأمر عبده باتباع أمره ونهيه على إرادته لا على إرادة العبد ، ويملكه من الطاقة بقدر ما يأمره به ، وينهاه عنه ، فاذا أمره بأمر ونهاه عن نهى عرفه الثواب والعقاب عليهما ، وحذره ورغبه بصفة ثوابه وعقابه ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملكه من الطاقة^(١) لأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه ، فيكون عدله وانصافه شاملاً له ، وحجته واضحة عليه للإعذار والإنذار ، فاذا اتبع العبد أمر مولاه جازاه وإذا لم

(١) في بعض النسخ من الطاعة .

يزدجر عن نهيه عاقبه ، أو يكون عاجزاً غير قادر ففوّض أمره إليه أحسن أم أساء أطاع أم عصى ، عاجز عن عقوبته ورده الى اتباع أمره ، وفي إثبات العجز نفي القدرة والتأله ، وابطال الأمر والنهي والثواب والعقاب ، ومخالفة الكتاب إذ يقول : ﴿ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم﴾^(١) وقوله عزّ وجلّ : ﴿اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون﴾^(٢) . وقوله : ﴿وما خلقت الجنّ والانس إلّا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾^(٣) . وقوله : ﴿اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾^(٤) . وقوله : ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تولّوا عنه وأنتم تسمعون﴾^(٥) .

فمن زعم أن الله تعالى فوّض أمره ونهيه الى عباده فقد أثبت عليه العجز وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير وشرّ وأبطل أمر الله ونهيه ووعدده ووعيده لعله ما زعم أن الله فوّضها إليه لأنّ المفوض إليه يعمل بمشيئته ، فان شاء الكفر أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محذور ، فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيده وأمره ونهيه ، وهو من أهل هذه الآية ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلّا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة تردّون الى أشدّ العذاب وما الله بغافل عمّا تعملون﴾^(٦) تعالى الله عمّا يدين به أهل التفويض علوّاً كبيراً

إنّ من يدين بالتفويض فقد أثبت العجز الى الله تعالى ، وسلب عنه

(١) سورة الزمر : آية ٧ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٢ .

(٣) سورة الذاريات : آية ٥٦ و ٥٧ .

(٤) سورة النساء : آية ٤٠ .

(٥) مضمون مأخوذ من الآية الواردة في سورة الأنفال آية ٢٠ .

(٦) سورة البقرة آية ٨٥ .

القدرة التامة على التصرف في شؤون عباده وخلقه ، كما يترتب على ذلك لغوية الوعد والوعيد فلا معنى لوعد الله للمطيعين بالفردوس وللعاصين بالعذاب الدائم ، فانه بعدما فوّض تعالى الأمور الى عباده ، فكيف يشيهم وكيف يعاقبهم .

وشرع الامام عليه السلام بعد إبطال الجبر والتفويض الى إثبات نظرية « الأمر بين الأمرين » وهي النظرية التي يذهب إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام قال عليه السلام :

« لكن نقول : إن الله جلّ وعزّ خلق الخلق بقدرته ، وملكهم استطاعة تعبدهم بها ، فأمرهم ونهاهم بما أراد ، فقبل منهم اتباع أمره ، ورضي بذلك لهم ، ونهاهم عن معصيته ، وذمّ من عصاه ، وعاقبه عليها ، والله الخيرة في الأمر والنهي ، يختار ما يريد ، ويأمر به ، وينهى عمّا يكره ، ويعاقب عليه بالاستطاعة التي ملكها عباده لاتباع أمره ، واجتناب معاصيه لأنّه ظاهر العدل والنصفة ، والحكمة البالغة ، بالغ الحجة بالاعذار والانذار ، وإليه الصفة يصطفي من عباده من يشاء لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده ، اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله وبعثه برسالته الى خلقه فقال : من قال : من كفر قومهم حسداً واستكباراً : ﴿لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾^(١) يعني بذلك أمية بن أبي الصلت ، وأبا مسعود الثقفي ، فأبطل الله اختيارهم ، ولم يجز لهم آراءهم حيث يقول : ﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾^(٢) .

ولذلك اختار من الأمور ما أحب ونهى عمّا كره ، فمن أطاعه أثابه ومن

(١) سورة الزخرف : آية ٣٠ .

(٢) سورة الزخرف : آية ٣١ .

عصاه عاقبه ولو فوّض اختيار أمره الى عباده لأجاز لقريش اختيار أمية بن أبي الصلت أو أبي مسعود الثقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمد صلى الله عليه وآله .

فلما أدب الله المؤمنين بقوله : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾^(١) فلم يجز لهم الاختيار باهوائهم ولم يقبل منهم إلا اتباع أمره واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه فمن أطاعه رشد ، ومن عصاه ضلّ وغوى ، ولزمته الحجّة بما ملكه من الاستطاعة لاتباع أمره واجتناب نهيه ، فمن أجل ذلك حرّمه ثوابه وأنزل به عقابه . . . » .

لقد أثبت الامام عليه السلام في هذه الفقرات من كلامه النظرية الأصلية التي يذهب إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام وهي « الأمر بين الأمرين » وقد تامت هذه الفكرة على أساس وثيق من الفكر والوعي والمنطق ، وقد تعرّض سيّدنا الاستاذ الامام الخوئي في بحوثه الأصولية الى الاستدلال عليها بصورة وثيقة ، وكان من بين ما استدللّ به عليها قال : إنّ المسألة ليست من المسائل التبعديّة بل من ناحية أن الطريق الوسط الذي يمكن به حلّ مشكلة الجبر والتفويض منحصر فيه :

تفصيل ذلك : ان أفعال العباد تتوقّف على مقدمتين « الأولى » حياتهم وقدرتهم وعلمهم وما شاكل ذلك « الثانية » مشيئتهم وأعمالهم القدرة نحو إيجادها في الخارج ، والمقدمة الأولى تفيض من الله تعالى ، وترتبط بذاته الأزلية ارتباطاً ذاتياً ، وخاضعة له ، يعني أنّها عين الربط والخضوع ، لا أنّه شيء له الربط والخضوع ، وعلى هذا الضوء لو انقطعت الافاضة من الله سبحانه وتعالى في آن انقطعت الحياة فيه حتماً . . .

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٦ .

أما المقدّمة الثانية : فإنها تفيض من العباد عند فرض وجود المقدمة الأولى فهي مرتبطة بها في واقع مغزاها ، ومتفرّعة عليها ذاتاً ، وعليه فلا يصدر فعل من العبد إلا عند إفضة كلتا المقدمتين ، وأما إذا انتفعت إحداها فلا يعقل تحقّقه وعلى أساس ذلك صحّ اسناد الفعل الى الله تعالى كما صحّ اسناده الى العبد :

ولتوضيح ذلك نضرب مثلاً عرفياً لتمييز كل من نظرتي الجبر والتفويض عن نظرية الإمامية . بيانه : أنّ الفعل الصادر من العبد خارجاً على ثلاثة أصناف :

« الأول » : ما يصدر منه بغير اختياره وإرادته وذلك كما لو افترضنا شخصاً مرتعش اليد ، وقد فقدت قدرته واختياره في تحريك يده مع مثله اذا ربط المولى بيده المرتعشة سيفاً قاطعاً ، وفرضنا أن في جنبه شخصاً راقداً ، وهو يعلم أن السيف المشدود في يده سيقع عليه فيهلكه حتماً . ومن الطبيعي أن مثل هذا الفعل خارج عن اختياره ، ولا يستند إليه ، ولا يراه العقلاء مسؤولاً عن هذا الحادث ، ولا يتوجّه إليه الذمّ واللوم أصلاً ، بل المسؤول عنه إنّما هو من ربط يده بالسيف ، ويتوجه إليه اللوم والذم وهذا واقع نظرية الجبر وحقيقتها .

« الثاني » ما يصدر منه باختياره واستقلاله من دون حاجة الى غيره أصلاً وذلك كما إذا افترضنا ان المولى أعطى سيفاً قاطعاً بيد شخص حرّ ، وقد ملك تنفيذ إرادته وتحريك يده ، ففي مثل ذلك إذا صدر منه قتل في الخارج يستند إليه دون المعطي ، وان كان المعطي يعلم أن إعطائه السيف ينتهي به الى القتل ، كما انه يستطيع أن يأخذ السيف منه متى شاء ، ولكن كل ذلك لا يصحح استناد الفعل إليه ، فان الاستناد يدور مدار دخل شخص في وجوده خارجاً ، والمفروض أنّه لا مؤثر في وجوده ما عدا تحريك يده الذي كان مستقلاً فيه . وهذا واقع نظرية التفويض .

« الثالث » ما يصدر منه باختياره واعمال قدرته على رغم أنه فقير بذاته وبحاجة في كل آن الى غيره بحيث لو انقطع منه مدد الغير في آن انقطع الفعل فيه حتماً ، وذلك كما إذا افترضنا أن للمولى عبداً مشلولاً غير قادر على الحركة فربط المولى بجسمه تياراً كهربائياً ليعث في عضلاته قوة ونشاطاً نحو العمل ، وليصبح بذلك قادراً على تحريكها ، وأخذ المولى رأس التيار الكهربائي بيده وهو الساعي لإيصال القوة في كل آن الى جسم عبده بحيث لو رفع اليد في آن عن السلك الكهربائي انقطعت القوة عن جسمه فيه ، وأصبح عاجزاً . وعلى هذا فلو أوصل المولى تلك القوة الى جسمه وذهب باختياره ، وقتل شخصاً والمولى يعلم بما فعله ، ففي مثل ذلك يستند الفعل الى كل منهما ، أما الى العبد فحيث انه صار متمكناً من إيجاد الفعل وعدمه ، بعد أن أوصل المولى القوة إليه ، وأوجد القدرة في عضلاته ، وهو قد فعل باختياره واعمال قدرته ، واما الى المولى فحيث أنه كان معطي القوة والقدرة له حتى حال الفعل والاشتغال بالقتل مع أنه متمكن من قطع القوة عنه في كل آن شاء وأراد ، وهذا هو واقع نظرية الأمر بين الأمرين وحقيقتها . . . » (١) .

ويأخذ الامام الخوئي في شرح نظرية « الأمر بين الأمرين » التي يدين بها أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وقد استدل على وثاقتها بمجموعة من الأدلة العقلية والنقلية وأثبت أنه لا بدّ من الالتزام بها ، ونعود بعد هذا الى ما ذكره الامام الهادي عليه السلام قال :

« وهذا القول بين القولين : ليس بجبر ولا تفويض ، وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربيعي الأسدي حين سأله عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله ، أو مع الله ؟ فسكت عباية ، فقال

(١) محاضرات في أصول الفقه ٢/٨٧ - ٨٩ ، وقد دونها في البحوث الأصولية التي تلقيناها من سماحته .

له أمير المؤمنين عليه السلام : قل : يا عباية ، قال : وما أقول ؟ قال عليه السلام : إن قلت : إنك تملكها مع الله قتلتك ، وإن قلت : تملكها دون الله قتلتك ، قال عباية : فما أقول : يا أمير المؤمنين ؟ قال عليه السلام : تقول : إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك ، فإن يملكها إياك كان ذلك من عطائه ، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه ، هو المالك لما ملك ، والقادر على ما عليه أقدرك ، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله . قال عباية : وما تأويلها يا أمير المؤمنين ؟ قال عليه السلام : لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله ، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله قال : فوثب عباية فقبل يديه ورجليه . . . » .

لقد ألزم الامام أمير المؤمنين عليه السلام بضرورة التدين « بالأمر بين الأمرين » وأنه جزء من عقيدة الاسلام ، ومن أوليات مبادئه .

قال عليه السلام : وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله ، قال : يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك ؟ قال عليه السلام : بالتمييز الذي خولني والعقل الذي دلني ، قال : أفمجبول أنت عليه ؟ قال : لو كنت مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان ، ولا مذموماً على إساءة ، وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء ، فعلمت أن الله قائم باق وما دون حدث حائل زائل ، وليس القديم الباقي كالحدث الزائل ، قال نجدة : أجدك أصبحت حكيماً ، يا أمير المؤمنين ، قال : أصبحت مخيراً ، فإن أتيت السيئة مكان الحسنه فأنا المعاقب عليها .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : لرجل سأله بعد انصرافه من الشام ، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا الى الشام بقضاء وقدر ؟ قال عليه السلام : نعم يا شيخ ، ما علوتم قلعة^(١) ولا هبطتم وادياً إلا

(١) القلعة : ما علا من الأرض .

بقضاء وقدر من الله ، فقال الشيخ : عند الله احتسب عنائي يا أمير المؤمنين ، فقال عليه السلام : مه يا شيخ فان الله قد عظم أجركم في مسيركم ، وأنتم سائرون ، وفي مقامكم وأنتم مقيمون ، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من أموركم مكرهين ولا إليه مضطرين ، لعلك ظننت أنه قضاء حتم ، وقدر لازم ، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، ولسقط الوعد والوعيد ، ولما ألزمت الأشياء أهلها على الحقائق ، ذلك مقالة عبدة الأوثان ، وأولياء الشيطان ، ان الله عزّ وجلّ أمر تخييراً ، ونهى تحذيراً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقام الشيخ فقبل رأس الامام أمير المؤمنين وأنشأ يقول :

أنت الامام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربك عنا فيه رضوانا
فليس معذرة في فعل فاحشة قد كنت راكبها ظلماً وعصيانا

فقد دلّ أمير المؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض اللذين يلزمان من دان بهما ، وتقلدهما الباطل والكفر وتكذيب الكتاب ، ونعوذ بالله من الضلالة والكفر ، ولسنا ندين بجبر ولا تفويض لكننا نقول : بمنزلة بين المنزلتين ، وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملكنا الله وتعبدنا بها على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول صلوات الله عليهم . . . » .

لقد دعم الامام الهادي ما ذهب إليه من بطلان الجبر والتفويض واثبات (الأمر بين الأمرين) بما أثر عن جدّه الامام أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك ، ثم أخذ الامام عليه السلام في ضرب الأمثلة لتأييد ما ذكره .

قال عليه السلام : « ومثل الاختبار بالاستطاعة مثل رجل ملك عبداً

وملك مالا كثيراً أحب أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه ، فملكه من ماله بعض ما أحب ووقفه^(١) على أمور عرّفها العبد فأمره أن يصرف ذلك المال فيها ، ونهاه عن أسباب لم يحبها ، وتقدم إليه أن يجتنبها ، ولا ينفق من ماله فيها ، والمال يتصرف في أي الوجهين ، فصرف المال أحدهما في اتباع أمر المولى ورضاه ، والاخرى صرفه في اتباع نهيه وسخطه ، واسكنه دار اختيار أعلمه أنه غير دائم له السكن في الدار وان له داراً غيرها ، وهو مخرجه إليها ، فيها ثواب وعقاب دائمان ، فان انفذ العبد المال الذي ملكه مولاه في الوجه الذي أمره به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مخرجه إليها ، وان انفق المال في الوجه الذي نهاه عن انفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود ، وقد حدّ المولى في ذلك حدّاً معروفاً ، وهو المسكن الذي أسكنه في الدار الأولى ، فاذا بلغ الحدّ استبدل المولى بالمال وبالعبد على أنه لم يزل مالكاً للمال والعبد في الأوقات كلها الا أنه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى الى أن يستتم سكناه فيها ، فوفى له لأن من صفات المولى العدل والوفاء ، والنصفه ، والحكمة ، وليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأمور به أن يفي له بما وعده من الثواب ، وتفضل عليه بأن استعمله في دار فانية ، وأثابه على طاعته فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة ، وإن صرف العبد المال الذي ملكه مولاه أيام سكناه تلك الدار الأولى في الوجه المنهي عنه ، وخالف أمر مولاه ، كذلك تجب عليه العقوبة الدائمة التي حذر إياها غير ظالم له لما تقدم إليه وأعلمه وعرفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده بذلك يوصف القادر القاهر ، وأما المولى فهو الله جلّ وعزّ ، وأما العبد فهو ابن آدم المخلوق ، والمال قدرة الله الواسعة ، ومحنته اظهار الحكمة والقدرة . والدار الفانية هي الدنيا ، وبعض المال الذي ملكه مولاه هو الاستطاعة التي ملك ابن آدم ، والأمور

(١) في بعض النسخ « ووافقه » .

التي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتباع الأنبياء ، والإقرار بما أوردوه عن الله جلّ وعزّ واجتناب الاسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس ، وأمّا وعده فالنعيم الدائم وهي الجنة ، وأمّا الدار الفانية فهي الدنيا ، وأمّا الدار الاخرى فهي الدار الباقية وهي الآخرة ، والقول : بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي ملّك العبد وشرحها في الأمثال الخمسة التي ذكرها الصادق عليه السلام أنّها جمعت جوامع الفضل ، وأنا مفسرها بشواهد من القرآن والبيان ان شاء الله . . . » .

ان هذا المثل الذي أقامه الامام عليه السلام صريح واضح في أن الانسان يملك إرادته واختياره فهو إذ يطيع الله فانما يطيعه عن رضى واختيار وليس مجبوراً على ذلك ، وكذلك في حال عصيانه ، وخروجه عن سلطنة مولاه ، وعلى هذا الاختيار يبتنى الأمر بين الأمرين ، وهي الفكرة الرائعة التي تبناها أئمة أهل البيت عليهم السلام .

ولنستمع الى حديث الامام عليه السلام قال :

« أما قول الصادق عليه السلام : فان معناه كمال الخلق للانسان ، وكمال الحواس ، وثبات العقل والتمييز واطلاق اللسان بالنطق ، وذلك قول الله : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾^(١) فقد أخبر عزّ وجلّ عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع ودواب البحر والطير وكل ذي حركة تدركه حواس بني آدم بتميّز العقل والنطق ، وذلك قوله : ﴿ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ﴾^(٢) وقوله : ﴿ يا أيّها الانسان ما غرّك بربّك الكريم ، الذي خلقك فسوّك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك ﴾^(٣) وفي

(١) سورة الاسراء : آية ٧٠ .

(٢) سورة التين : آية ٤ .

(٣) سورة الانفطار : آية ٦ و٧ و٨ .

آيات كثيرة ، فأول نعمة الله على الانسان صحة عقله وتفضيله على كثير من خلقه بكمال العقل وتمييز البيان وذلك ان كل ذي حركة على بساط الأرض هو قائم بنفسه بحواسه ، مستكمل في ذاته ففضل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواس ، فمن أجل النطق ملك الله ابن آدم غيره من الخلق حتى صار آمراً ناهياً وغيره مسخرأله كما قال الله : ﴿كذلك سخّرنا لكم لتكبروا الله على ما هداكم﴾^(١) وقال : ﴿وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾^(٢) وقال : ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الاّ بشقّ الأنفس﴾^(٣) فمن أجل ذلك دعا الله الانسان الى اتباع أمره والى طاعته بتفضيله إياه باستواء الخلق ، وكمال النطق والمعرفة بعد أن ملكهم استطاعة ما كان تعبدهم به بقوله : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾^(٤) وقوله : ﴿لا يكلف الله نفساً الاّ وسعها﴾^(٥) وقوله : ﴿لا يكلف الله نفساً الاّ ما آتھا﴾^(٦) وفي آيات كثيرة فاذا سلب من العبد حاسة من حواسه رفع العمل عنه بحاسته كقوله : ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج﴾^(٧) فقد رفع عن كل من كان بهذه الصفة الجهاد وجميع الأعمال التي لا يقوم بها ، وكذلك أوجب على ذي اليسار الحجّ والزكاة لما ملكه من استطاعة ذلك ، ولم يوجب على الفقير الزكاة والحجّ ، قوله : ﴿والله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه

(١) سورة الحج : آية ٣٨ .

(٢) سورة النحل : آية ١٤ .

(٣) سورة النحل : آية ٨ .

(٤) سورة التغابن : آية ١٦ .

(٥) سورة البقرة : آية ٢٨٦ .

(٦) سورة الطلاق : آية ٧ .

(٧) سورة النور : آية ٦٠ .

وقوله في الظهار : ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة - الى قوله :- فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً﴾^(٢) كل ذلك دليل على أن الله تبارك وتعالى لم يكلف عباده إلا ما ملكهم استطاعته بقوة العمل به ، ونهاهم عن مثل ذلك فهذه صحّة الخلقه .

وأما قوله : تخلية السرب^(٣) فهو الذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ، ويمنعه العمل بما أمره الله به ، وذلك قوله : فيمن استضعف ، وحظر عليه العمل فلم يجد حيلة ، ولا يهتدي سبيلاً كما قال الله تعالى : ﴿الآ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾^(٤) فأخبر ان المستضعف لم يخل سربه ، وليس عليه من القول شيء إذا كان مطمئن القلب بالإيمان .

وأما المهلة في الوقت فهو العمر الذي يمتنع الانسان من حدّ ما تجب عليه المعرفة الى أجل الوقت ، وذلك من وقت تمييزه وبلوغه الحلم الى أن يأتيه أجله ، فمن مات على طلب الحق ولم يدرك كماله فهو على خير ، وذلك قوله : ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله - الآية﴾^(٥) وان كان لم يعمل بكمال شرايعه لعله ما لم يمهل في الوقت الى استتمام أمره ، وقد حظر على البالغ ما لم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله : ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن - الآية﴾^(٦) فلم يجعل عليهن حرجاً

(١) سورة آل عمران : آية ٩١ .

(٢) سورة المجادلة : آية ٤ و ٥ .

(٣) السرب : بالفتح والكسر - الطريق يقال : فلان مخلى السرب أي غير مضيق عليه .

(٤) سورة النساء : آية ١٠٠ .

(٥) سورة النساء : آية ١٠٠ .

(٦) سورة النور : آية ٣١ .

في إبداء الزينة للطفل ، وكذلك لا تجري عليه الأحكام ، وأما قوله : ﴿الزاد﴾ فمعناه الجدة^(١) والبلغة التي يستعين بها العبد على ما أمره الله به ، وذلك قوله : ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾^(٢) ألا ترى أنه قبل عذر من لم يجد ما ينفق ، وألزم الحجّة كل من أمكته البلغة والراحلة للحجّ والجهاد ، واشباه ذلك وكذلك قبل عذر الفقراء ، وأوجب لهم حقاً في مال الأغنياء بقوله : ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله - الآية -﴾^(٣) فأمر باعفائهم ، ولم يكلفهم الاعداد لما لا يستطيعون ولا يملكون .

وأما قوله : في السبب المهيج فهو النية التي هي داعية الانسان الى جميع الأفعال ، وحاستها القلب فمن فعل فعلاً ، وكان بدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل الله منه عملاً إلا بصدق النية ، ولذلك أخبر عن المنافقين بقوله : ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون﴾^(٤) ثم أنزل على نبيه صلى الله عليه وآله توبيخاً للمؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون - الآية -﴾^(٥) فاذا قال الرجل : قوله واعتقد في قوله دعتة النية الى تصديق القول باظهار الفعل واذا لم يعتقد القول لم تتبين حقيقته . وقد اجاز الله صدق النية وان كان الفعل غير موافق لها لعله مانع يمنع اظهار الفعل في قوله : ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾^(٦) وقوله : ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾^(٧) فدلل القرآن واخبار الرسول صلى الله عليه وآله ان القلب مالك لجميع الحواس يصحح أفعالها ، ولا يبطل ما يصحح

(١) الجدة : - بالكسر - الغنى والقدرة .

(٢) سورة التوبة : آية ٩١ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٧٣ .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٦٦ .

(٥) سورة الصف : آية ٢ .

(٦) سورة النحل : آية ١٠٦ .

(٧) سورة البقرة : آية ٢٢٥ .

القلب شيء فهذا شرح جميع الأمثال الخمسة التي ذكرها الصادق عليه السلام أنها تجمع المنزلة بين المنزلتين وهما الجبر والتفويض، فإذا اجتمع في الانسان كمال هذه الأمثال الخمسة وجب عليها العمل كمالاً لما أمر الله عزّ وجلّ به ورسوله ، واذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنها مطروحاً بحسب ذلك .

لقد شرح الامام عليه السلام الأمثال الخمسة التي أدلى بها الصادق عليه السلام ونظر الامام الى أعماق هذه الأمور وبيّن فلسفتها بأسلوبه المنطقي الرائع ثم قال عليه السلام :

« فأما شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة ومن ذلك قوله : ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾^(١) وقال : ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾^(٢) وقال : ﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾^(٣) وقال : في الفتن التي معناها الاختبار ﴿ولقد فتنا سليمان﴾^(٤) وقال في قصة موسى عليه السلام ﴿فإنّا قد فتنا قومك من بعدك وأضلّهم السامري﴾^(٥) وقول موسى : ﴿ان هي الآ فتنتك﴾^(٦) أي اختبارك ، فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض ، ويشهد بعضها لبعض .

وأما آيات البلوى بمعنى الاختبار قوله : ﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾^(٨) وقوله : ﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾^(٧) وقوله : ﴿إنّا بلوناهم كما بلونا

(١) سورة محمد : آية ٣٣ .

(٢) سورة الاعراف آية ١٨١ .

(٣) سورة العنكبوت : آية ١ .

(٤) سورة ص : آية ٣٣ .

(٥) سورة طه : آية ٨٧ .

(٦) سورة الاعراف : آية ١٥٤ .

(٧) سورة المائدة : آية ٤٨ .

(٨) سورة آل عمران : آية ١٥٢ .

أصحاب الجنة ﴿^(١)﴾ وقوله : ﴿خلق الموت والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ ﴿^(٢)﴾ وقوله : ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات﴾ ﴿^(٣)﴾ وقوله : ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضهم ببعض﴾ ﴿^(٤)﴾ .

وكل ما في القرآن من بلوى هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار وأمثالها في القرآن كثيرة فهي إثبات الاختبار والبلوى : ان الله جلّ وعزّ لم يخلق الخلق عبثاً ، ولا أهملهم سدى ولا أظهر حكمته لعباً ، وبذلك أخبر في قوله : ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً﴾ ﴿^(٥)﴾ فان قال قائل : فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتى اختبرهم ، قلنا بلى ما يكون منهم قبل كونه وذلك قوله : ﴿ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ ﴿^(٦)﴾ وأنما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعذبهم إلا بحجة بعد الفعل . وقد أخبر بقوله : ﴿ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربّنا لولا أرسلناك إلينا رسولاً﴾ ﴿^(٧)﴾ وقوله : ﴿وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ ﴿^(٨)﴾ وقوله : ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين﴾ ﴿^(٩)﴾ فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملكها عبده وهو القول : بين الجبر والتفويض . وبهذا نطق القرآن وجرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول صلّى الله عليه وآله .

فان قالوا : ما الحجّة في قول الله : ﴿يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء﴾ وما أشبهها ؟ قيل : مجاز هذه الآيات كلها على معنيين : أما أحدهما فإخبار

(١) سورة القلم : آية ١٧ .

(٢) سورة الملك : آية ٢ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٢٣ .

(٤) سورة محمد : آية ٥ .

(٥) سورة المؤمنون : آية ١١٠ .

(٦) سورة الانعام : آية ٢٨ .

(٧) سورة طه : آية ١٣٤ .

(٨) سورة الاسراء : آية ١٦ .

(٩) سورة النساء : آية ١٦٣ .

عن قدرته أي أنه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب، على نحو ما شرحنا في الكتاب والمعنى الآخر ان الهداية منه تعريفه كقوله : ﴿وأما ثمود فهديناهم - أي عرفناهم - فاستحبوا العمى على الهدى﴾^(١) فلو أجبرهم على الهدى لم يقدرُوا أن يضلوا ، وليس كلما وردت آية مشتبهة كانت الآية حجة على محكم الآيات اللواتي أمرنا بالأخذ بها ، من ذلك قوله : ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . الآية﴾^(٢) وقال : ﴿فبشر عبادي ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾^(٣) أي أحكمه وأشرحه ﴿وأولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾^(٤) .

وفقنا الله وإياكم الى القول والعمل لما يحب ويرضى ، وجنبنا وإياكم معاصيه بمنه وفضله ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين وحسبنا الله ونعم الوكيل . . .»^(٥) .

وانتهت هذه الرسالة التي تمثل جانباً أصيلاً من الثروات العلمية الهائلة التي يملكها الامام الهادي عليه السلام ، فقد فند فيها أوهام الأشاعرة والمعتزلة ، وأثبت بالأدلة الحاسمة « الأمر بين الأمرين » وهي الفكرة الرائعة التي يذهب إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض البحوث الكلامية والفلسفية التي خاضها الإمام عليه السلام .

(١) سورة فصلت: آية ١٧ .

(٢) سورة آل عمران: آية ٧ .

(٣) سورة الزمر آية ١٧ - ١٨ .

(٤) سورة الزمر آية ١٨ .

(٥) تحف العقول (ص ٤٥٨ - ٤٧٥) ورواه الطبرسي في الاحتجاج بصورة موجزة .

أدعيته :

أما أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام فإنها تمثل روعة التراث الإسلامي ، وأصالته وقد حفلت بما يلي :

١ - أنها وضعت قواعد السلوك ، وأصول الأخلاق ، وما تزدهر به الشخصية من القوى الروحية الواعية .

٢ - إنها تشتمل على وثائق سياسية خطيرة ، فهي تمثل مدى الاضطهاد والجور الذي مُني به العالم الإسلامي في تلك العصور من قبل الحكام الأمويين والعباسيين الذين لم يألوا جهداً في ظلم الناس وإرغامهم على ما يكرهون .

٣ - إنها تمثل انقطاع الأئمة الى الله ، والتجاءهم إليه ، وأنهم قد آمنوا به بمشاعرهم وعواطفهم وقلوبهم .

هذه بعض ما احتوت عليه أدعية الأئمة عليهم السلام من الخصائص ، ونعرض الى بعض أدعية الامام الهادي عليه السلام ، وقد ذكرنا بعضاً منها عند التحدّث عن عبادته ، وفيما يلي ذلك :

دعاؤه عند الشدائد :

من أدعيته هذا الدعاء الشريف ، وكان يدعو به إذا ألمّت به حادثة أو حلّ به خطب ، أو أراد قضاء حاجة مهمة له ، ويقول الرواة : أنه قبل أن يدعو به يصوم يوم الأربعاء والخميس والجمعة ثم يغتسل في أول يوم الجمعة ، ويتصدّق على مسكين ، ويصلي أربع ركعات يقرأ في الركعة الأولى سورة الفاتحة وسورة يسن وفي الثانية سورة الحمد وحم الدخان ، وفي الثالثة سورة الحمد مع سورة الواقعة ، وفي الرابعة سورة الحمد وسورة تبارك ، وإذا فرغ

منها بسط راحتيه الى السماء ، ودعا باخلاص بهذا الدعاء^(١) وقد جاء فيه
بعد البسمة :

اللهم لك الحمد حمداً يكون أحقّ الحمد بك ، وأرضى الحمد لك ،
وأوجب الحمد لك ، واجب الحمد إليك ، ولك الحمد كما أنت أهله ، وكما
رضيته لنفسك وكما حمدك من رضيت حمده ، من جميع خلقك ، ولك
الحمد كما حمدك به جميع أنبيائك ، ورسلك وملائكتك ، وكما ينبغي
لعزك ، وكبريائك ، وعظمتك ، ولك الحمد حمداً تكلّ الألسن عن صفته
ويقف القول عن منتهاه ، ولك الحمد حمداً لا يقصر عن رضاك ، ولا يفضله
شيء من محامدك .

اللهم : لك الحمد في السراء والضراء والشدة والرخاء ، والعافية
والبلاء ، والسنين والدهور ، ولك الحمد على آلائك ، ونعمائك علي ،
وعندي ، وعليّ ما أوليتني ، وأبليتني وعافيتني ، ورزقتني ، وأعطيتني ،
وفضلتني وشرفتني ، وكرمتني ، وهديتني ، لدينك حمداً لا يبلغه وصف
واصف ، ولا يدركه قول قائل .

اللهم : لك الحمد حمداً فيما آتيته إلي من إحسانك عندي ، وأفضالك
عليّ ، وتفضلك إياي على غيري ، ولك الحمد على ما سويت من خلقي ،
وأدبتني فأحسنت أدبي ممّا منك لا لسابقة كانت مني ، فأبيّ النعم يا ربّ لم
تتخذ عندي ، وأيّ الشكر لم تستوجب مني ، رضيت بلطفك ، وبكفايتك من
جميع الخلق خلقاً .

يا ربّ أنت المنعم عليّ ، المحسن ، المتفضل ، الجميل ، ذو الجلال
والإكرام ، والفواضل والنعم العظام ، فلك الحمد على ذلك ، يا ربّ لم
تخذلني في شديدة ، ولم تسلمني بجريرة ولم تفضحني بسريرة ، لم تنزل

(١) الوسائل ٦٢/٥ .

نعماؤك عند كل عسر ويسر أنت حسن البلاء ولك عندي قديم العفو .

اللهم : متعني بسمعي وبصري وجوارحي ، وما أقلت الأرض مني ، اللهم وان أول ما أسألك من حاجتي ، وأطلب إليك من رغبتني ، وأتوسل به بين يدي مسألتي ، واتقرب به إليك بين يدي طلبتي الصلاة على محمد وآل محمد ، وأسألك أن تصلي عليه وعليهم كأفضل ما أمرت أن يُصلى عليهم ، وكأفضل ما سألك أحد من خلقك ، وكما أنت مسؤول لهم الى يوم القيامة ، اللهم فصل عليهم بعدد من صلى عليهم ، وبعدهم من يصلي عليهم صلاة دائمة تصلها بالوسيلة والرفعة والفضيلة ، وصل على جميع انبيائك ورسلك وعبادك الصالحين ، وصل اللهم على محمد وآله ، وسلم عليهم تسليماً كثيراً .

اللهم : ومن جودك وكرمك انك لا تخيب من طلب إليك وسألك ، ورغب فيما عندك ، وتبغض من لم يسألك ، وليس كذلك أحد غيرك ، وطمع يا رب في رحمتك ومغفرتك ، وثقتي بإحسانك وفضلك حداني على دعائك ، والرغبة إليك ، وانزال حاجتي بك ، وقد قدمت أمام مسألتي التوجه بنيك الذي جاء بالحق والصدق فيما عندك ، ونورك وصراطك المستقيم الذي هديت به العباد ، واحييت بنوره البلاد ، وخصصته بالكرامة ، واكرمته بالشهادة ، وبعثته على حين فترة من الرسل صلى الله عليه وآله ، اللهم اني مؤمن بسرهِ وعلانته ، وسر أهل بيته الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً . . . اللهم ولا تقطع بيني وبينهم في الدنيا والآخرة ، واجعل عملي بهم مقبلاً .

اللهم : دللت عبادك على نفسك فقلت : تبارك وتعاليت ﴿وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾^(١) وقلت : ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا

(١) سورة البقرة آية ١٨٦ .

من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم ﴿١﴾
 وقلت : ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون﴾ ﴿٢﴾ أجل يا رب نعم المدعو أنت ،
 ونعم الرب أنت ، ونعم المجيب وقلت : ﴿قل ادعوا الله وادعوا الرحمن أيّاما
 تدعوا فله الأسماء الحسنی﴾ ﴿٣﴾ وأنا ادعوك اللهم باسمائك التي إذا دعيت بها
 أجبت ، وإذا سئلت بها أعطيت ، وادعوك متضرعاً إليك مسكيناً، دعاء من
 اسلمته الغفلة ، واجهدته الحاجة ، ادعوك دعاء من استكان ، واعترف بذنبه ،
 ورجاك لعظيم مغفرتك وجزيل مثوبتك .

اللهم : إن كنت خصصت أحداً برحمتك طائعاً فيما أمرته ، وعمل لك
 فيما له خلقته فانه لم يبلغ ذلك إلا بك وبتوفيقك ، اللهم من أعدّ واستعد
 لوفادة مخلوق رجاء رفته وجوائزهِ فإليك يا سيدي كان استعدادي رجاء رفدك
 وجوائزك فأسألك ان تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تعطيني مسألتني
 رنجاتي . . ثم سأل الامام حاجته وطلب منه قضاءها ، واضاف يقول :

يا اكرم المنعمين ، وافضل المحسنين صل على محمد وآله ، ومن
 أرادني بسوء من خلقك فاحرج صدره ، وافحم لسانه ، واسدد بصره ، واقمع
 رأسه ، واجعل له شغلاً في نفسه ، واكفنيه بحولك وقوتك ، ولا تجعل
 مجلسي آخر المجالس التي ادعوك بها متضرعاً إليك فان جعلته فاغفر لي
 ذنوبي كلها مغفرة لا تغادر لي بها ذنباً ، واجعل دعائي في المستجاب وعملي
 في المرفوع المتقبل عندك ، وكلامي فيما يصعد إليك من العمل الطيب ،
 واجعلني مع نبيك وصفيك ، والأئمة صلواتك عليهم اجمعين ، فبهم اللهم
 اتوسل ، واليك بهم ارغب ، فاستجب دعائي يا ارحم الراحمين ، واقلني من
 العثرات ، ثم ان الإمام سأل حاجته ، وهوى إلى السجود ، وقال :

(١) سورة الزمر آية ٥٢ .

(٢) سورة الصافات آية ٧٥ .

(٣) سورة الاسراء آية ١٠٩ .

لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، سبحان الله رب السموات السبع ، ورب الأرضين السبع ، ورب العرش العظيم ، اللهم اني اعوذ بعفوك من عقوبتك ، واعوذ برضاك من سخطك ، واعوذ بك منك ، لا ابلغ مدحتك ، ولا الثناء عليك ، وأنت كما أثنت على نفسك ، اجعل حياتي زيادة لي من كل خير ، واجعل وفاتي راحة لي من كل شر ، واجعل قرة عيني في طاعتك يا ثقتي ورجائي لا تحرق وجهي بالنار بعد سجودي لك يا سيدي من غير من مني عليك بك لك المنُّ علي فارحم ضعفي ورقة جلدي ، واكفني ما اهمني من أمر الدنيا والآخرة ، وارزقني مرافقة النبي (ص) وأهل بيته عليه وعليهم السلام في الدرجات من الجنة . . . يا نور النور ، يا مدبر الأمور ، يا جواد يا ماجد ، يا واحد ، يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد يا من هو هكذا ، ولا يكون هكذا غيره ، يا من ليس في السموات العلى ، ولا في الأرضين السفلى إله سواه ، يا معز كل ذليل ، ويا مذل كل عزيز ، قد وعزتك وجلالك عيل صبري ، فصل على محمد وآل محمد ، وفرج عني . . . » .

أي نفس ملائكية مثل نفسية الامام (ع) التي مثلت روحانية الانبياء وقداسة الأوصياء ، لقد انقطع الى الله ، وأمن بأن جميع مجريات الأحداث انما هي بيد الله خالق الكون ، وواهب الحياة ، فاعتصم به ، والجأ جميع أموره إليه ، وما ابدع هذا الدعاء ففيه جمال التعبير ، وروعة الأدب والعرض .

دعاؤه في النوم :

ومن ادعيته الشريفة هذا الدعاء وكان يدعو به اذا اراد النوم ، أو انتبه من نومه ، وهذا نصه :

« لا إله إلا الحي القيوم ، وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله رب

العالمين وإله المرسلين ، وسبحان الله رب السموات السبع وما فيهن ، ورب
الأرضين السبع وما فيهن ، ورب العرش العظيم ، وسلام على المرسلين ،
والحمد لله رب العالمين . . . » .

لقد كان الامام (ع) يردد هذا الدعاء في اكثر أوقاته ، وهو ينم عن مدى
تعلق الامام (ع) بالله .

دعاء الاعتصام :

ومن ادعيته هذا الدعاء الشريف الذي يعتصم فيه بالله ، وهذا نصه : «
يا عدتي عند العدد ، يا رجائي والمعتمد ، يا كهفي والسند ، يا واحد يا
أحد ، يا قل هو الله أحد ، أسألك بحق من خلقته من خلقك ، ولم تجعل في
خلقك مثلهم أحداً ان تصلي عليهم . . . » ومثل هذا الدعاء مدى اعتصام
الامام بالله وانقطاعه إليه .

دعاؤه للاستعاذة من الشيطان :

وكان الامام (ع) يدعو بهذا الدعاء الشريف للاستعاذة من شر الشيطان
الرجيم وقد جاء فيه بعد البسملة « يا عزيز ، العز في عزه ، يا اعز عزيز في
عزه ، يا عزيز اعزني بعزك ، وايدني بنصرك ، وادفع عني همزات الشياطين
وادفع عني بدفعك ، وامنع بصنعك ، واجعلني من خيار خلقك ، يا واحد ،
يا أحد ، يا فرد ، يا صمد . . . » .

دعاء جليل :

من ادعيته هذا الدعاء الجليل ، وقد رواه الطبرسي بسنده عن أبي
هاشم داود بن القاسم الجعفري قال : كتبت الى الامام الهادي بعض مواليه
يسأله شيئاً من الدعاء فكتب (ع) له بهذا الدعاء :

« يا اسمع السامعين ، يا ابصر المبصرين ، يا انظر الناظرين ، ويا

أسرع الحاسيين ويا ارحم الراحمين ، ويا احكم الحاكمين صل على محمد وآل محمد ، وأوسع لي في رزقي ، ومدّ لي في عمري ، وامن علي برحمتك ، واجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري . . .»^(١) .

هذه بعض أدعية الامام الهادي عليه السلام ، وسنذكر بعضها منها في البحوث الآتية من هذا الكتاب .

مناجاته :

كان الامام أبو الحسن الهادي يناجي الله تعالى في غلس الليل البهيم بقلب خاشع ، ونفس آمنة مطمئنة ، وقد أثر عنه في ذلك ما يلي :

١ - كان يقول في مناجاته : « الهي مسيء قد ورد ، وفقير قد قصد ، لا تخيب مسعاه ، وارحمه واغفر له خطاه . . .»^(٢) .

٢ - من مناجاته : « الهي صل على محمد وآل محمد ، وارحمني اذا انقطع من الدنيا أثري ومُحي من المخلوقين ذكرني ، وصرت في المنسيين كمن نسي ، الهي كبر سني ، ورق جلدي ودق عظمي ، ونال الدهر مني ، واقترب أجلي ، ونفذت أيامي ، وذهبت شهواتي وبقيت تبعاتي ، الهي ارحمني اذا تغيرت صورتي . . .»^(٣) .

٣ - كان يناجي الله تعالى بهذه المناجاة : «إلهي تاهت أوهام المتوهّمين ، وقصر طرف الطارفين ، وتلاشت أوصاف الواصفين ، واضمحلت اقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك ، أو الوقوع بالبلوغ الى علوك فأنت في المكان الذي لا يتناهى ، ولم تقع عليك عيون باشارة ، ولا عبارة ، هيهات ثم هيهات يا أولي ، يا وحداني ، يا فرداني ، شمخت في العلو بعز ،

(١) أعيان الشيعة ٤ / ق ٢٨٥ / ٢ .

(٢) الدر النظيم .

(٣) أدعية البحار .

وارتفعت من وراء كل غدره ونهاية بجبروت الفخر . . .»^(١) .

زياراته للأئمة :

وأثرت عن الأمام أبي الحسن الهادي عليه السلام مجموعة من الزيارات الرائعة زار بها آباءه الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وهي مليئة بالاحتجاج على أحقية أهل البيت (ع) بالخلافة الاسلامية ، كما احتوت على وثائق مهمة من مآثرهم وفضائلهم ، ومناقبهم ، ونشير الى بعض زيارته .

زيارة الجامعة :

وهي من أشهر زيارات الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، واعلاها شأنها ، واكثرها ذيوعاً وانتشاراً ، فقد أقبل اتباع أهل البيت (ع) وشيعتهم على حفظها ، وزيارة الأئمة بها خصوصاً في يوم الجمعة ، -وتحدثت- باختصار- عنها .

صحّة سندها :

أما سند زيارة الجامعة فقد حاز درجة القطع من الصحة ، فقد رواها شيخ الطائفة في التهذيب ، ورئيس المحدثين الصدوق في (الفقيه) و(العيون) وغيرهما قال المجلسي : إن هذه الزيارة من أصحّ الزيارات سنداً ، وأعمقها مورداً ، وأفصحها لفظاً ، وأبلغها معنى ، وأعلاها شأناً^(٢) .

لقد روى هذه الزيارة محمد بن إسماعيل البرمكي عن موسى بن عبد الله النخعي ، ولنستمع إليه يحدثنا قال : قلت : لعلي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، علّمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله : بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً

(١) التوحيد .

(٢) مزار البحار .

منكم ، فقال : إذا صرت الى الباب فقف واشهد الشهادتين ، وأنت على غسل ، فاذا دخلت ورأيت القبر فقف ، وقل : الله أكبر الله أكبر ، ثلاثين ثم امش قليلاً وعليك السكينة والوقار ، وقارب بين خطاك ، ثم قف وكبر الله عز وجل ثلاثين مرة ، ثم ادن من القبر ، وكبر الله أربعين مرة تمام مائة تكبيرة ثم ساق الامام عليه السلام الزيارة^(١) .

بلاغتها :

وتفيض زيارة الجامعة بالأدب الرائع ، فقد رصعت بأرق الألفاظ كما تحلّت بجواهر الفصاحة والبلاغة ، وبداعة الديباجة ، وجمال التعبير ودقة المعاني الأمر الذي يدل على صدورها عن الامام عليه السلام ، فقد اعتبر العلماء ان آية الخبر الصحيح هو ما اذا كان في أرقى مراتب البلاغة ، فان الأئمة الطاهرين هم معدن البلاغة والفصاحة ، وهم الذين أسسوا قواعد الكلم البليغ ، فكان كلامهم في أعلى مراتب الكلام الفصيح .

شروحا :

واهتمّ العلماء اهتماماً بالغاً بشرح زيارة الجامعة لما فيها من المطالب العالية ، والأسرار المنيعه ، والأمور البديعة ، وفيما يلي بعض شروحا :

١ - شرح الزيارة الجامعة الكبيرة للعلامة الشيخ أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الأحسائي ، وهو شرح كبير .

٢ - شرح الزيارة الجامعة ، لمحمد تقي بن مقصود المجلسي .

٣ - شرح الزيارة الجامعة فارسي للسيد حسين بن السيد محمد تقي

الهمداني .

٤ - شرح الزيارة الجامعة للسيد عبد الله بن السيد محمد رضا شبّر

(١) مزار البحار .

الحسيني أسماء الأنوار اللامعة .

- ٥ - شرح الزيارة الجامعة للسيد علي نقي الحائري .
- ٦ - شرح الزيارة الجامعة للشيخ محمد علي الرشتي النجفي .
- ٧ - شرح الزيارة الجامعة للسيد محمد بن محمد باقر الحسيني .
- ٨ - شرح الزيارة الجامعة للسيد محمد بن عبد الكريم الطباطبائي البرجوردي^(١) .

هذه بعض الشروح والتعليقات التي عليها ، وهي تدل على مدى أهميتها . . . ولا نرى نحن في حاجة لذكر هذه الزيارة نظراً لشيوعها ، وانتشارها بين المسلمين ، فقد طبعت مئات الطبعات مستقلة وفي ضمن كتب الأدعية والزيارات .

زيارة الغدير :

من أهمّ زيارات الأئمة الطاهرين - عند الشيعة الإمامية - زيارة الغدير ، فقد اهتمّوا بها اهتماماً بالغاً ، لأنها رمز لذلك اليوم الخالد في دنيا الاسلام ، ذلك اليوم الذي قرّر فيه الرسول صلّى الله عليه وآله المصير الحاسم لأمته ، فنصب الامام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة على المسلمين ، وتوجّه بتاج الإمامة والخلافة ، وتعتبر الشيعة يوم الغدير عيداً لهم لأنّه المصدر الأصيل لكيانهم العقائدي ، وانهم منذ فجر تاريخهم حتى يوم الناس هذا يزورون مرقد الامام أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير ويجددون له الولاء والبيعة ، وقد زاره الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام في السنة التي أشخصه بها المعتصم من يشرب الى سر من رأى^(٢) ، وقد زاره بهذه الزيارة

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة ١٣/٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٢) مفاتيح الجنان (ص ٣٦٣) للشيخ عباس القمي .

التي هي من أروع وأجلّ الزيارات ، فقد تحدّث فيها عن فضائل الامام أمير المؤمنين عليه السلام وما عاناه في عصره من المشاكل السياسية والاجتماعية من فقرات هذه الزيارة :

ويجدد بنا أن نشير الى بعض فقرات هذه الزيارة التي هي من ملاحم أهل البيت عليهم السلام :

١ - تحدّث الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام في زيارته (الغديرية) أن جدّه الامام أمير المؤمنين عليه السلام هو أول من أسلم وآمن بالله ، واستجاب لدعوة نبيّه ، يقول عليه السلام مخاطباً له :

« وأنت أوّل من آمن بالله وصلّى له ، وجاهد ، وأبدي صفحته في دار الشرك ، والأرض مشحونة ضلالة والشيطان يعبد جهرة . . » .

لقد تضافرت الأخبار بأن الامام أمير المؤمنين عليه السلام هو أوّل من اعتنق الاسلام ، واستجاب لنداء الله ودان بدينه ، فقد روى الطبري بسنده عن ابن اسحاق قال : كان أول ذكر آمن برسول الله صلّى الله وآله وصلّى معه ، وصدّقه بما جاءه من عند الله عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يومئذ ابن عشر سنين^(١) وروى الطبراني بسنده عن أبي ذرّ قال : أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام فقال : « هذا أوّل من آمن بي ، وأول من يصفحني يوم القيامة . . . »^(٢) وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعائشة : « هذا عليّ بن أبي طالب أوّل الناس إيماناً »^(٣) وكثير من أمثال هذه الأخبار قد أعلنت ذلك .

٢ - وتحدّث الامام عليه السلام في زيارته عن جهاد الامام أمير المؤمنين

(١) تاريخ الطبري ٧٥/٢ .

(٢) فيض القدير ٣٥٨/٤ ، كنز العمال ١٥٦/٦ .

(٣) الاستيعاب ٧٥٩/٢ .

عليه السلام وبسالته وشجاعته وصموده في الحروب قائلاً :

« ولك المواقف المشهودة ، والمقامات المشهورة ، والأيام المذكورة يوم بدر ، ويوم الأحزاب ، إذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ، هنالك أبتلي المؤمنون ، وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً^(١) وقال الله تعالى : ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب ، قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً﴾^(٢) فقتلت عمرهم وهزمت جمعهم ، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً ، ويوم أحد إذ يصعدون ولا يلوون على أحد والرسول يدعوهم في أخراهم وأنت تدود بهم المشركين عن النبي صلى الله عليه وآله ذات اليمين وذات الشمال حتى ردهم الله تعالى عنها خائفين ونصر بك الخاذلين ، ويوم حنين على ما نطق به التنزيل ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ والمؤمنون أنت ومن يليك ، وعمك العباس ينادي المنهزمين يا أصحاب سورة البقرة ، يا أهل بيعة الشجرة حتى استجاب له قوم قد كفيتهم المؤونة ، وتكلفت دونهم المعونة ، فعادوا آيسين من المثوبة ، راجين وعد الله تعالى بالمثوبة ، وذلك قول الله جلّ ذكره ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ وأنت حائز درجة الصبر ، فائز بعظيم الأجر .

ويوم خيبر إذ أظهر الله خور المنافقين ، وقطع دابر الكافرين - والحمد

(١) سورة الأحزاب آية ١٣ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٢ .

لله ربّ العالمين - ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار ، وكان عهد الله مسؤولاً . . .

وأضاف الإمام قائلاً :

وشهدت مع النبيّ صلّى الله عليه وآله جميع حروبه ومغازيه ، تحمل الراية أمامه ، وتضرب بالسيف قدامه ، ثم لحزمتك المشهور وبصيرتك في الأمور أمرك في المواطن ، ولم يكن عليك أمير . . . » .

وحفلت هذه الكلمات بنوداً مشرفة من جهاد الامام أبي الحسين عليه السلام .

لقد نافح الامام أمير المؤمنين عن الاسلام في جميع المواقف والمشاهد ، ولقّن أعداء الله دروساً قاسية ، فقد استأصل اعلام الشرك والاحاد بسيفه ، ولولا جهوده وجهاده لكان الاسلام أثراً بعد عين .

٣ - وعرض الامام في زيارته الى مبيت الامام على فراش النبيّ صلّى الله عليه وآله ووقايته له بنفسه حينما أجمعت قريش على قتله ، فكان الامام الفدائيّ الأول في الإسلام ، يقول عليه السلام :

« وأشبهت في البيات على الفراش الذبيح عليه السلام إذ أجبت كما أجاب ، وأطعت كما أطاع اسماعيل صابراً محتسباً إذ قال له ﴿ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ : يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ وكذلك أنت لما أباتك النبيّ صلّى الله عليه وآله وأمرتك أن تضطجع في مرقده واقياً له بنفسك أسرعته الى إجابته مطيعاً ، ولنفسك على القتل موطناً فشكر الله تعالى طاعتك ، وأبان عن جميل فعلك بقوله : جلّ ذكره ﴿ ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ . . . » .

لقد كان مبيت الامام أمير المؤمنين عليه السلام على فراش النبيّ من أعظم العمليات الجهادية ، فقد أنقذ الاسلام من أعظم كارثة كانت ملّمة به ،

وهكذا كانت حياة الامام علي عليه السلام كلها عطاء للإسلام .

٤ - وقد استعرض الامام عليه السلام في زيارته عن بعض الصفات الماثلة في جدّه الامام أمير المؤمنين عليه السلام يقول :

« أشهد أنك لم تزل للهوى مخالفاً ، وللتقى مخالفاً ، وعلى كظم الغيظ قادراً ، وعن الناس عافياً غافراً ، وإذا عصي الله ساخطاً ، وإذا أطيع الله راضياً ، وبما عهد إليك عاملاً راعياً لما استحفظت ، وحافظاً لما استودعت ، مبلغاً ما حملت ، منتظراً ما وُعدت ، وأشهد أنك ما اتقيت ضارِعاً ، ولا أمسكت عن حقك جازعاً ولا أحجمت عن مجاهدة غاصبيك ناكلاً ، ولا أظهرت الرضا بخلاف ما يرضي الله مداهنأ ، ولا وهنت لما أصابك في سبيل الله ، ولا ضعفت ولا استكنت عن طلب حقك مراقباً ، معاذ الله أن تكون كذلك ، بل إذا ظلمت احتسبت ربك ، وفوّضت إليه أمرك . . » .

واعرب الامام عليه السلام عن بعض الصفات الرفيعة والمثل الكريمة الماثلة في شخصية جدّه أمير المؤمنين ، والتي كان منها :

١ - مخالفته للهوى فلم يؤثر أي شيء على طاعة الله ورضاه .

٢ - محالفته للتقى ، فقد اعتنق كل نزعة خيرة ، وفعل كل ما يقربه الى الله زلفى .

٣ - كظمه للغيظ .

٤ - عفوه عن المعتدين عليه .

٥ - سخطه على العصاة والمارقين عن الدين .

٦ - ان امسك الامام عن حقه في الخلافة لم يكن مبعث ذلك عن وهن أو ضعف وإنما كان ذلك لمصلحة الاسلام العليا .

ويستمر الامام عليه السلام في عرض صفات جدّه عليه السلام فيقول

مخاطباً :

« لا تحفل بالنوائب ، ولا تهن عند الشدائد ، ولا تحجم عن محاربه أفك ... » .

انّ من أبرز صفات الامام عليه السلام أنّه كان كالجبل لا تهزّه العواصف ، ولا يحفل بالنوائب التي داهمته ، كما أنّه لم يحجم عن محاربة الافك والعدوان ... ويأخذ الامام عليه السلام في بيان صفات جدّه فيقول :
« وأنت القائل : لا تزيدني كثرة الناس حولي عزة ، ولا تفرّقهم عني وحشة ، ولو أسلمني الناس جميعاً ... »

وظاهرة أخرى من صفات الامام أمير المؤمنين عليه السلام هو تمسّكه بالحق والعدل فلم يحفل بأي شيء آخر من المظاهر الخادعة ، فاجتماع الجماهير حوله لا تزيده عزة ، كما أن تفرّقهم عنه لا تزيده وحشة ، ولو تخلّى عنه الناس جميعاً فإن ذلك لا يحزنه ، وأنما الذي يرضى به ضميره هو شيوع العدل ، ونشر الحق بين الناس .

٥ - كما حفلت هذه الزيارة بعرض حادثة الغدير التي بايع فيها المسلمون الامام أمير المؤمنين خليفة عليهم وإماماً لهم قال عليه السلام :

« انّ الله تعالى استجاب لنبيّه صلى الله عليه وآله فيك دعوته ، ثم أمره باظهار ما أولاك لأمتّه إعلاءً لشأنك ، واعلاناً لبرهانك ، ودحضاً للأباطيل ، وقطعاً للمعاذير فلما اشفق من فتنة الفاسقين ، واتقى فيك المنافقين أوحى إليه ربّ العالمين ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته ، والله يعصمك من الناس﴾ فوضع على نفسه أوزار المسير ، ونهض في رمضاء الهجير فخطب وسمع ونادى فأبلغ ثم سألهم أجمع فقال : هل بلّغت ؟ فقالوا : اللهمّ بلى ، فقال : اللهمّ اشهد ، ثم قال : أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ فقالوا : بلى ، فأخذ بيدك ، وقال : من كنت مولاه

فهذا عليّ مولاه ، اللهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ،
واخذل من خذله ، فما آمن بما أنزل الله فيك على نبيّه الا قليل ، ولا زاد
أكثرهم غير تخسير . . . » .

انّ يوم الغدير جزء من رسالة الاسلام لا تستغني عنه الحياة الاسلامية
بحال من الأحوال فقد ضمن الرسول صلى الله عليه وآله من بعده لأُمَّته قيادتها
الروحية والزمنية ، ولم يتركها تتعثر في مسيرتها تتقاذفها أمواج من الفتن
والاضطراب ، لقد عيّن لها القائد ، وبايعته الأُمَّة في يوم الغدير إماماً
وحاكماً ، ونزل قوله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾ .

٦ - وتعرّض الامام الهادي عليه السلام في زيارته الى ما مُني به جدّه
الامام أمير المؤمنين عليه السلام من المحن والخطوب قال مخاطباً له :

« ثم محتتك يوم صفين وقد رفعت المصاحف حيلةً ومكراً ، فأعرض
الشكّ ، وعرف الحق ، واتبع الظنّ ، اشبهت محنة هارون إذ أمره موسى على
قومه ففترّقوا عنه ، وهارون ينادي بهم ، ويقول : ﴿يا قوم انما فتنتم به وان
ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع
إلينا موسى﴾ وكذلك أنت لما رفعت المصاحف قلت : يا قوم انما فتنتم بها
وخذعتم فعصوك وخالفوا عليك ، واستدعوا نصب الحكمين فأبيت عليهم
وتبرأت الى الله من فعلهم ، وفوّضته إليهم فلما أسفر الحق وسفه المنكر ،
واعترفوا بالزلل والجور عن القصد اختلفوا من بعده ، وألزموك على سفه
التحكيم الذي أبيته ، وأحبوه وحظرته وأباحوا ذنبهم الذي اقترفوه ، وأنت على
نهج بصيرة وهدى وهم على سنن ضلالة وعمى ، فما زالوا على النفاق
مصرّين ، وفي الغيّ مترددين حتى اذاقهم الله وبال أمرهم ، فأمات بسيفك
من عاندك فشقي وهوى وأحبي بحجتك من سعد فهدى صلوات الله عليك
غادية ورائحة وعاكفة وذاهبة ، فما يحيط المادح وصفك ، ولا يحيط الطاعن

فضلك» .

انّ من أعظم المحن والأزمات التي طافت بالامام أمير المؤمنين عليه السلام هي حيلة رفع المصاحف التي نسفت الانتصارات الباهرة التي أحرزها جيش الامام عليه السلام فقد أشرف على الفتح ، والقضاء على القوى الباغية التي استهدفت في حربها تحطيم الاسلام ولفّ لوائه .

وقد استجاب لدعوة التحكيم حثالة من الجهلة الذين لم يعوا الاسلام ، ولم تتفتح عقولهم فأعلنوا التمرد والعصيان ، وشهروا سيوفهم في وجه الامام عليه السلام وأعلنوا مناجزتهم له إن لم يستجب لهذه الدعوة الهزيلة ، ولم يجد الامام الممتحن بدأً من إجابتهم فأوقف الحرب ، وقد طويت بذلك حكومة العدل ، وانتصر معاوية ، فعَمّ الظلم والجور والاستبداد .

ولمّا استبان لأولئك الحمقاء خداع معاوية في رفعه للمصاحف خفّوا مسرعين الى الامام يطلبون منه اعلان التوبة ، والاعتراف بالذنب لأنّه أجابهم الى طلب الصلح ، فامتنع الامام عليه السلام لأنّه لم يقترف أيّ ذنب في حياته الطاهرة المليئة بالحسنات والمبرات للإسلام والمسلمين ، ولما امتنع الامام من إجابتهم ناجزوه الحرب فكانت واقعة النهروان التي جرت للمسلمين الكثير من المصاعب والمشاكل السياسية ، وأخلدت لهم الفتن والخطوب .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الزيارة (الغديرية) التي هي من أروع زيارات الأئمّة وأكثرها أصالة وإبداعاً .

من قصص الأنبياء :

وحَدّث الامام أبو الحسن عليه السلام أصحابه عن بعض قصص الأنبياء كان منها ما يلي :

نوح مع إبليس :

وحكى الامام محاوره طريفة بين نبي الله نوح ، وبين إبليس ، قال عليه السلام : جاء إبليس الى نوح ، فقال له : إن لك يداً عندي يداً عظيمة ، فانتصحي فاني لا أخونك ، فتأثم نوح من مسألته ، فأوحى الله إليه أن سله ، فقال له نوح : تكلم ، فقال إبليس : إذا وجدنا ابن آدم شحيحاً أو حريصاً أو حسوداً أو جباراً ، أو عجولاً تلقفناه تلقف الكرة ، فان اجتمعت له هذه الأخلاق سمّيناه شيطاناً مريداً ، فقال نوح : ما اليد العظيمة التي صنعتها لك ؟ قال : أنك دعوت الله على أهل الأرض ، فألحقتهم النار ، فصرت فارغاً ، ولولا دعوتك عليهم لشغلت بهم دهرأ^(١) .

لقد حدّث الامام أصحابه بهذه القصة ليجتنبوا تلك الصفات التي توجب انحطاط الانسان ، وسقوطه في قرار سحيق من الرذيلة .

موسى مع الله :

وحكى الامام (ع) مناجاة جرت بين نبي الله موسى (ع) مع الله تعالى ، وقد جاء فيها .

قال موسى : الهي ما جزاء من ترك الخيانة حياءً منك ، قال الله : له الامان يوم القيامة .

قال موسى : ما جزاء من أحب أهل طاعتك ، قال الله تعالى : أحرم جسده على ناري .

قال موسى : ما جزاء من قتل مؤمناً متعمداً ، قال الله تعالى : لا انظر اليه يوم القيامة ولا أقبل عثرته .

(١) قصص الأنبياء للراوندي .

قال موسى : الهي ما جزاء من كف اذاه عن الناس وبذل معروفه لهم ،
قال الله تعالى : تناديه النار يوم القيامة لا سبيل لي عليك^(١) لقد حكى
(ع) لأصحابه هذه القصة وامثالها لتكون درساً لهم وموعظة حتى يتصفوا
بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات .

حكمة لعيسى

ونقل الامام لاصحابه كلمة حكيمة جاء فيها « اذا اعطى أحدكم بيمينه
فليخف على شماله ، واذا صلى فليخف »^(٢) .

ان الله تعالى يحب لعبده المؤمن أنه اذا أحسن الى أخيه أو عمل خيراً
أن لا يجهر بذلك ، ولا يذيعه بين الناس لئلا يذهب أجره ، وانما عليه ان
يطلب المكافاة والأجر من الله .

من الأحداث الاسلامية :

وحدث الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام اصحابه ببعض الأحداث
المهمة التي وقعت في العصر الإسلامي الأول والتي كان منها قتل الطاغية
الجلاد الحجاج بن يوسف الثقفي الى قنبر الشهيد الخالد مولى الامام
امير المؤمنين (ع) وقد روى (ع) كيفية استشهاده ، قال (ع) : دخل قنبر على
الحجاج بن يوسف فصاح الطاغية به :

« ما الذي كنت تلي من علي بن أبي طالب ؟ .. »

« كنت اوضيه .. » .

« ما كان يقول : إذا فرغ من وضوئه .. » .

« كان يتلو هذه الآية ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل

(١) أمالي الصدوق .

(٢) مآثر الكبراء ٣/ ٢٤٣ .

شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين»^(١) .

« أظنه كان يتأولها علينا ؟ . »

. « نعم » .

« ما أنت صانع إذا ضربت عنقك ؟ .. » .

« إذا أسعد فتشقى .. » .

وامر الطاغية بالعبد الصالح فضربت عنقه^(٢) .

فضل النبي وعلي :

واشاد الامام أبو الحسن عليه السلام باحسان النبي (ص) ووصيه الامام امير المؤمنين (ع) على هذه الأمة ، فقد اسديا عليها من اللطاف والفضل ما لا يحصى ، قال (ع) : « إن من اعظام جلال الله إيثار قرابة ابوي دينت محمد (ص) وعلي (ع) على قرابات أبوي نسبك ، وإن من التهاون بجلال الله إيثار قرابة أبوي نسبك على قرابة ابوي دينك محمد (ص) وعلي (ع) »^(٣) .

وقال عليه السلام :

من لم يكن والدا دينه محمد (ص) وعلي (ع) اكرم عليه من والدي نسبه فليس من الله في حل ولا حرام ولا قليل ولا كثير .. »^(٤) .

إن للنبي (ص) والوصي من الحقوق على هذه الأمة اكثر من حقوق

(١) سورة الأنعام آية ٤٤ .

(٢) الكشي .

(٣) مآثر الكبراء ٢٢٧/٣ .

(٤) الاحتجاج .

الآباء، فهما اخرجنا الله من حياة الجاهلية وذلها وشقائها الى حياة الاسلام الحافلة بالشرف والعزة والكرامة .

فضل العلماء في زمان الغيبة :

وأشاد الأمام ابو الحسن الهادي عليه السلام بفضل العلماء في زمان غيبة حفيده الامام المنتظر عليه السلام قال : « لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم (ع) من العلماء الداعين إليه ، والدالين عليه ، والذابين عن دينه بحجج ، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك ابليس ، ومردته ، ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ، ولكنهم الذين يمسون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسون صاحب السفينة سكانها ، اولئك هم الافضلون عند الله عز وجل .. » .

ان للعلماء في زمان الغيبة الفضل الكبير على هذه الأمة فقد قاموا بدور مهم وفعال في نشر دين الاسلام والذب عن شريعة الله ، والحفاظ على مبادئ الاسلام .

فضل الصبر

وتحدث الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام عن فضل الصبر ، وما للصابرين من الأجر عند الله فقد روى الحسن بن علي قال : سمعت أبا الحسن يقول : وإذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الصابرون ؟ فيقوم عنق من الناس ، فينادي مناد اين المتبصرون ، فيقوم عنق من الناس ، فقلت : جعلت فداك ومن الصابرون ، والمتبصرون ؟ قال : (عليه السلام) الصابرون على أداء الفرائض ، والمتبصرون على ترك المعاصي^(١) .

(١) بحار الأنوار .

ان الصبر على اداء فرائض الله ، والتبصر في ترك معاصي الله من افضل الوان الطاعات والعبادات ، كما ان ذلك مما يوجب ضبط النفس ، والسيطرة عليها من الانقياد للترغبات الشريرة والرغبات الشاذة .

التشأم من الأيام :

وناهض الاسلام جميع عادات الجاهلية وتقاليدها ، وكان من بين ما ناهضه التشأم من الأيام ، وهي الفكرة التي آمن بها المجتمع الجاهلي ، فانها لا تجلب خيراً ، ولا تدفع شراً ، فان مجريات الأحداث بيد الله تعالى خالق الكون وواهب الحياة ، ولنستمع الى ما قاله الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام في ذلك . روى الحسن بن مسعود^(١) قال : دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام وقد نكبت^(٢) اصبعي ، وتلقاني راكب ، وصدم كتفي ودخلت في زحمة ، فخرقوا علي بعض ثيابي ، فقلت : كفاني الله شرك من يوم فما ايشمك^(٣) فقال عليه السلام : لي يا حسن هذا وأنت تغشانا ، ترمي بذنبك من لا ذنب له ، قال الحسن فأثاب إلي عقلي ، وتبينت خطأي ، فقلت : يا مولاي استغفر الله ، فقال : يا حسن ما ذنب الأيام حتى صرتم تتشأمون منها إذا جوزيتم بأعمالكم فيها ، قال الحسن : أنا استغفر أبداً ، وهي توبتي يا ابن رسول الله ، قال عليه السلام : والله ما ينفعكم ، ولكن الله يعاقبكم بدمها على ما لا ذم عليها فيه ، اما علمت يا حسن ان الله هو المثيب والمعاقب والمجازي بالاعمال عاجلةً وآجلةً ، قلت : بلى يا مولاي ، قال عليه السلام : لا تعد ولا تجعل للأيام صنعا في حكم الله ، قال الحسن :

(١) لم يوجد في كتب الرجال من سمّي بهذا الاسم من أصحاب الامام أبي الحسن عليه السلام ولعل الصحيح هو الحسين بن سعيد الأهوازي ، وسنذكر ترجمته عند التحدث عن أصحاب الامام ورواة حديثه .

(٢) نكبت: أي خدشت .

(٣) كذا جاء ولعل الصحيح (فما أشأمك) .

بلى يا مولاي^(١) .

لقد أكد الامام (ع) ما اعلنه النبي (ص) في حديث الرفع من أنه ليس من الاسلام في شيء أن يكون المسلم متشائماً ، وانما عليه أن يكون قوي العزيمة صلب الارادة لا يثنيه شيء إلا أن يقدم على عمل غير مشروع .

النظافة :

ودعا الامام عليه السلام الى النظافة والتجمل ، قال عليه السلام : إن الله يحب الجمال والتجمل ، ويكره البؤس ، والبائس ، فان الله عز وجل إذا انعم على عبده نعمة أحب ان يرى عليه أثرها ، فقيل له وكيف ذلك ؟ قال : ينظف ثوبه ، ويطيب ريحه ، ويحسن داره ، ويكنس أفنيته ، حتى ان السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ، ويزيد في الرزق^(٢) .

ندرة الدرهم من الحلال :

روى السيد ابن طاووس بسنده عن محمد بن هارون الجلاب قال : قلت : لسيدي علي بن محمد الهادي عليه السلام انا رويناعن آبائك أنه يأتي زمان لا يكون شيء اعز من أخ أنيس أو كسب درهم حلال ، فقال : لي يا محمد ان الأخ الأنيس موجود ، ولكنك في زمان ليس شيء أعز من درهم حلال وأخ في الله عز وجل^(٣) .

إن ندرة الدرهم الحلال ناشئة من عدم التورع في المكاسب ، والجشع على طلب المادة بأي طريق كان .

أما الأخ الأنيس وهو الذي يسعى وراء منافع ومصالحه فهو موجود في

(١) تحف العقول (ص ٤٨٢ - ٤٨٣) .

(٢) أمالي المفيد .

(٣) مآثر الكبراء ٢٢٧/٣ .

كل زمان ومكان ، واما الأخ في الله الذي يصون أخاه من اقرار المنكر ،
ويحب له فعل الخيرات فانه نادر في جميع مراحل تاريخ الانسان .

الجهل بحقيقة الموت :

سئل الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام ما بال هؤلاء المسلمين
يكرهون الموت ؟ قال عليه السلام : لأنهم جهلوه فكرهوه ، ولو عرفوه وكانوا
من اولياء الله عز وجل لأحبوه ، ولعلموا ان الآخرة خير من الدنيا . . . » .

والتفت الامام الى اصحابه فقال لهم :

« ما بال الصبي والمجنون يمتنعان عن الدواء المنقي لأبدانهم والنافي
للألم عنهم ؟ . . . » .

فاجابوه

« لجهلهم بنفع الدواء . . . »

فقال عليه السلام : « والذي بعث محمداً بالحق نبياً ، من استعد
للموت انفع له من هذا الدواء لهذا المعالج ، اما انهم لو عرفوا ما يؤدي إليه
من النعيم لا استدعوه واحبوه اشد ما يستدعي العاقل الحازم للدواء لدفع
الآفات ، وجلب السلامة . . . » (١) .

واعرب الامام في حديث آخر عن واقع الموت وحقيقته ، وانه ينبغي
للمؤمن اذا نزل بساحته ان لا يحزن ولا يجزع ، فقد دخل عليه السلام على
مريض من اصحابه فرآه يبكي جزعا من الموت فقال عليه السلام له :

« يا عبد الله تخاف من الموت لأنك لا تعرفه ، ارأيتك اذا اتسخت ،
وتقدرت وتأذيت من كثرة القدر والوسخ عليك ، واصابك قروح وجرب ،

(١) معاني الأخبار للصدوق.

وعلمت أن الغسل في الحمام يزيل ذلك كله أما تريد ان تدخله فتغسل ذلك عنك أو تكره أن تدخله فيبقى ذلك عليك؟ . . . » .

وأنبى المريض فقال : بلى يا ابن رسول الله صلى الله عليك وآلك وسلم وقد ابدى رغبته بدخول الحمام .

فاجابه الامام عليه السلام .

« فذلك الموت هو ذلك الحمام ، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك ، فاذا انت وردت عليه ، وجاورته ، فقد نجوت من كل هم وغم واذى ، ووصلت الى كل سرور وفرح . . . »

وسكن المريض ، واستسلم للموت ، ورضي بأمر الله^(١) .

ان رقدة الموت مما يستريح بها المؤمن من آلام الدنيا وهمومها ، ويحل في دار النعيم التي لا شقاء فيها .

التوبة النصوح :

سأل احمد بن هلال الامام أبا الحسن الهادي عليه السلام عن التوبة النصوح ، فاجابه عليه السلام « أن يكون الباطن كالظاهر ، وافضل من ذلك »^(٢) .

ان حقيقة التوبة هي الاقلاع من الذنوب ، والعمل على طهارة النفس وصفاتها وان يكون الباطن كالظاهر أو افضل منه .

معنى الرجيم :

روى السيد الجليل عبد العظيم الحسين قال : سمعت أبا الحسن علي

(١) معاني الأخبار للصدوق .

(٢) معاني الأخبار .

بن محمد عليه السلام يقول : « معنى الرجيم - الذي وُصف به الشيطان - انه مرجوم باللعن ، مطرود من مواضع الخير ، لا يذكره مؤمن إلا لعنه ، وان في علم الله السابق انه اذا خرج القائم عجل الله فرجه لا يبقى مؤمن في زمانه إلا رجمه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوما باللعن »^(١) .

ان جميع ما في الدنيا من شرور وجرائم تستند الى الشيطان الرجيم فباغرائه وخداعه يقترف الانسان الذنوب ، ويغرق في الآثام .

الغوغاء :

قال الامام أبو الحسن عليه السلام : « الغوغاء قتلة الانبياء ، والعامه مشتقة من العمى ، وما رضي الله عنهم أن شبههم بالانعام حتى قال : « بل هم أضل »^(٢) ان الغوغاء هم الذين لا يمتلكون أي وعي اجتماعي او ديني ، وهم الذين تزج بهم القوى الباغية لتقتل الانبياء والمصلحين .

كلمات من نور :

وأثرت عن الأمام أبي الحسن الهادي عليه السلام مجموعة من الكلمات الذهبية التي تعد من اروع الثروات الفكرية في الاسلام ، وقد عالج فيها مختلف القضايا التربوية والأخلاقية ، والنفسية ، وهذه بعضها :

١ - قال عليه السلام : « خير من الخير فاعله ، واجمل من الجميل قائله ، وارجح من العلم عامله . . » .

اشاد الامام عليه السلام بهذه الكلمات بمن يتحلى بها من الاشخاص .

أ - فاعل الخير ؟ انه بحسب قيمه الاخلاقية خير من الخير .

ب - قائل الجميل : انه بموازينه النفسية اجمل من الجميل ، وذلك

(١) معاني الأخبار .

(٢) الأعراف آية ١٧٩ .

لما يسديه من الخير على الناس .

ج - العامل بعلمه : فهو ارجح من العلم ، فان العلم إنما يطلب وسيلة للعمل والتهديب فاذا عمل بذلك فقد ادى رسالته ، وصان العلم ، ورفع منزلته وبذلك كان خيراً من العلم .

٢ - قال عليه السلام لبعض مواليه : عاتب فلانا وقل له : « إن الله إذا اراد بعبد خيراً اذا عوتب قبل . . . » .

ان العتاب اذا كان مشفوعاً بهذا اللون من الكلام الطيب فانه يقضي على الشحنة والبغضاء ، ويوجب نشر المودة والمحبة .

٣ - قال عليه السلام : « من سأل فوق قدر حقه فهو اولى بالحرمان . . » .

ان من يسأل فوق ما يستحق فقد عرض نفسه للضياع والحرمان .

٤ - قال عليه السلام : « صلاح من جهل الكرامة هوانه » .

ما أروع هذه الكلمة فان من لا يعرف الكرامة وجهل القيم الإنسانية فصلاحه بالهوان والاستخفاف ، والاعراض .

٥ - قال عليه السلام : « الحلم ان تملك نفسك ، وتكظم غيظك مع القدرة عليه . . » .

ان حقيقة الحلم أن يسيطر الانسان على نفسه واعصابه ، ولا يخضع لعوامل الغضب واسبابه .

٦ - قال عليه السلام : « الناس في الدنيا بالمال ، وفي الآخرة بالاعمال . . » .

ان حياة الانسان في هذه الدنيا تتركز على الناحية المادية فانها العنصر المهم في بناء كيانه الفردي والاجتماعي .

اما حياة الانسان في دار الآخرة فهي مبنية على ما عمله في الدنيا من خير أو شر فان عمل خيراً ففي جنة الفردوس ، وان عمل شراً فمأواه جهنم وساءت مصيراً .

٧- قال عليه السلام : « من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه . . » .

ان من لا يكبح جماح نفسه ، ويرضى بتصرفاته الشاذة فقد عرض نفسه لسخط الناس عليه ، وكراهيتهم له .

٨- قال عليه السلام : « تريك المقادير ما لا يخطر ببالك . . » .

ان مقادير الله تعالى التي تجري على عباده ، وسائر مخلوقاته تري الانسان في هذه الدنيا من الغرائب والعجائب ما لا يخطر بالبال .

٩- قال عليه السلام : « شر الرزية سوء الخلق . . » .

ان من اعظم الرزايا سوء الخلق فانه يلقي الانسان في شر عظيم ، ويخلق له كثيراً من المصاعب والمشاكل .

١٠- قال عليه السلام : « الغنى قلة تمنيك ، والرضى بما يكفيك ، والفقر شره النفس ، وشدة القنوط ، والمذلة اتباع اليسير ، والنظر في الحقيق . . » .

وحفل كلام الامام عليه السلام بتحديد الأمور التالية :

أ- الغنى : يرى الامام ان الغنى ليس بكثرة النقود ، وانما بقلة التمني أو الرضى بما يكفي الانسان .

ب- الفقر : وليس بقلة المال ، وانما بشره النفس ، وشدة قنوطها .

ج- المذلة : وهي باتباع اليسير ، والنظر في الأمور الحقيمة وعدم الاتجاه نحو ما يرفع كرامة الانسان .

١١ - سئل الامام عليه السلام عن الحزم ؟ فقال عليه السلام : « هو ان تنظر فرصتك وتعاجل ما امكنك . . » .

ان الحزم كل الحزم لمن ينتهز الفرصة التي تمر عليه ، ولا يتركها من دون ان يغتنمها .

١٢ - قال عليه السلام : « راكب الحرون - وهو الفرس الذي لا ينقاد - أسير نفسه . . » .

وقد اراد عليه السلام ان من يسلك الطرق الملتوية فانه أسير نفسه التي القته في الهوة السحيقة .

١٣ - قال عليه السلام : « الجاهل أسير لسانه » .

لا اشكال ان الجاهل هو اسير لسانه بما يجره له من الخطوب والمشاكل .

١٤ - قال عليه السلام : « المرء يفسد الصداقة القديمة ، ويحلل العقد العقدة الوثيقة وأقل ما فيه ان تكون المغالبة ، والمغالبة أس أسباب القطيعة . . » .

المرء : هو المجادلة وهو مما يوجب انفصام عرى الصداقة ، وانحلال المودة وشيوع البغضاء والكراهية .

١٥ - قال عليه السلام : « العتاب مفتاح التعالي ، والعتاب خير من الحقد . . » .

لا شك ان العتاب سبب وثيق للتعالي ، ومفتاح للشر ، ولكنه مع ذلك فهو خير من أن يحقد الانسان على أخيه .

١٦ - أثنى بعض أصحاب الامام على الامام ، واكثر من تقيظه والثناء عليه ، فقال عليه السلام له :

« إن كثرة الملق يهجم على الفطنة ، فاذا حللت من أخيك محل الثقة فاعدل عن الملق الى حسن النية . . » .

ان الاسلام يبغض التملق لأنه ينم عن ضعف الشخصية ، ويطلب من المسلم ان لا يركن الى الخنوع والذل ، وان يكون عزيزاً في جميع مراحل حياته .

١٧ - قال عليه السلام : « المصيبة للصابر واحدة ، وللجازع اثنان . . » .

ان الانسان اذا دهمته كارثة وكان صابراً فانه يصاب بمصيبة واحدة اما اذا كان جازعاً فانه يصاب بمصيبتين : مصيئته الأولى ، ومصيبة الجزع ثانياً .

١٨ - قال عليه السلام : « الحسد ماحق الحسنات ، والزهو جالب المقت . . » لقد حذر الامام عليه السلام من الحسد لما فيه من الإثم ، فقد تضافرت الاخبار انه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب اليابس ، كما حذر الامام عليه السلام من الزهو وهو الكبر والفخر لأنه مما يوجب المقت والكراهية .

١٩ - قال عليه السلام : « العجب صارف عن طلب العلم ، وداع الى التخبط^(١) في الجهل . . . » .

ان اعجاب المرء بنفسه مما يصد عنه طلب العلم وتهذيب النفس ، ويجعله يرتطم في الجهل .

٢٠ - قال عليه السلام : « البخل اذم الأخلاق ، والطمع سجية سيئة . . » .

(١) التكبر.

حذر الامام من البخل لأنه من أسوأ الأخلاق واحطها ، كما حذر من الطمع فانه من الصفات السيئة الممقوتة لأنه يجلب للانسان كثيراً من المصاعب والمتاعب .

٢١ - قال عليه السلام : « مخالطة الاشرار تدل على شر من يخالطهم . . »

لا شبهة في ان مخالطة الاشرار ومصاحبتهم تدل على سوء وشر المتصل بهم لأنه لو كان شريفاً في سلوكه لابتعد عنهم .

٢٢ - قال عليه السلام : « الكفر للنعم امارة البطر ، وسبب للتغيير . . » .

لا شك ان من يكفر بالنعمة ولا يشكرها فهو متبطر ، وخارج عن حدود الطاعة للمنع عليه ، كما ان التبطر سبب لتغيير النعمة وزوالها .

٢٣ - قال عليه السلام : « اللجاجة مسلبة للسلامة ، ومؤدية للندامة . . » .

نهى الامام عليه السلام عن اللجاجة وهي الاحاح في طلب الشيء وكانت المصلحة تقضي بالتأني ، وعدم الاسراع ، ويترتب على اللجاجة انها مسلبة للسلامة ومؤدية للندامة ، وفي الحديث اللجاجة تسل الرأي أي تأخذه .

٢٤ - قال عليه السلام : « الهزء فكاها السفهاء وصناعة الجهال . . » .

ان الهزء بالناس والاستخفاف بهم انما هو بضاعة الجهال ، وفكاها السفهاء الذين لا عمل لهم سوى السخرية بخلق الله .

٢٥ - قال عليه السلام : « العقوق يعقب القلة ، ويؤدي الى الذلة . . » .

ان عصيان الأب ، وترك الاحسان إليه ، له مضاعفاته السيئة التي منها

الاصابة بقلة النسل ، وشيوع الذلة بين أفراد الأسرة .

٢٦ - قال عليه السلام : « السهر الذ للنام ، والجوع يزيد في طيب الطعام .. »

إن الانسان اذا انفق ليله ساهراً فالذ شيء عنده النوم ، كما ان الجوع مما يزيد في طيب الطعام وان كان جشبا .

٢٧ - قال عليه السلام لبعض أصحابه : « اذكر مصرعك بين يدي اهلك حيث لا طيب يمنعك ، ولا حبيب ينفعك .. » .

وفي هذه الكلمات دعوة الى اصلاح النفس واستقامتها ، وعدم غرورها فان الانسان اذا ذكر النهاية الأخيرة من حياته فانه لا يطغى ، ولا يعتدي على غيره .

٢٨ - قال عليه السلام : « اذكر حسرات التفريط بأخذ تقديم الحزم .. » .

دعا الامام عليه السلام بهذه الكلمة المشرقة الى الحزم ، والاجتناب عن التفريط الذي يجز الويل والعطب الى الانسان .

٢٩ - قال عليه السلام : « ما استراح ذو الحرص والحكمة .. » .

وحكت هذه الكلمة واقع الحريص وطالب الحكمة ، فالحريص في كد وتعب لزيادة احواله ، والمحافظة على ما عنده ، وطالب الحكمة كذلك يكد لزيادة معارفه ومعلوماته

٣٠ - قال عليه السلام : « لا نجع في الطبايع الفاسدة .. » .

ان اكثر المصابين بالطبايع الفاسدة والمنحرفين في سلوكهم لا ينفع معهم دواء ، ولا علاج ولا يفيد معهم نصح وارشاد .

٣١ - قال عليه السلام : « من لم يحسن أن يمنع لم يحسن أن يعطى .. » .

ان الفاقد للقيم الفكرية والاجتماعية كما لا يحسن المنع ، كذلك لا يحسن العطاء .

٣٢ - قال عليه السلام : « شر من الشر جالبه ، وأهول من الهول راكبه .. » .

ان من يجلب الشر لنفسه او لمجتمعه فهو أشر من الشر ، واخبث منه ، كذلك من يركب الأهوال فانه أهول من الهول .

٣٣ - قال عليه السلام : « إياك والحسد فانه يبين فيك ، ولا يعمل في عدوك .. » .

مما لا شبهة فيه ان الحسد ينخر في قلب الحاسد ، ويترك فيه آثاراً مريرة في حين أنه لا يؤثر اي شيء في المحسود .

٣٤ - قال عليه السلام : « اذا كان زمانُ العدل فيه اغلب من الجور فحرام أن يظن باحد سوءاً حتى يعلم ذلك منه ، واذا كان زمان الجور اغلب فيه من العدل فليس لأحد أن يظن بأحد خيراً ما لم يعلم ذلك منه .. » .

ان الزمان اذا انتشرت فيه العدالة الاجتماعية ، وعم فيه الحق ، فليس لأحد ان يظن سوءاً بأي أحد ، وأما اذا ساد الظلم وعم الجور ، فان ظن الخير بأي احد لا موضع له الا ان يعلم ذلك منه .

٣٥ - قال عليه السلام للمتوكل : « لا تطلب الصفاء ممن كدرت عليه ، ولا الوفاء ممن غدرت به ، ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك إليه ، فانما قلب غيرك لك كقلبك له .. » وهذه الكلمة من اروع الكلمات الذهبية ، فقد حذر فيها المتوكل من ان يطلب الصفاء والوفاء والنصح من الذين كدر عليهم

حياتهم بظلمه وجوره أو غدر بهم ، او اساء ظنه بهم فانهم جميعاً من اعدائه وخصومه .

٣٦ - قال عليه السلام : « ابقوا النعم بحسن مجاورتها ، والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها ، واعلموا أن النفس أقبل شيء لما اعطيت ، وامنع شيء لما منعت فاحملوها على مطية لا تبطىء . . » .

لقد دعا الامام عليه السلام الى ابقاء النعم بالاحسان الى الناس ، كما دعا الى شكرالله عليها فان فيه زيادة للنعم ، ومن الطبيعي ان الشكر انما يكون بالبر على الفقراء والضعفاء ، والاحسان لهم .

وحفلت الكلمات الاخيرة بلزوم تربية النفس والسيطرة عليها ، وان لا يطلق سراحها ، فانها اذا لم تهذب تلقي الشخص في ميدان سحيق ما له من قرار .

٣٧ - قال عليه السلام : « الجهل والبخل اذم الاخلاق . . » .

لا شبهة ان الجهل والبخل من مساوئ الاخلاق ، وهما يبعدان الانسان من ربه ، ويعيش من يتصف بهما عيشة الحيوان السائم .

٣٨ - قال عليه السلام : « حسن الصورة جمال ظاهر ، وحسن العقل جمال باطن . . » .

ان حسن الصورة مما يوجب جمال الانسان في الظاهر اما جماله الحقيقي ففي وفرة عقله وكماله .

٣٩ - قال عليه السلام : « إن من الغرة بالله أن يصر العبد على المعصية ويتمنى على الله المغفرة . . » .

اراد عليه السلام ان من الغرة - وهي الأمن من مكر الله - أن يصر العبد على اقرار المعاصي ويتمنى طلب المغفرة من الله ، فان المغفرة انما تكون للذين تابوا توبة نصوحة ، وندموا على ما فرطوا من ارتكابهم للمعاصي .

٤٠ - قال عليه السلام : « لو سلك الناس واديا وسيعا لسلكت وادي رجل عبد الله وحده خالصا . . » .

ان من الطبيعي بهدي الامام عليه السلام وسيرته ان يسلك الطريق الذي يرضي الله وان ابتعد عنه الناس ، وسلكوا طريقاً آخر اوسع منه .

٤١ - قال عليه السلام : « والغضب على من تملك لؤم . . » .

٤٢ - قال عليه السلام : « الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي اوجبت الشكر ، لأن النعم متاع والشكر نعم . . » .

٤٣ - قال عليه السلام : « ان الله جعل الدنيا دار بلوى ، والآخرة دار عقبي ، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً ، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً . . » .

٤٤ - قال عليه السلام : « ان الظالم الحالم يكاد ان يغطي على ظلمه بحلمه ، وان المحق السفية يكاد أن يطفىء نور حقه بسفهه . . » .

٤٥ - قال عليه السلام : « من جمع لك وده فاجمع له طاعتك . . » .

٤٦ - قال عليه السلام : « من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره . . » .

٤٧ - قال عليه السلام : « الدنيا سوق ربح فيها قوم ، وخسر فيها آخرون . . » .

٤٨ - قال عليه السلام : « اذكر مصرعك بين يدي أهلك ، ولا طبيب يمنعك ولا حبيب ينفعك . . »^(١) .

وبهذا ينتهي الحديث عن حكمه ، وقد دلت على أنه من عمالقة الفكر الانساني .

(١) مصادر البحث الدر النظيم، الاتحاف بحب الاشراف، بحار الأنوار، أمالي الطوسي، أعيان الشيعة، نزهة الناظر، تحف العقول، أمالي المفيد، معاني الأخبار للصدوق، مآثر الكبراء .

أَصْحَابَهُ وَرِوَاةَ حَدِيثِهِ

وكان تنوع ثقافة الامام وشمول معارفه ، فهو المتخصص بجميع العلوم ، فهو الخبير في تفسير القرآن ، وفي الفقه ، وآداب الاسلام ، واخلاقه ، ومن ثم كان مقصد طلاب العلوم .

اما أصحاب الأئمة عليهم السلام فكانوا يمثلون الخط الرسالي في الاسلام ، فهم الذين صانوا رسالة الاسلام من الضياع ، فاتصلوا بأئمة أهل البيت عليهم السلام الذين هم المنبع الفياض لجوهر الاسلام ، فرووا أحاديثهم ، ودونوها في اصولهم التي بلغت اربعمائة اصل وقد جمعت في الكتب الأربعة التي يرجع إليها فقهاء الامامية في استنباطهم للاحكام الشرعية .

لقد كان لهؤلاء الفضل الكبير على العالم الاسلامي بما دونوه من تراث الأئمة الطاهرين فلولاهم لضاعت تلك الثروات الكبرى التي تمثل الإبداع والاصالة ، وتطور الفكر البشري .

والشيء الذي يدعو الى الاعتزاز والفخر بجهاد هؤلاء الرواة انهم اتصلوا بالأئمة ودونوا احاديثهم في وقت كان من اعسر الاوقات حرجة ، واكثرها ضيقاً وضغطاً ، فقد امعنت السلطات الأموية والعباسية في ظلم العلويين وشيعتهم ، ومنعت الاوساط الشعبية من الاتصال بهم ، وأخذت بلا هوادة ولا رحمة تطارد كل من ينشر فضائلهم أو يتحدث عن مناقبهم ، ومآثرهم أو يروي

أحاديثهم القت القبض عليه وحكمت عليه بالاعدام أو خلدته في ظلمات
السجون ، وقد تخرج الرواة كاشد ما يكون التخرج من ذكر اسماء الأئمة
عليهم السلام الذين يروون احاديثهم ، فكانوا يشيرون إليهم بالكنية أو باللقب
اخرى ، ولا يصرحون باسمائهم .

وعلى أي حال فانا نعرض الى تراجم اصحاب الامام أبي الحسن
الهادي عليه السلام فان ذلك - فيما نحسب - من متممات البحث عن
شخصيته لأنه يكشف جوانب مهمة عنها ، وقد رتبنا تراجمهم حسب الحروف
الهجائية ، وفيما يلي ذلك

(أ)

١ - ابراهيم بن اسحاق :

عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام ،
واضاف أنه ثقة^(١) .

٢ - ابراهيم بن أبي بكر .

الرازي ، يكنى ابا محمد عده البرقي من اصحاب الامام الهادي عليه
السلام^(٢) .

٣ - ابراهيم بن ادريس :

عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٣)
وكذلك عده البرقي^(٤) .

(١) رجال الطوسي (ص ٤٠٩) .

(٢) رجال البرقي .

(٣) رجال الطوسي (ص ٤٠٩) .

(٤) رجال البرقي .

٤ - ابراهيم بن اسحاق :

عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام ، واذاف انه ثقة^(١) وكذلك عده البرقي ، وقال : « انه شيخ لا بأس به »^(٢) .

٥ - ابراهيم بن داود .

اليقوبي ذكره الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٣) وعده البرقي انه من اصحاب الامام الهادي والجواد عليهما السلام^(٤) وذكر الكشي أنه ممن روى عن أبي الحسن عليه السلام^(٥) .

٦ - ابراهيم بن شيبه .

عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٦) كتب الى الامام عليه السلام رسالة يشكو فيها جماعة من المارقين عن الدين اخذوا يشوهون معالم الفكر الاسلامي سنعرض لها عند التحدث عن عصر الامام .

٧ - ابراهيم بن عبدة .

النيسابوري عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام ومن اصحاب الامام الحسن العسكري عليه السلام^(٧) وذكر الكشي ان الامام الحسن العسكري عليه السلام بعث رسالة الى اسحاق بن اسماعيل ، سلم فيها على ابراهيم بن عبدة ، ونصبه وكيلاً على قبض الحقوق الشرعية^(٨) وقد

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال البرقي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال البرقي .

(٥) الكشي .

(٦) رجال الطوسي .

(٧) رجال الطوسي .

(٨) رجال الكشي .

بعثه الى عبد الله بن حمدويه البيهقي ، وزوده برسالة جاء فيها « وبعد فقد بعثت لكم ابراهيم بن عبدة ، ليدفع النواحي ، وأهل ناحيتك ، حقوقي الواجبة عليكم إليه ، وجعلته ثقتي واميني عند موالي هناك فليتقوا الله ، وليؤدوا الحقوق ، فليس لهم عذر في ترك ذلك ، ولا تأخيره ولا اشقاهم الله بعضيان اوليائه ، ورحمهم الله - وإياك معهم - برحمتي لهم إن الله واسع كريم .. » (١) .

٨ - ابراهيم بن عقبة :

عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام (٢) وكذلك عده البرقي (٣) روى عن الامام ابي جعفر الجواد عليه السلام والامام أبي الحسن الهادي عليه السلام ، ، وروى عنه سهل بن زياد وجماعة آخرون (٤) .

٩ - ابراهيم بن محمد :

ابن فارس النيسابوري عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام ومن اصحاب الحسن العسكري عليهما السلام (٥) .

١٠ - ابراهيم بن محمد :

الهمداني عده الشيخ من اصحاب الامام الرضا (ع) ومن اصحاب الامام الجواد والهادي عليه السلام (٦) وقال الكشي : كان وكيله وقد حج

(١) معجم رجال الحديث ١/١١٨ .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال البرقي .

(٤) معجم رجال الحديث ١/٢٢١ - ١٢٢ .

(٥) رجال الشيخ الطوسي .

(٦) رجال الطوسي .

اربعين حجة^(١) كان وكيلاً للامام الجواد عليه السلام وكتب الامام له « قد وصل حسابك تقبل الله منك ورضي عنهم ، وجعلهم معنا في الدنيا والآخرة ، وقد بعث إليك من الدنانير بكذا ، ومن الكسوة بكذا ، فبارك الله لك فيه ، وفي جميع نعمة الله عليك ، وقد كتبت الى النضر أمرته أن ينتهي عنك ، وعن التعرض لك ولخلافك ، واعلمته موضعك عندي ، وكتبت الى ايوب أمرته بذلك ايضاً ، وكتبت الى موالي بهمدان كتابا أمرتهم بطاعتك والمصير الى أمرك ، وان لا وكيل لي سواك . . »^(٢) .

ودلت الرواية على وثاقته وجلالة أمره ، وسمو مكانته عند الامام عليه السلام .

١١ - ابراهيم بن مهزيار :

عده الشيخ من اصحاب الامام الجواد عليه السلام ، ومن اصحاب الامام الهادي عليهما السلام^(٣) قال النجاشي : له كتاب البشارات^(٤) وروى الكشي بسنده عن محمد بن ابراهيم بن مهزيار قال : إن أبي لما حضرته الوفاة دفع الي مالا ، واعطاني علامة ولم يعلم بها أحد إلا الله عز وجل ، وقال : من أتاك بهذه العلامة فادفع إليه المال ، قال : فخرجت الى بغداد ، ونزلت في خان فلما كان في اليوم الثاني جاء شيخ فطرق الباب فقلت للغلام انظر من في الباب ، فخرج ، ثم جاء وقال : شيخ في الباب فاذنت له في الدخول ، فقال : أنا العمري ، هات المال الذي عندك ، وهو كذا وكذا ومعه العلامة ، قال : فدفعت له المال^(٥) ودلت هذه الرواية على أن ابراهيم كان

(١) رجال الكشي .

(٢) رجال الكشي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) النجاشي .

(٥) الكشي .

وكيلاً للإمام عليه السلام في قبض الحقوق الشرعية ، ومن الطبيعي انه انما يؤتمن عليها فيما اذا كان ثقة وعدلاً .

١٢ - ابراهيم الدهقان :

عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(١) ولم يصف الى ذلك شيئاً .

١٣ - احمد بن اسحاق :

ابن عبد الله ، الأشعري القمي ، كان وافد القميين ، وروى عن أبي جعفر الثاني ، وابي الحسن عليهما السلام وكان خاصة أبي محمد عليه السلام له من الكتب :

أ - علل الصوم .

ب - مسائل الرجال للإمام الهادي عليه السلام ، وقد جمعه^(٢) .

ج - علل الصلاة^(٣) .

وهو ممن رأى الامام المهدي عجل الله فرجه عليه السلام ووردت أخبار كثيرة في مدحه والثناء عليه .

١٤ - احمد بن اسحاق :

الرازي عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٥) وقد روى عن الامام عليه السلام وروى عنه سهل بن زياد^(٦) .

(١) رجال الطوسي .

(٢) النجاشي .

(٣) الفهرست للطوسي .

(٤) الغيبة ، أصول الكافي .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) معجم رجال الحديث ٤٨/٢ .

١٥ - احمد بن اسماعيل :

ابن يقطين من اصحاب الامام الهادي عليه السلام ذكره البرقي (١) .

١٦ - احمد بن أبي عبد الله .

البرقي عده الشيخ بهذا العنوان من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام (٢) وقد وقع بهذا العنوان في اسناد عدة من الروايات تبلغ اربعين مورداً (٣) .

١٧ - احمد بن الحسن :

ابن اسحاق بن سعد عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام (٤) .

١٨ - أحمد بن الحسن :

ابن علي بن محمد بن فضال ، يقال : انه كان فصيحاً ، وكان ثقة في الحديث روى عنه أخوه علي بن الحسن ، وغيره من الكوفيين (٥) له كتب منها كتاب « الصلاة » وكتاب « الوضوء » وقد توفي سنة ستين ومائتين (٦) .

١٩ - احمد بن حمزة :

ابن اليسع القمي الثقة عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام (٧) وقد روى عنه وعن ابان بن عثمان ، والحسين بن

(١) رجال البرقي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) معجم رجال الحديث ٣٢/٢ .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) النجاشي .

(٦) معجم رجال الحديث ٢ /

(٧) رجال الطوسي .

المختار ، وزكريا بن آدم ، ومحسن بن احمد ومحمد بن علي ، وروى عنه الحسين بن سعيد وعبد الله بن جعفر ، وعلي بن مهزيار وغيرهم^(١) .

٢٠ - احمد بن الخضيب :

عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) وكذلك عده البرقي .

٢١ - احمد بن زكريا :

ابن بابا القمي عده البرقي من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٣) .

٢٢ - أحمد بن الفضل :

عده الشيخ بهذا العنوان من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٤) .

٢٣ - أحمد بن محمد :

السيادي البصري عده الشيخ في رجاله من اصحاب الامام الهادي والحسن العسكري عليهما السلام^(٥) .

٢٤ - أحمد بن محمد :

ابن عيسى الأشعري القمي ، عده الشيخ من اصحاب الامام الرضا والجواد والهادي عليهم السلام^(٦) يكنى أبا جعفر وهو شيخ القميين ووجههم ، وكان الرئيس الذي يلقي السلطان ، صنف كتباً منها كتاب (التوحيد) وكتاب

(١) معجم رجال الحديث / ٢

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال البرقي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) رجال الطوسي .

(فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم) وكتاب (المتعة) وكتاب (النوادر)
وكتاب (الناسخ والمنسوخ) وكتاب (فضائل العرب) وغيرها^(١) .

٢٥ - أحمد بن هلال :

الصبرتاني البغدادي عدّه الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام
يرمى بالغلو^(٢) ووردت أخبار كثيرة في ذمه والبراءة منه ، وانه لا دين له .

٢٦ - اسحاق بن اسماعيل :

ابن نوبخت عدّه الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٣)
وكذلك عدّه البرقي .

٢٧ - اسحاق بن محمد :

البصري عدّه الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام ، وقال :
انه يرمى بالغلو^(٤) وقال العلامة : انه يرمى في الغلو ، وانه من اصحاب الامام
الجواد^(٥) .

٢٨ - ايوب بن نوح :

ابن دراج الثقة الأمين ، قال النجاش : انه كان وكيلاً لأبي الحسن ،
وأبي محمد عليهما السلام عظيم المنزلة عندهما ، مأمونا ، وكان شديد
الورع ، كثير العبادة ، ثقة في رواياته وابوه نوح بن دراج كان قاضياً بالكوفة ،
وكان صحيح الاعتقاد ، واخوه جميل بن دراج^(٦) قال الشيخ : ايوب بن نوح

(١) معجم رجال الحديث .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) الخلاصة .

(٦) النجاشي .

بن دراج ثقة له كتاب وروايات ومسائل عن أبي الحسن الثالث ، وقال الكشي : كان من الصالحين ومات وما خلف الا مائة وخمسين ديناراً ، وكان عند الناس ان عنده مالاً ، روى عن الامام أبي الحسن عليه السلام وروى عنه جماعة من الرواة .

(ب)

٢٩ - بشر بن بشار :

النيسابوري وهو عم أبي عبد الله الشاذاني من اصحاب الامام الهادي عليه السلام ، ذكر ذلك الشيخ في رجاله ، وروى عن الامام مكاتبة ، وروى عنه سهل^(١) .

(ت) (ث) (ج)

٣٠ - جعفر بن أحمد :

عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) وكذلك ذكره البرقي ، روى عن محمد بن علي ، وروى عنه علي بن ابراهيم القمي في تفسيره^(٣) .

٣١ - جعفر بن ابراهيم :

ابن نوح عده البرقي من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٤) وكذلك عده الشيخ .

٣٢ - جعفر بن عبد الله :

(١) معجم رجال الحديث ٣/٣٠٧ .

(٢) رجال الطوسي (ص ٤١١) .

(٣) معجم رجال الحديث ٤/٤٩ .

(٤) رجال البرقي .

ابن الحسين ، بن جامع ، قمي حميدي ، عده الشيخ من أصحاب
الامام الهادي عليه السلام كانت له مكاتبة مع صاحب الأمر عجل الله
فرجه^(١) .

٣٣ - جعفر بن محمد :

ابن اسماعيل ، ابن الخطاب ، عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي
عليه السلام^(٢) وكذلك عده البرقي ، وذكر الشيخ انه عليه السلام كتب إليه
رسالة^(٣) .

٣٤ - جعفر بن محمد :

ابن يونس الأحول الصيرفي ، مولى بجيلة روى عن الامام أبي جعفر
الثاني عليه السلام وله كتاب^(٤) عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه
السلام^(٥) .

(ح)

٣٥ - حاتم بن الفرغ :

عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٦) .

٣٦ - الحسن بن جعفر :

المعروف بأبي طالب الفافاني بغدادي عده الشيخ من اصحاب الامام

(١) رجال الطوسي .

(٢) معجم رجال الحديث ٣٠٧/٤ .

(٣) التهذيب .

(٤) النجاشي .

(٥) رجال الشيخ الطوسي .

(٦) رجال الطوسي .

الهادي عليه السلام ، كما عده من اصحاب الامام الحسن العسكري عليه السلام^(١) .

٣٧ - الحسن بن الحسن :

العلوي ، عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) .

٣٨ - الحسن بن الحسين :

العلوي عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٣) .

٣٩ - الحسن بن خرزاذ :

عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٤) قال النجاشي : كان كثير الحديث له كتاب (اسماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وكتاب (المتعة) وقيل انه غلا في آخر عمره^(٥) .

٤٠ - الحسن بن راشد :

يكنى أبا علي مولى لآل الهلب بغدادي ثقة عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٦) وعده الشيخ المفيد من الفقهاء الأعلام والرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام الذين لا يطعن عليهم بشيء ولا طريق لدم واحد منهم^(٧) وقد نصبه الامام وكيلاً وبعث إليه بعدة رسائل منها :

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) النجاشي .

(٦) رجال الطوسي .

(٧) الرسالة العددية .

١ - روى الكشي بسنده الى محمد بن عيسى اليقطيني قال : كتب -
يعني الامام الهادي - الى أبي علي بن بلال في سنة (٢٣٢ هـ) رسالة جاء
فيها :

واحمد الله إليك ، واشكر طوله وعوده ، واصلي على محمد النبي
وآله ، صلوات الله ورحمته عليهم ، ثم اني أقمت أبا علي مقام الحسين بن
عبد ربه ، واثمته على ذلك بالمعرفة بما عنده الذي لا يقدمه أحد ، وقد
اعلم أنك شيخ ناحيتك فاحببت افرادك ، واکرامك بالكتاب بذلك ، فعليك
'بالطاعة له ، والتسليم إليه جميع الحق قبلك ، وأن تحض موالي على ذلك ،
وتعرفهم من ذلك ما يصير سببا الى عونته وكفايته ، فذلك موفور ، وتوفير
علينا ، ومحبوب لدينا ، ولك به جزاء من الله وأجر ، فان الله يعطي من يشاء
ذو الأعتاء والجزاء برحمته ، وأنت في وديعة الله ، وكتبت بخطي واحمد الله
كثيراً «^(١) ودلت هذه الرسالة على فضل ابن راشد ووثاقته وامانته ، فقد ارجع
اليه الشيعة واوصاهم بطاعته والانقياد إليه ، وتسليم ما عندهم من الحقوق
الشرعية له .

٢ - روى الكشي بسنده الى احمد بن محمد بن عيسى قال : نسخت
الكتاب مع ابن راشد الى جماعة الموالي الذين هم ببغداد المقيمين بها
والمدائن والسواد وما يليها ، وهذا نصه :

وأحمد الله إليكم ما أنا عليه من عافيته ، واصلي على نبيه وآله افضل
صلاته واكمل رحمته ، ورأفته ، واني أقمت أبا علي بن راشد مقام علي بن
الحسين بن عبد ربه ، ومن كان من قبله ، من وكلائي ، وصار في منزلته
عندي ، ووليته ما كان يتولاه غيره من وكلائي قبلكم ليقبض حقي ، واراضيته
لكم ، وقدمته على غيره في ذلك ، وهو أهله وموضعه ، فصيروا رحمكم الله

(١) الكشي .

الى الدفع إليه ذلك ، وإلي وان لا تجعلوا له على أنفسكم علة ، فعليكم بالخروج عن ذلك ، والتسرع الى طاعة الله ، وتحليل أموالكم ، والحقن لدمائكم ، وتعاونوا على البر والتقوى واتقوا الله لعلكم ترحمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، فقد اوجبت في طاعته طاعتي ، والخروج الى عصيانه عصياني ، فالزموا الطريق يأجركم الله ، ويزيدكم من فضله ، فان الله بما عنده واسع كريم ، متطول على عباده ، رحيم ، نحن وأنتم في وديعة الله وحفظه ، وكتبته بخطي ، والحمد لله كثيراً . . . » (١) .

وكشفت هذه الرسالة عن سمو مكانة ابن راشد عند الامام عليه السلام وعظيم منزلته عنده حتى قرن طاعته بطاعته ، وعصيانه بعصيانه .

٣ - وبعث الامام أبو الحسن رسالة له والى ايوب بن نوح جاء فيها بعد البسملة :

« أنا أمرك يا أيوب بن نوح أن تقطع الاكثار بينك وبين أبي علي ، وأن يلزم كل واحد منكما ما وكل به ، وأمر بالقيام فيه بأمر ناحيته ، فانكم اذا انتهيتم الى كل ما امرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي ، وأمرك يا أبا علي بمثل ما أمرت به ايوب ، ان لا تقبل من أحد من أهل بغداد والمدائن شيئاً يحملونه ، ولا يلي لهم استيذاننا علي ، ومر من أتاك بشيء من غير أهل ناحيتك أن يصيره الى الموكل بناحيته ، وأمرك يا أبا علي في ذلك بمثل ما أمرت به ايوب ، وليعمل كل واحد منكما بمثل ما أمرته به . . . » (٢) .

لقد كانت لابي راشد مكانة مرموقة عند الامام عليه السلام ، ومن الطبيعي أنه لم يحتل هذه المنزلة إلا بتقواه وورعه ، وشدة تحرجه في الدين ،

(١) الكشي .

(٢) الكشي .

ولما توفي ابن راشد ترحم عليه الامام (ع) ودعا له بالمغفرة والرضوان .

٤١ - الحسن بن ظريف :

عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(١) قال النجاشي : الحسن بن ظريف بن ناصح كوفي يكنى أبا محمد ، ثقة ، سكن بغداد وابوه ، قيل له نوادر ، والرواة عنه كثير^(٢) .

٤٢ - الحسن بن علي :

ابن عمر ، بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الناصر للحق من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٣) وهو والد جد السيد المرتضى من جهة أمه قال : السيد قدس سره في اول كتابه شرح المسائل الناضريات : وأما أبو محمد الناصر الكبير وهو الحسن بن علي ففضله في علمه ، وزهده وفقهه اظهر من الشمس الباهرة ، وهو الذي نشر الاسلام في الديلم حتى اهدوا به من الضلالة ، وعدلوا بدعائه بعد الجهالة ، وسيرته الجميلة اكثر من أن تحصى ، واظهر من ان تخفى^(٤) .

٤٣ - الحسن بن علي :

الوشا عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٥) قال النجاشي : انه ابن بنت الياس الصيرفي الخزاز ، وقد روى الحسن عن جده الياس انه لما حضرته الوفاة ، قال : اشهدوا علي وليست ساعة الكذب هذه الساعة : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : والله لا يموت عبد يحب

(١) رجال الطوسي .

(٢) النجاشي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) معجم رجال الحديث ٣٠/٥ - ٣١ .

(٥) رجال الطوسي .

الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويتولى الأئمة فتمسه النار .

وروى احمد بن محمد بن عيسى قال : خرجت الى الكوفة في طلب الحديث فلقيت بها الحسن بن علي الوشا فسألته ان يخرج لي كتاب العلاء بن رزين القلا ، وابان بن عثمان الأحمر فاخرجهما لي فقلت له : احب أن تجيزهما لي ، فقال لي : يا هذا رحمك الله ، وما عجلتك ، اذهب فاكتبهما ، واسمع من بعد ، فقلت : لا آمن الحدثان ، فقال : لو علمت أن هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه ، فاني ادركت في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول : حدثني جعفر بن محمد ، وكان هذا الشيخ عينا من عيون هذه الطائفة وله كتب منها ثواب الحج ، والمناسك والنوادر^(١) .

٤٤ - الحسن بن علي :

ابن أبي عثمان السجادة غال عدّه الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٢) ومن غلوه ما رواه نصر بن الصباح قال : قال لي السجادة الحسن بن علي بن أبي عثمان يوما ، ما تقول في محمد بن أبي زينب ، ومحمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وآله وسلم أيهما افضل ؟ قلت له : قل أنت : فقال : قال محمد بن أبي زينب !! الا ترى ان الله جلّ وعزّ عاتب في القرآن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله في مواضع ولم يعاتب محمد بن أبي زينب ، قال : لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله « لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا » و (لئن اشركت ليحبطن عملك) وفي غيرهما ، ولم يعاتب محمد بن أبي زينب بشيء من ذلك ، قال ابو عمرو : على السجادة لعنة الله ولعنة الله عنين والملائكة

(١) النجاشي .

(٢) رجال الطوسي .

والناس اجمعين ، فلقد كان من العليائية الذين يقعون في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس لهم في الاسلام نصيب^(١) ودلت هذه البادرة على فساد مذهبه والحاده .

٤٥ - الحسن بن محمد :

القمي عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) قال الكشي : ذكر أبو محمد الفضل بن شاذان في بعض كتبه : ان من الكذابين المشهورين ابن بابا القمي قال سعد : حدثني العبيدي قال : كتب الي العسكري ابتداءً منه ابرأ الى الله من الفهري ، والحسن بن محمد بن بابا القمي فابراً منهما ، فاني محذرك وجميع موالي ، واني العنهما عليهما لعنة الله مستأكلين يأكلان بنا الناس فتانين ، مؤذنين آذاهما الله . . . واركسهما في الفتنة يزعم ابن بابا أني بعثته نبيا ، وانه باب عليه لعنة الله ، سخر منه الشيطان فأغواه ، فلعن الله من قبل منه ذلك ، يا محمد إن قدرت ان تخدش رأسه بالحجر فافعل فانه قد آذاني اذاه الله في الدنيا والآخرة^(٣) لقد ضل ابن بابا عن طريق الحق ، وقد مرق من الدين ، واساء الى الامام عليه السلام بما ابتدعه من الاضاليل .

٤٦ - الحسن بن محمد :

ابن حي عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٤) وظاهره انه امامي مجهول الحال .

٤٧ - الحسن بن محمد :

(١) الكشي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) الكشي .

(٤) رجال الطوسي .

المدائني ، من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(١) .

٤٨ - الحسين بن أسد :

النهدي ، عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) وكذلك
عده البرقي

٤٩ - الحسين بن أسد :

البصري ، عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٣) وعده
البرقي من اصحاب الامام الجواد عليه السلام ووصفه بأنه ثقة صحيح^(٤) .

٥٠ - الحسين بن اشكيب :

قال النجاشي : الحسين بن اشكيب ، شيخ لنا خراساني ، ثقة ،
مقدم ، ذكره أبو عمرو في كتابه الرجال في اصحاب أبي الحسن صاحب
العصر ، روى عنه العياشي واكثر ، واعتمد حديثه ثقة ، ثقة : بت^(٥) وقال
الكشي : انه عالم متكلم ، مصنف لكتب^(٦) .

٥١ - الحسين بن عبيد الله :

القمي عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه
السلام ، واذاف انه يرمى بالغلو^(٧) وقال الكشي : إنه اخرج من قم في وقت
كانوا يخرجون منها من اتهموه بالغلو^(٨) .

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال البرقي .

(٥) النجاشي .

(٦) الكشي .

(٧) رجال الطوسي .

(٨) الكشي .

٥٢ - الحسين بن مالك :

القمي عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام
واضاف انه ثقة^(١) .

٥٣ - الحسين بن محمد :

المدائني ، عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢)
وكذلك عده البرقي .

٥٤ - حفص المروزي :

عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٣) .

٥٥ - حمدان بن سليمان :

ابن عميرة النيسابوري المعروف بالتاجر عده الشيخ بهذا العنوان من
اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٤) وقال النجاشي : حمدان
ابن سليمان أبو سعيد النيشابوري - بالشين - ثقة من وجوه اصحابنا^(٥) .

٥٦ - حمزة مولى علي

ابن سليمان ، بن رشيد بغدادي عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي
عليه السلام^(٦) .

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) النجاشي .

(٦) رجال الطوسي .

(خ)

٥٧ - خليل بن هاشم :

الفارسي ، عدّه الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(١) .

٥٨ - خيران بن اسحاق :

الزكاني ، عدّه الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) .

٥٩ - خيران الخادم :

عدّه الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام ،
واضاف أنه ثقة^(٣) وكذلك عدّه البرقي ، كانت له منزلة كريمة عند الامام
الجواد عليه السلام ، وذكر الكشي طائفة من اخباره مع الامام الجواد عليه
السلام .

(د)

٦٠ - داود بن أبي زيد :

عدّه الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام واضاف انه ثقة
صادق اللهجة من أهل الدين ، له كتب ذكرها الكشي وابن النديم^(٤) .

٦١ - داود بن القاسم :

الجعفري ، يكنى ابا هاشم من أهل بغداد ، جليل القدر ، عظيم
المنزلة عند الأئمة عليهم السلام شاهد الامام الرضا ، والجواد ، والهادي ،
والعسكري وصاحب الأمر عليهم السلام ، وروى عنهم كلهم ، وله اخبار

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) معجم رجال الحديث ٩٢/٧ .

ومسائل وله شعر جيد فيهم ، وكان مقدماً عند السلطان وله كتاب^(١) عده البرقي من اصحاب الامام الجواد والامام الهادي والامام الحسن العسكري عليهم السلام^(٢) قال الكشي : قال ابو عمرو : له - اي لداود - منزلة عالية عند أبي جعفر وأبي الحسن ، وأبي محمد عليهم السلام وموقع جليل^(٣)

٦٢ - داود بن ساخنة :

الصرمي ، عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٤) وكذلك عده البرقي ، وقال النجاشي : روى عن الامام الرضا عليه السلام ، وبقي الى أيام أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام وله مسائل إليه^(٥)

(ذ) (ر)

٦٣ - رجاء بن يحيى :

ابن سامان ، ابو الحسين العبرقائي الكاتب روى عن الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام روى رجاء رسالة تسمى المقنعة في ابواب الشريعة رواها عنه أبو المفضل الشيباني^(٦) .

٦٤ - الريان بن الصلت :

عده الشيخ من اصحاب الامام الرضا عليه السلام ، ومن اصحاب

(١) معجم رجال الحديث ١٢١/٧ .

(٢) رجال البرقي .

(٣) الكشي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) النجاشي .

(٦) النجاشي .

الامام الهادي عليه السلام واطاف أنه ثقة^(١) وروى الكشي بسنده عن معمر ابن خلاد ، قال : قال لي الريان بن الصلت : وكان الفضل بن سهل بعثه الى بعض كور خراسان ، فقال أحب أن تستأذن لي على أبي الحسن عليه السلام فاسلم عليه وأودعه واحب أن يكسوني من ثيابه ، وان يهب لي من الدراهم التي ضربت باسمه ، قال : فدخلت عليه فقال لي : مبتدئاً يا معمر اين ريان أيحب ان يدخل علينا فأكسوه من ثيابي ، واعطيه من دراهمي ؟ قال : قلت : سبحان الله !!! والله ما سألني إلا ان اسألك ذلك له ، فقال : يا معمر ان المؤمن موفق قل له فليجيء قال : فأمرته فدخل عليه فسلم عليه فدعا بثوب من ثيابه ، فلما خرج قلت : أي شيء اعطاك واذا بيده ثلاثون ردهما^(٢) ودلت هذه البادرة على ايمانه وحسن عقيدته .

(ز) (س)

٦٥ - السري بن سلامة :

الاصفهاني ، عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٣) وقال الشيخ له كتاب أخبرنا به جماعة عن أبي المفضل عن ابن بطة عن احمد بن أبي عبد الله عنه .

٦٦ - سليمان بن حفصويه :

عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٤) وكذلك ذكره البرقي .

(١) رجال الطوسي .

(٢) الكشي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي والبرقي .

٦٧ - سليمان بن داود :

المروزي ، عده الشيخ من اصحاب الامام ابي الحسن الهادي عليه السلام (١) .

٦٨ - السندي بن محمد :

عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام مضيفاً أنه اخو علي (٢) .

٦٩ - سهل بن زياد :

عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام واذاف أنه ثقة رازي يكنى أبا سعيد (٣) قال النجاشي : انه كان ضعيفاً في الحديث غير معتمد عليه فيه وكان احمد بن محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلو والكذب ، واخرجه من قم الى الري وكان يسكنها ، وقد كاتب أبا محمد العسكري عليه السلام على يد محمد بن عبد الحميد العطار للنصف من شهر ربيع الآخر سنة (٢٥٥ هـ) ذكر ذلك احمد بن علي بن نوح ، واحمد بن الحسين ، له كتاب (التوحيد) رواه ابو الحسن العباس بن احمد بن الفضل بن محمد الهاشمي الصالحي عن أبيه عن ابي سعيد الآدمي ، وله كتاب (النوادر) (٤) .

وقال ابن الغضائري فيه : كان ضعيفاً جداً فاسد الرواية والمذهب ،

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) النجاشي .

وكان احمد بن محمد بن عيسى الأشعري اخرجته عن قم واطهر البراءة منه ،
ونهى الناس عن السماع منه والرواية عنه ، ويروي المراسيل ، ويعتمد
المجاهيل^(١) .

٧٠ - سهل بن يعقوب :

ابن اسحاق ، يكنى أبا نسري الملقب بابي نواس عده الشيخ من
اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام ، وجاء في الهامش من رجال
الشيخ ان سهل كان يخدم الامام الهادي بسر من رأى ويسعى في حوائجه
وكان يقول له : أنت أبو نواس الحق^(٢) .

٧١ - شاهويه بن عبد الله :

عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٣) روى
عن الامام الهادي ، وروى عنه اسحاق بن محمد النص على امامة الحسن
العسكري عليه السلام^(٤) .

(ص)

٧٢ - صالح بن سلمة :

الرازي ، يكنى أبا الخير عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن
الهادي عليه السلام^(٥) .

٧٣ - صالح بن عيسى :

(١) معجم رجال الحديث ١/٣٤٠ .

(٢) رجال الطوسي (ص ٤١٥) .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) أصول الكافي .

(٥) رجال الطوسي .

ابن عمر ، بن بزيع ، عدّه الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(١) .

٧٤ - صالح بن محمد :

الهمداني ، الثقة ، عدّه الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) وكذلك عدّه البرقي ، وذكر ابن شهر اشوب انه من ثقات الامام الهادي عليه السلام^(٣) .

(ط) (ظ) (ع)

٧٥ - عبدوس العطار :

كوفي عدّه الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٤) .

٧٦ - عبد الرحمن بن محمد :

ابن طيفور المتطبب عدّه الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٥) .

٧٧ - عبد الرحمن بن محمد :

ابن معروف القمي عدّه الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٦) .

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) المناقب .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) رجال الطوسي .

٧٨ - عبد الصمد :

القمي ، عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(١) .

٧٩ - عبد العظيم الحسيني :

هو السيد الشريف الحسين النسيب من مفاخر الأسرة النبوية علما وتقى
وتخرجوا في الدين ، وتلمح الى بعض شؤونه .

أ - نسبه الوضاح .

يرجع نسبه الشريف الى الامام الزكي أبي محمد الحسن بن علي سيد
شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله فهو ابن عبد الله بن
علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢)
وليس في دنيا الانساب نسب اسمي ولا أجل وأشرف من هذا النسب الرفيع
الذي اعز الله به العرب والمسلمين .

ب - وثاقته وعلمه :

كان ثقة عدلا ، متخرجاً في دينه كأشد ما يكون التخرج كما كان عالماً
وفاضلاً وفقهاً فقد روى أبو تراب الروياني قال : سمعت أبا حماد الرازي ،
يقول : دخلت على علي بن محمد عليه السلام بسر من رأى فسألته عن أشياء
من الحلال والحرام فاجابني عنها ، فلما ودعته قال لي : يا حماد اذا اشكل
عليك شيء من امر دينك بناحيتك فسل عنه عبد العظيم الحسيني واقراه مني
السلام^(٣) ودلت هذه الرواية على فقهه وعلمه .

ج - عرض عقيدته على الهادي .

(١) رجال الطوسي .

(٢) النجاشي .

(٣) معجم رجال الحديث ٥٢/١٠ .

وتشرف السيد الجليل عبد العظيم بمقابلة الامام الهادي عليه السلام
فعرض على الامام اصول عقيدته وما يدين به قائلا :

« يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني أريد ان اعرض عليك
ديني فان كان مرضيا ثبت عليه . . . » .

فقابلته الامام ببسمات وقال له :

« هات يا أبا القاسم . . . » .

وانبرى عبد العظيم يعرض على الامام المبادئ التي آمن بها قائلا :

« اني أقول : إن الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء ، خارج عن
الحددين حد الابطال ، وحد التشبيه ، وانه ليس بجسم ، ولا صورة ، ولا
عرض ، ولا جوهر ، بل هو مجسم الاجسام ، ومصور الصور ، وخالق
الأعراض والجواهر ، ورب كل شيء ومالكة ، وجاعله ومحدثه .

وان محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ، فلا نبي بعده الى يوم القيامة ،
وان شريعته خاتمة الشرايع فلا شريعة بعدها الى يوم القيامة ، واقول : إن
الامام والخليفة ، وولي الأمر بعده امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه
السلام ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ثم
جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن
علي ، ثم أنت يا مولاي .

والتفت إليه الامام فقال .

« ومن بعدي الحسن ابني ، فكيف للناس بالخلف من بعده ؟ . . . » .

واستفسر عبد العظيم عن الحجة من بعده قائلا :

« وكيف ذاك يا مولاي ؟ . . . » .

قال الامام :

« لأنه لا يرى شخصه ، ولا يحل ذكره باسمه ، حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً . . . » .

وانبرى عبد العظيم يعلن ايمانه بما قال الامام عليه السلام قائلاً :
« اقررت ، واقول : إن وليهم الله ولي الله ، وعدوهم عدو الله وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله . . . واقول : ان المعراج حق ، والمسألة في القبر حق ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، والصراف حق والميزان حق ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور .

واقول : ان الفرائض الواجبة بعد الولاية - أي الولاية لأئمة أهل البيت عليهم السلام - الصلاة ، والزكاة والصوم ، والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . » .

وبارك له الامام عقيدته قائلاً :

« يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده ، فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة . . »^(١) .

هربه الى الري :

ولما جهدت الحكومة العباسية الجائرة في ظلم العلويين ومطاردتهم فرّ هاربا السيد عبد العظيم الى الري ليكون بمنجى من شرور العباسيين ، وقد أقام في دار رجل شريف من الشيعة ، وكان فيما يقول المؤرخون : قد اجهد نفسه على العبادة فكان يصوم نهاره ، وينفق ليله ساهراً في عبادة الله والتضرع إليه شأنه شأن آبائه الذين احيوا لياهم في طاعة الله ومناجاته .

وكان في اثناء اقامته في الري يخرج مستتراً لزيارة قبر احد ابناء الامام

(١) أمالي الصدوق وروي بصورة موجزة في وسائل الشيعة ١٣/١ .

موسى بن جعفر عليه السلام^(١) وهو - فيما نحسب - السيد الجليل السيد احمد المعروف بشاه جراغ ، وقد علمت الشيعة التي في الري بمجيئه فكانت تتعده بالزيارة^(٢) على تستر خوفاً من السلطة .

وفاته :

ومكث السيد عبد العظيم مدة من الزمن بالري ، وهو خائف وجل ، قد أترعت نفسه بالأسى والحزن على ما حل بابناء عمومته من صنوف الظلم والارهاق من قبل العباسيين الذي نصبوا العدا لأهل البيت ، فتنكروا لهم كأشد ما يكون التنكر ، فاذاقوهم جميع انواع المصائب والكوارث .

ومرض السيد الجليل مرضاً شديداً ، وبقي أياماً وهو يعاني آلاماً قاسية كان من افجعها بعده عن أهله ووطنه ، واشتد به النزغ ودنا إليه الموت فكان لسانه يلهج بذكر الله وشكره ، وقد اختطفته المنية وهو في ديار الغربه ليس معه أحد من أهل بيته .

لقد انطوت بموته صفحة مشرقة من صفحات الجهاد الاسلامي ، فقد اخمدت تلك الشعلة الوهاجة التي كانت تنير للناس طريقهم نحو العزة والكرامة .

وهرع أهالي الري بجميع طبقاتهم لتشيع جنازة العلوي الغريب وقد شيعوه بتشيع حافل ، وجاءوا بالجثمان المقدس الى مقره الأخير فواروه فيه ، وقد واروا معه قطعة من كبد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثمره من ثمراته ، وقد شيدوا له مرقداً عظيماً تزوره في كل يوم المئات من الزائرين متبركين به .

(١) النجاشي .

(٢) النجاشي .

العمري : السمان ، يكنى أبا عمرو ، الثقة الزكي ، خدم الامام الهادي عليه السلام وله من العمر احدى عشر سنة^(١) احتل المكانة المرموقة عند الامام عليه السلام فقد روى احمد بن اسحاق القمي قال : دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلت له : يا سيدي أنا أغيب وأشهد ، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت فقول من نقبل ، وأمر من نمثل؟؟ فقال عليه السلام هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ما قاله لكم فعني يقوله : وما اداه اليكم فعني يؤديه ، فلما قضى ابو الحسن نجهه عليه السلام رجعت الى ابي محمد ابنه الحسن العسكري وقلت له عليه السلام ذات يوم : مثل قولي لأبيه ، فقال لي : هذا ابو عمرو الثقة الأمين ، ثقة الماضين ، وثقتي في المحيا والممات ، فما قاله لكم فعني يقوله : وما ادى إليكم فعني يؤديه^(٢) .

ودلت هذه الرواية على وثاقته ، وانه نال المنزلة الكريمة عند الأئمة الطاهرين عليهم السلام كما دلت على فضله وعلمه ، وانه كان مرجعا للفتيا واخذ الأحكام .

الدهقان ، عده البرقي من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٣) وكذلك عده الشيخ واذاف انه ملعون غادر^(٤) وروى الكشي بسنده عن محمد ابن موسى الهمداني ان عروة بن يحيى البغدادي المعروف بالدهقان لعنه الله كان يكذب على ابي الحسن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام وعلى أبي

(١) رجال الطوسي .

(٢) الغيبة .

(٣) رجال البرقي .

(٤) رجال الطوسي .

محمد الحسن بن علي عليه السلام بعده ، وكان يقطع امواله لنفسه دونه ،
ويكذب عليه حتى لعنه ابو محمد وامر شيعته بلعنه والدعاء عليه^(١) .

وروى علي بن سليمان بن رشيد البغدادي قال : كان عروة يلعنه ابو
محمد عليه السلام وذكر انه كانت لأبي محمد عليه السلام خزانة وكان يليها
أبو علي بن راشد فسلمت الى عروة فأخذ منها لنفسه ، ثم أحرق باقي ما فيها
يغايظ بذلك أبا محمد عليه السلام فلعنه وبرأ منه ودعا عليه فما امهله يومه
ذلك وليلته حتى قبضه الله الى النار ، فقال عليه السلام جلست لربي في
ليلتي هذه كذا وكذا جلسة فما انفجر عمود الصبح ولا انطفأ ذلك النار حتى
قتل الله عروة لعنه الله^(٢)

٨٢ - علي بن ابراهيم :

الهمداني ، عده الشيخ من اصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه
السلام^(٣) روى عن عبد الله بن حماد الانصاري ، وروى عنه ابنه محمد^(٤) .

٨٣ - علي بن ابراهيم :

عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام واستظهر سيدنا
الاستاذ الخوئي أنه هو علي بن ابراهيم بن هاشم القمي^(٥) صاحب المؤلفات
الكثيرة واحد الشخصيات العلمية البارزة في عصره .

٨٤ - علي بن أبي قرّة :

يكن أبا الحسن عده الشيخ من اصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٦) .

(١) الكشي .

(٢) الكشي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) معجم رجال الحديث ١١/٢٢٢ .

(٥) معجم رجال الحديث ١١/٢٠٣ .

(٦) رجال الطوسي .

٨٥ - علي بن بلال :

بغدادى انتقل الى واسط روى عن الامام الهادى عليه السلام وله كتاب^(١) قال الكشي : وجدت بخط جبرئيل بن أحمد ، حدثني محمد بن عيسى اليقطيني قال : كتب عليه السلام - يعني الامام الهادى - الى علي بن بلال في سنة (٢٣٢ هـ) بسم الله الرحمن الرحيم . احمد الله إليك واشكر طوله وعوده واصلي على محمد النبي وآله صلوات الله ورحمته عليهم ، ثم اني اقامت أبا علي مقام الحسين بن عبد ربه ، واثمته على ذلك بالمعرفة بما عنده الذي لا يقدمه أحد ، وقد اعلم أنك شيخ ناحيتك فاحببت افرادك واکرامك بالكتاب بذلك فعليك بالطاعة له والتسليم إليه جميع الحق قبلك ، وان تحض موالي على ذلك ، وتعرفهم من ذلك ما يصير سبباً الى عونهم وكفايتهم فذلك موفور ، وتوفير علينا ومحجوب لدينا ، ولك به جزاء من الله وأجر فان الله يعطي من يشاء ذو الاعطاء والجزاء برحمته وأنت في وديعة الله ، وكتبت بخطي واحمد الله كثيراً^(٢) .

وانما خصه الامام بالكتاب نظراً لوثاقته وعدالته ، وشدة تعلقه بأهل البيت عليهم السلام .

روى علي بن بلال عن محمد بن اسماعيل بن بزيح ، وروى عنه محمد ابن أحمد بن يحيى في فضل زيارة المؤمنين ، وكيف يزارون^(٣) .

٨٦ - علي بن جعفر :

الهماني ، عده الشيخ من أصحاب الامام الهادى عليه السلام واطاف انه

(١) النجاشي .

(٢) الكشي .

(٣) معجم رجال الحديث ٣٠١/١١ .

وكيل له وثقة^(١) وقال النجاشي : له مسائل لابي الحسن العسكري عليه السلام^(٢) عده الشيخ في السفراء الممدوحين قائلاً : وكان فاضلاً مرضياً من وكلاء أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام^(٣) روى احمد بن علي الرازي عن علي بن مخلد الأيادي قال : حدثني ابو جعفر العمري قال حج ابو طاهر ابن بلال فنظر الى علي بن جعفر وهو ينفق النفقات العظيمة ، فلما انصرف كتب بذلك الى أبي محمد عليه السلام فوقع عليه السلام في رقعة ، قد كنا أمرنا له بمائة الف دينار ثم أمرنا له بمثلها فأبى قبوله ابقاءً علينا ما للناس ، والدخول في أمرنا فيما لم ندخلهم فيه قال : ودخل على أبي الحسن العسكري عليه السلام فأمر له بثلاثين الف دينار^(٤) .

لقد كان أثيراً عند الامام عليه السلام ، وقد وقعت مشادة بينه وبين فارس فانبرى ابراهيم بن محمد فراسل الامام يخبره بذلك ، ويطلب منه ان يعين له من يتبعه منهما فأجابه عليه السلام « ليس عن مثل يسأل ، ولا في مثله شك قد عظم قدر علي بن جعفر متعنا الله تعالى به عن أن يقايس إليه فاقصد علي بن جعفر بحوائجك ، واخشوا فارساً وامتنعوا من ادخاله في شيء من اموركم تفعل ذلك أنت ومن اطاعك من أهل بلادك ، فانه قد بلغني ما تموه به على الناس ، فلا تلتفتوا اليه ان شاء الله »^(٥) .

وحدثت منافرة بين علي وابن القزويني فكتب ابراهيم بن محمد الهمداني رسالة الى الامام يخبره بالأمر ويطلب منه أن يعين له من يتبعه منهما فاجابه عليه السلام .

« ليس عن مثل هذا يسأل ، ولا في مثله يشك ، وقد عظم الله من حرمة

(١) رجال الطوسي .

(٢) النجاشي .

(٣) الغيبة .

(٤) الكشي .

العليل - يعني علي بن جعفر - اذ يقاس عليه القزويني ! سمي باسمهما جميعا ، فاقصد إليه بحوائجك ، ومن أطاعك من أهل بلادك ان يقصدوا الى العليل بحوائجهم ، وان يجتنبوا القزويني ان يدخلوه في شيء من أمورهم فانه قد بلغني ما تموه به عند الناس فلا تلتفتوا إليه ان شاء الله «^(١) وقد ذكرنا في البحوث السابقة دعاء الامام له حينما كان في السجن ، وقد استجاب دعاءه فانقذه من السجن .

٨٧ - علي بن الحسن :

عده الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٢) .

٨٨ - علي بن الحسن :

ابن فضال عده الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٣) قال فيه النجاشي : كان فقيه أصحابنا بالكوفة ، ووجههم ، وثقتهم ، وعارفهم بالحديث ، والمسموع قوله فيه ، سمع منه - أي من الحديث - شيئاً كثيراً ، ولم يعثر له على زلة فيه ولا ما يشينه ، وقل ما روى عن ضعيف ، وكان فطحياً ، ولم يرو عن أبيه شيئاً ، وقال : كنت أقابله سنّي ثمان عشر سنة بكتبه ، ولا أفهم إذ ذاك الروايات ، ولا استحلّ أن أرويهاعنده ، وروى عن اخويه عن أبيهما . .

وقد صنّف كتباً كثيرة منها ما وقع إلينا (الوضوء) كتاب (الحيض والنفاس) كتاب (الصلاة) كتاب (الزكاة والخمس) كتاب (الصيام) كتاب (مناسك الحج) كتاب (الطلاق) كتاب النكاح^(٤) وغيرها .

(١) الكشي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) النجاشي .

قال الكشي : قال أبو عمر وسألت أبا الضر محمد بن مسعود عن جميع هؤلاء - يعني الرواة - قال : أما علي بن الحسن بن علي بن فضال فما رأيت في من لقيت بالعراق وناحية خراسان أفتقه ولا أفضل من علي بن الحسن بالكوفة ، ولم يكن كتاب عن الأئمة عليهم السلام من كل صنف إلا وقد كان عنده ، وقد كان أحفظ الناس غير أنه كان فطحياً يقول بعبد الله بن جعفر ثم بأبي الحسن موسى عليه السلام وكان من الثقات (١) .

٨٩ - علي بن الحسين :

ابن عبد ربّه عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام (٢) وكذلك عدّه البرقي (٣) .

٨٩ - علي بن الحسين :

الهمدانيّ الثقة عدّه الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام (٤) وكذلك عدّه البرقي .

٩١ - علي بن رميس :

البغدادي عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام ، وأضاف أنه ضعيف (٥) .

٩٢ - علي بن الريان :

ابن الصلت الأشعري القمي ثقة له عن أبي الحسن الثالث عليه السلام

(١) الكشي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال البرقي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) النجاشي .

نسخة وله كتاب مشور الأحاديث^(١) عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) وكذلك عدّه البرقي^(٣) .

٩٣ - علي بن زياد :

الصيمري عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٤) وروى محمد بن يعقوب عن علي بن محمد عن أبي عقيل عيسى بن نصر قال : كتب علي بن زياد الصيمري يسأل كفناً فكتب إليه أنّك تحتاج إليه في سنة ثمانين ، وبعث إليه بالكفن قبل موته بأيام^(٥) .

٩٤ - علي بن شيرة :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام وأضاف أنّه ثقة^(٦) .

٩٥ - علي بن عبد الغفار :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٧) وكذلك عدّه البرقي^(٨) .

٩٦ - علي بن عبد الله :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٩) .

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال البرقي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) أصول الكافي .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) رجال الطوسي .

(٧) رجال البرقي .

(٨) رجال الطوسي .

(٩) رجال الطوسي .

٩٧ - علي بن عبد الله :

ابن جعفر الحميري : عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(١) .

٩٨ - علي بن عبد الله :

الزبيري : عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) .

٩٩ - علي بن عبيد الله

عدّه البرقي من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٣) وكذلك عدّه الشيخ^(٤) .

١٠٠ - علي بن عمرو :

الطار ، القزويني : عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٥) ، وكذلك عدّه البرقي ، وهو ممن روى النص على إمامة أبي محمد العسكري^(٦) .

١٠١ - علي بن محمد :

ابن زياد الصيمري عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٧) واستظهر سيّدنا الاستاذ أنّ علي بن زياد الصيمري الذي تقدّمت

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال البرقي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) معجم رجال الحديث ١١/١١٤ .

(٧) رجال الطوسي .

ترجمته وعلي بن محمد الصيمري هما واحد وليسا متعددين^(١) .

١٠٢ - علي بن محمد :

ابن الشجاع ، النيسابوري روى عن الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٢) .

١٠٣ - علي بن محمد :

ابن شيرة القاشاني ، قال الشيخ : أنه ضعيف اصبهاني من ولد زياد مولى عبد الله بن عباس من آل خالد بن الأزهر^(٣) وعدّه البرقي من أصحاب الامام الهادي قائلاً : علي بن محمد القاشاني^(٤) قال فيه النجاشي : كان فقيهاً أكثراً من الحديث فاضلاً غمز عليه أحمد بن محمد بن عيسى ، وذكر أنه سمع منه مذاهب منكرة وليس في كتبه ما يدل له كتاب التأديب ، وهو كتاب الصلاة ، وهو يوافق كتاب ابن خابنة وفيه زيادات في الحج وكتاب الجامع في الفقه كبير^(٥) .

١٠٤ - علي بن محمد :

المنقري : عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٦) وقال فيه النجاشي : أنه كوفي ، ثقة له كتاب نوادر^(٧) .

١٠٥ - علي بن محمد :

(١) معجم رجال الحديث ١٢/١٥٤

(٢) معجم رجال الحديث ١٢/٦٠ .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي

(٥) رجال البرقي .

(٦) النجاشي

(٧) رجال الطوسي .

النوفلي عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(١) وكذلك عدّه البرقي^(٢) روى عن الامام أبي الحسن عليه السلام وروى عنه أحمد بن محمد^(٣) .

١٠٦ - علي بن مهزيار :

الأهوازي ، الدورقي ، كان من مفاخر العلماء ، ومن مشاهير تلاميذ الامام الهادي عليه السلام ونتحدّث - بإيجاز - عن بعض شؤونه :

أ - عبادته :

كان من عيون المتّقين والصالحين ، ويقول الرواة : أنّه كان اذا طلعت الشمس سجد لله تعالى ، وكان لا يرفع رأسه حتى يدعو لألف من إخوانه بمثل ما دعا لنفسه ، وكان على جبهته سجادة مثل ركبة البعير^(٤) من كثرة سجوده .

ب - ثناء الامام الجواد عليه :

وأثنى الامام الجواد عليه السلام ثناءً عاطراً على ابن مهزيار ، وكان مما أثنى عليه انه بعث له رسالة جاء فيها :

« يا علي قد بلوتك ، وخبرتكَ في النصيحة والطاعة والخدمة ، والتوقير ، والقيام بما يجب عليك ، فلو قلت : إنّي لم أر مثلك لرجوت أن أكون صادقاً فجزاك الله جنّات الفردوس نزلاً ، وما خفي علي مقامك ، ولا خدمتك في الحرّ والبرد في الليل والنهار ، فاسأل الله إذا جمع الخلائق للقيامه أن يحبوك برحمة تغتبط بها انه سميع الدعاء . . . »^(٥) .

(١) رجال الطوسي .

(٢) البرقي .

(٣) معجم رجال الحديث ١٢ / ١٩٣ .

(٤) الكنى والألقاب ٤٣٢/١ نقلاً عن الكشي .

(٥) الكشي .

وكشفت هذه الرسالة عن إكبار الامام وتقديره ودعائه له ، وأنه عليه السلام لم ير في أصحابه وغيرهم مثل هذا الزكي تقوى وورعاً وعلماً .

ج - مؤلفاته :

ألف علي مجموعة من الكتب تزيد على ثلاثين كتاباً كان معظمها في الفقه وهذه بعضها: وهي كتاب (الوضوء) كتاب (الصلاة) كتاب (الزكاة) كتاب (الصوم) كتاب (الحج) كتاب (الطلاق) كتاب (الحدود) كتاب (الديات) كتاب (التفسير) كتاب (الفضائل) كتاب (العتق والتدبير) كتاب (التجارات والاجارات) كتاب (المكاسب) كتاب (المثالب) كتاب (الدعاء) كتاب (التجميل والمروة) كتاب (المزار) وغيرها^(١) .

د - طبقته في الحديث :

وقع علي بن مهزيار في اسناد كثير من الروايات تبلغ (٤٣٧) مورداً روى عن الامام أبي جعفر الثاني ، وأبي الحسن ، وأبي الحسن الثالث وغيرهم^(٢) . لقد كان علي بن مهزيار من دعائم الفكر الشيعي ، وكان من أفذاذ عصره ، وعلماء دهره .

١٠٧ - علي بن يحيى :

الدهقان ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام ، وأضاف أنه رمي بالغلو^(٣) .

١٠٨ - عيسى بن أحمد :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٤) وقد

(١) النجاشي .

(٢) معجم رجال الحديث ١٢ / ١٩٤ .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي .

روى عنه مجموعة من الأخبار كان من بينها هذا الحديث الشريف ، قال :
حدّثني أبو الحسن علي بن محمد العسكري عن أبيه عن آباءه عن عليّ عليه
السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : من سرّه أن يلقي الله عزّ
وجلّ أمناً مطهراً ، لا يحزنه الفزع الأكبر فليتولّك ، وليتولّ بنيك الحسن
والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ،
وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ومحمداً وعلياً ، والحسن ، ثم المهدي ،
وهو خاتمهم (١) .

(غ) (ف)

١٠٩ - فارس بن حاتم :

القزويني ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن عليه السلام
وأضاف أنّه غال ملعون (٢) قال الكشي : قال نصر بن الصباح : لعن الامام
الهادي الحسن بن محمد المعروف بابن بابا ، ومحمد بن نصير النميري ،
وفارس بن حاتم القزويني (٣)

وأثرت عن الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام كثير من الأخبار في
لعه ، وتحذير الشيعة من الاتصال به لأنّه مصدر ضلال وغواية ، وكان من بين
تلك الأخبار :

١ - كتب عروة الى الامام الهادي عليه السلام في شأن فارس فأجابه
عليه السلام (كذبوه ، واهتكوه ، أبعده الله واخزاه ، فهو كاذب في جميع ما
يدّعي ويصف ، ولكن صونوا أنفسكم عن الخوض والكلام في ذلك ، وتوقّوا
مشاورته ، ولا تجعلوا له السبيل الى طلب الشرّ كفانا الله مؤنّته ومؤنّة من كان

(١) الغيبة .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) الكشي .

مثله» (١) .

٢ - كتب إبراهيم بن داود اليعقوبي الى الامام أبي الحسن عليه السلام في شأنه فأجابه « لا تحفلن به وان أتاك فاستخفّ به » (٢) .

٣ - وكتب الامام أبو الحسن عليه السلام الى علي بن عمر القزويني في شأن فارس هذا نصّه :

« أعتقد فيما تدين الله به أن الباطن عندي حسب ما أظهرت لك فيما استنبأت عنه وهو فارس لعنه الله فانه ليس يسعك إلاّ الاجتهاد في لعنه وقصده ومعاداته والمبالغة في ذلك بأكثر ما تجد السبيل إليه ما كنت أمر أن يدان الله بأمر غير صحيح ، فجد وشدّ في لعنه وهتكه ، وقطع أسبابه ، وصد أصحابنا عنه ، وابطال أمره ، وأبلغهم ذلك مني ، واحكمه لهم عني وأني سائلكم بين يدي الله عن هذا الأمر المؤكّد فويل للعاصي ، وللجاحد ، وكتبت بخطي ليلة الثلاثاء لتسع ليال من شهر ربيع الأول سنة (٢٥٠هـ) وأنا أتوكّل على الله واحمده كثيراً .. » (٣) .

هذه بعض رسائل الامام الهادي عليه السلام التي وردت في شأن هذا الرجل المارق عن الدين ، والمعادي للإسلام . . لقد كان مبتدعاً وضالاً يدعو الناس الى الخروج عن الدين ومسخ الاسلام وتحريف آياته ، وسنذكر آراءه عند التعرض لعصر الامام .

وعلى أي حال فقد أمر الامام شيعته بقتل هذا الانسان الممسوخ قائلاً :
« فمن هذا الذي يريحني منه ، ويقتله ، وأنا ضامن له على الله الجنة » (٤) .

(١) الكشي .

(٢) الكشي .

(٣) الغيبة .

(٤) الكشي .

١١٠ - الفتح بن يزيد :

الجرجاني عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(١) وكذلك عدّه البرقي^(٢) ، ذكر النجاشي أنّه صاحب (المسائل) وهي - فيما نحسب - أجوبة المسائل التي سئل عنها الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام .

١١١ - الفضل بن شاذان :

النشابوري عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٣) وهو من أساطين العلماء ، ومن أبرز رجال الفكر الاسلامي في عصره خاض في مختلف العلوم والفنون وألّف فيها ونعرض - بإيجاز - لبعض شؤونه :

ثناء الامام الحسن عليه :

وأشاد الامام الحسن العسكري عليه السلام بالفضل بن شاذان ، وأثنى عليه ثناءً عاطراً فقد عرضت عليه إحدى مؤلفاته فنظر فيه فترحم عليه وقال : « أغبط أهل خراسان بمكان الفضل بن شاذان وكونه بين أظهرهم »^(٤) ونظر عليه السلام مرّة اخرى الى مؤلّف آخر من مؤلفاته فترحم عليه ثلاث مرّات ، وقال مقرضاً للكتاب : « هذا صحيح ينبغي أن يعمل به »^(٥) .

ردّه على المخالفين :

انبرى الفضل للدّفاع عن مبادئه ، وابطال الشبه التي أثّرت حول

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال البرقي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) الكشي .

(٥) الكشي .

عقيدته ، وقد قال : أنا خلف لمن مضى أدركت محمد بن أبي عمير ، وصفوان بن يحيى وغيرهما ، وحملت عنهم منذ خمسين سنة ، ومضى هشام ابن الحكم رحمه الله ، وكان يونس بن عبد الرحمن رحمه الله خلفه ، كان يرد على المخالفين ، ثم مضى يونس بن عبد الرحمن ولم يخلف خلفاً غير السكاك ، فردّ على المخالفين حتى مضر رحمه الله ، وأنا خلف لهم من بعدهم رحمهم الله ^(١) . لقد كان خلفاً لأولئك الأعلام الذين نافحوا وناضلوا عن مبادئهم الرفيعة التي تبنّاها أئمة أهل البيت عليهم السلام .

- مؤلفاته :

ألّف هذا العالم الكبير في مختلف العلوم ، كعلم الفقه ، والتفسير وعلم الكلام والفلسفة واللغة ، والمنطق وغيرها ، وقد كانت مؤلفاته تربو على مائة وثمانين مؤلفاً ^(٢) وقد ذكر بعضها الشيخ ^(٣) والنجاشي ^(٤) وابن النديم ^(٥) وغيرهم .

١١٢ - الفضل بن كثير :

البغدادي ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام ^(٦) .

١١٣ - الفضل بن المبارك :

روى عن الامام أبي الحسن علي الهادي عليه السلام وروى عنه محمد

(١) الكشي .

(٢) النجاشي .

(٣) الفهرست للطوسي .

(٤) النجاشي .

(٥) الفهرست لابن النديم .

(٦) رجال الطوسي .

بن عيسى العبيدي (١) .

(ق)

١١٤ - القاسم الشعراني :

اليقطيني ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام ، وأضاف أنه يرمى بالغلو^(٢) .

١١٥ - القاسم الصيقل :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٣) وكذلك عدّه البرقي .

روى عن الامام الرضا عليه السلام وأبي جعفر الثاني عليه السلام وروى عنه محمد بن عبد الله الواسطي^(٤) .

(ك)

١١٦ - كافور الخادم :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٥) وعدّه ابن داود في القسم الأول ، وأضاف أنه ثقة^(٦) .

(١) معجم رجال الحديث ٣٣٩/١٢ .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) معجم رجال الحديث ٧٣/١٣ .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) معجم رجال الحديث .

١١٧ - محمد بن أبي طيفور :

المتطبّب عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(١).

١١٨ - محمد بن أحمد :

ابن إبراهيم عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢).

١١٩ - محمد بن أحمد :

المحمودي ، يكتنّى أبا علي عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٣) قال الكشي : وجدت بخطّ أبي عبد الله الشاذاني في كتابه : سمعت الفضل بن هاشم الهروي يقول : ذكر لي كثرة ما يحجّ المحمودي ، فسألته عن مبلغ حجّاته فلم يخبرني بمبلغها ، وقال : رزقت خيراً كثيراً والحمد لله ، فقلت له : فتحجّ عن نفسك أو غيرك ، فقال : عن غيري بعد حجّة الاسلام أحجّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وأجعل ما أجازني الله عليه لأولياء الله ، وأهب ما أثاب على ذلك للمؤمنين والمؤمنات ، فقلت : ما تقول في حجّتك ؟ فقال : أقول : اللهمّ اني أهلت لرسولك محمد صلّى الله عليه وآله وجعلت جزائي منك ومنه لأولائك الطاهرين عليهم السلام ، ووهبت ثوابي عنهم لعبادك المؤمنين ، والمؤمنات بكتابك وسنة نبيك صلّى الله عليه وآله الى آخر الدعاء^(٤).

ودلّ ذلك على روحه الخيرة ، وانطلاقه في ميادين العمل الصالح ، وان

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) الكشي .

تربية الأئمة الطاهرين لأصحابهم انتجت مثل هذا الانسان الكامل المثالي .

١٢٠ - محمد بن أحمد :

ابن عبيد الله بن المنصور يكنى أبا الحسن عدّه الشيخ من أصحاب
الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(١) .

١٢١ - محمد بن أحمد :

ابن مطهر عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) روى
عن الامام أبي الحسن ، وروى عنه عبد الله بن جعفر^(٣) .

١٢٢ - محمد بن أحمد :

ابن مهران ، عدّه البرقي من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٤) .

١٢٣ - محمد بن إسماعيل :

الصيمري ، القمي ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه
السلام^(٥) .

١٢٤ - محمد بن جزك :

الجمال ، ثقة عدّه الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الامام الهادي عليه
السلام^(٦) . وعدّه ابن شهر آشوب من ثقات الامام الهادي عليه السلام .

١٢٥ - محمد بن الحسن :

ابن شمون ، البصري عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه

(١) رجال الطوسي . .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) معجم رجال الحديث ٢٦/١٥ .

(٤) رجال البرقي .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) رجال الطوسي .

السلام^(١) قال النجاشي : كان واقفياً ثم غلا ، وكان ضعيفاً جداً ، فاسد المذهب ، وأضيفت له أحاديث في الوقف .

له من الكتب كتاب (السنن والآداب ومكارم الأخلاق) وكتاب (المعرفة^(٢)) ، وروى الكشي بسنده عنه ، أنه قال : كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أشكو إليه الفقر ثم قلت : في نفسي أليس قال أبو عبد الله عليه السلام : « الفقر معنا خير من الغنى مع عدونا والقتل معنا خير من الحياة مع عدونا ، فرجع الجواب ان الله عز وجل يحص أولياءنا إذا تكاثفت ذنوبهم بالفقر ، وقد يعفو عن كثير ، وهو كما حدثت نفسك ، الفقر معنا خير من الغنى مع عدونا ، ونحن كهف من التجأ إلينا ، ونور لمن استضاء بنا ، وعصمة لمن اعتصم بنا ، ومن أحبنا كان معنا في السنام الأعلى ، ومن انحرف عنا فالى النار .

قال : قال أبو عبد الله تشهدون على عدوكم بالنار ، ولا تشهدون لوليكم بالجنة ، ما يمنعكم من ذلك إلا الضعف . . .^(٣) .

توفي وله من العمر مائة وعشرون سنة ، قيل أنه روى عن ثمانين رجلاً من أصحاب الامام أبي عبد الله الصادق عليه السلام^(٤) .

١٢٦ - محمد بن الحسن :

ابن أبي الخطاب الزيات الكوفي الثقة عدّه الشيخ من أصحاب الامام علي الهادي عليه السلام^(٥) قال النجاشي : أنه كان جليلاً من أصحابنا ،

(١) رجال الطوسي .

(٢) النجاشي .

(٣) الكشي .

(٤) النجاشي .

(٥) رجال الطوسي .

عظيم القدر ، كثير الرواية ، ثقة ، عين ، حسن التصانيف ، مسكون الى روايته له كتاب (التوحيد) كتاب (المعرفة والبداء) كتاب (الردّ على أهل القدر) كتاب (الإمامة) كتاب (اللؤلؤة) كتاب (وصايا الأئمة) كتاب (النوادر)^(١) .

١٢٧ - محمد بن حمزة :

القمي ، عدّه الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٢) .

١٢٨ - محمد بن الحصين :

الفهري ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام ، وأضاف أنه ملعون^(٣) .

١٢٩ - محمد بن الحصين :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام وأضاف أنه أهوازي^(٤) .

١٣٠ - محمد بن خالد :

الرازي يكتنّى أبا العباس عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٥)

(١) النجاشي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) رجال الطوسي .

١٣١ - محمد بن رجا :

الخياط ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام وكذلك
عدّه البرقي .

١٣٢ - محمد بن الريان :

ابن الصلت عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام وأضاف
انه ثقة^(٢) .

وقال النجاشي : له مسائل لأبي الحسن العسكري عليه السلام^(٣) .

١٣٣ - محمد بن سعيد :

ابن كلثوم المروزي ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه
السلام ، وأضاف انه كان متكلماً^(٤) وروى الكشي بسنده عن نصر بن الصباح
ان محمد بن سعيد المروزي كان من أجلة المتكلمين بنيسابور^(٥) .

١٣٤ - محمد بن سليمان :

الجلاب ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه
السلام^(٦) .

١٣٥ - محمد بن صيفي :

الكوفي ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٧) .

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) النجاشي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) الكشي .

(٦) رجال الطوسي .

(٧) رجال الطوسي .

١٣٦ - محمد بن عبد الجبار :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام وأضاف انه قمّي
ثقة^(١) .

١٣٧ - محمد بن عبد الرحمن :

الهمداني ، النوفلي ، عدّه البرقي من أصحاب الامام الهادي عليه
السلام وأضاف أن له مكاتبة الى أبي الحسن عليه السلام^(٢) .

١٣٨ - محمد بن عبد الله :

ابن مهران الكرخي عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام
وأضاف أنه يرمى بالغلوّ والضعف^(٣) قال النجاشي : أنه غال كذاب ، فاسد
المذهب والحديث مشهور بذلك ، له كتب منها كتاب (الممدوحين
والمذمومين) كتاب (مقتبل أبي الخطاب) كتاب (مناقب أبي الخطاب)
كتاب (الملاحم) كتاب (التبصرة) كتاب (القباب) كتاب (النوادر) وهو
أقرب كتبه الى الحقّ والباقي تخليط^(٤) .

١٣٩ - محمد بن عبد الله :

النوفلي ، الهمداني ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه
السلام^(٥) .

١٤٠ - محمد بن عبيد الله :

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال البرقي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) النجاشي .

(٥) رجال الطوسي .

من أهل طاهي ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(١) .

١٤١ - محمد بن علي :

ابن عيسى الأشعري ، القمي عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) ،

قال النجاشي : كان محمد بن علي وجهاً بقم ، وأميراً عليها من قبل السلطان ، وكذلك كان أبوه يعرف بالطلحي له مسائل لأبي محمد العسكري^(٣) .

١٤٢ - محمد بن علي :

ابن مهزيار عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام وأضاف أنه ثقة^(٤) ، وعن ابن طاووس أنه من السفراء والأبواب المعروفين الذين لا تختلف الامامية القائلون بإمامة الحسن بن علي فيهم^(٥)

١٤٣ - محمد بن عيسى :

ابن عبيد البقطيني عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام ، وأضاف أنه ضعيف^(٦) .

وذكر الكشي له مجموعة من المؤلفات منها كتاب (الإمامة) كتاب

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) النجاشي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) معجم رجال الحديث ٣٤ / ١٧ .

(٦) رجال الطوسي .

(الواضح المكشوف في الردّ على أهل الوقوف) كتاب (المعرفة) كتاب
(بعد الاسناد) كتاب (قرب الاسناد) كتاب (الوصايا) كتاب (اللؤلؤ) كتاب
(المسائل المحرّمة) كتاب (الضياء) كتاب (ظرائف) كتاب (التوقيعات)
كتاب (التجمّل والمرّوة) كتاب الفياء والخمس) كتاب (الرجال) كتاب
(الزكاة) كتاب (ثواب الأعمال) كتاب (النوادر) (١) .

١٤٤ - محمد بن الفرّج :

الرخجي عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام (٢) كانت له
اتّصالات وثيقة بالامام عليه السلام ، وجرت بينهما عدّة مراسلات ، وهذه
بعضها :

١ - روى الكشي بسنده عن محمد بن الفرّج : قال : كتبت الى أبي
الحسن عليه السلام أسأله عن أبي علي بن راشد ، وعن عيسى بن جعفر بن
عاصم ، وابن بند ، فكتب عليه السلام إليّ : ذكرت ابن راشد رحمه الله فأنه
عاش سعيداً ، ومات شهيداً ودعا لابن بند والعاصمي (٣) .

٢ - وروى الكليني باسناده عن علي بن محمد النوفلي قال : قال لي
محمد بن الفرّج : ان أبا الحسن كتب إليه : يا محمد اجمع أمرك ، وخذ
حذرك ، قال : فأنا في جمع أمري ، وليس أدري ما كتب به إليّ حتّى
ورد عليّ رسول - أي من قبل السلطنة - حملن من مصر مقيداً ، وضرب عليّ
كل ما أملك ، وكنت في السجن ثمان سنين ، ثم ورد عليّ منه في السجن
كتابٌ : يا محمد لا تنزل في ناحية الجانِب الغربي ، فقرأت الكتاب ، فقلت :
يكتب إليّ بهذا وأنا في السجن : إنّ هذا لعجيب !!! فما مكثت ان خلوي

(١) رجال الطوسي .

(٢) الكشي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) الكشي .

عني ، والحمد لله ، قال : وكتب إليه محمد بن الفرغ يسأله عن ضياعه فكتب إليه سنوف تردّ عليك ، فلما شخص محمد الى العسكر كتب إليه برّد ضياعه ، ومات قبل ذلك^(١) .

وكشفت هذه الرسالة عن ثقة الامام بمحمد وتسديده له ، ولما مرض محمد بعث له الامام أبو الحسن عليه السلام بثوب فأخذه ووضع تحت رأسه فلما توفيّ كفّن فيه .

١٤٥ - محمد بن الفضل :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) وكذلك عدّه البرقي .

١٤٦ - محمد بن الفضل :

البغدادى روى عن الامام أبي الحسن العسكري عليه السلام وروى عنه عبد الله بن جعفر الحميري^(٣) .

١٤٧ - محمد بن القاسم :

ابن حمزة ، بن موسى ، أبو عبد الله العلوي ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٤) .

١٤٨ - محمد بن مروان :

الجلاب عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام وأضاف أنّه ثقة^(٥) وكذلك عدّه البرقي .

(١) أصول الكافي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) معجم رجال الحديث ١٧/١٥٢ .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) رجال الطوسي .

١٤٩ - محمد بن مروان :

الخطاب ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(١)

١٥٠ - محمد بن موسى :

ابن فرات عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) .

١٥١ - محمد بن موسى :

الربيعي عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٣) .

١٥٢ - محمد بن يحيى :

ابن درياب عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٤) .

١٥٣ - مصقلة بن اسحاق :

القمي ، الأشعري عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه

السلام^(٥) .

١٥٤ - معاوية بن حكيم :

ابن معاوية ، بن عمار الكوفي عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي

عليه السلام^(٦) .

قال النجاشي فيه : أنه ثقة جليل من أصحاب الرضا عليه السلام قال

أبو عبد الله الحسين : سمعت شيوخنا يقولون : روى معاوية بن حكيم أربعة

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) رجال الطوسي .

وعشرين أصلاً . . وله كتب منها كتاب (الطلاق) كتاب (الحيض) كتاب (الفرائض) كتاب (النكاح) كتاب (الحدود) كتاب (الديات) وله نوادر^(١) .

١٥٥ - منصور بن العباس :

الرازي ، كانت داره بباب الكوفة ببغداد عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) قال النجاشي : كان مضطرب الأمر له كتاب نوادر كبير^(٣) .

١٥٦ - موسى بن داود :

اليقوي عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٤) وهو إمامي مجهول الحال .

١٥٧ - موسى بن عمر :

ابن بزيع ، مولى المنصور ، ثقة ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٥) وقال الشيخ : له كتاب نوادر^(٦) .

١٥٨ - موسى بن عمر :

الحضين ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٧) .

(١) النجاشي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) النجاشي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) الفهرست للطوسي .

(٧) رجال الطوسي .

١٥٩ - موسى بن مرشد .

الوراق ، النيشابوري عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(١) ، وهو إمامي مجهول الحال .

(ن)

١٦٠ - نصر بن حازم :

القمي ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٢) .

١٦١ - النضر بن محمد :

الهمداني ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام وأضاف أنه ثقة^(٣) ووثقه العلامة ، وعدّه في الحاوي في فصل الثقات .

(هـ) (ي)

١٦٢ - يحيى بن أبي بكر :

الرازي الضرير عدّه الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٤) .

١٦٣ - يحيى بن محمد :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٥) وحاله مجهول .

(١) رجال الطوسي .

(٢) الفهرست للطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي .

١٦٤ - يعقوب بن إسحاق :

أبو يوسف الدورقي ، الأهوازي المشهور بابن السكيت ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(١) كان مقدماً عند أبي جعفر الثاني وأبي الحسن عليه السلام وكانا يختصّانه ، وله عن الامام أبي جعفر عليه السلام رواية ومسائل^(٢) .

كان ابن السكيت حامل لواء علم العربية والأدب والشعر واللغة والنحو وله تصانيف كثيرة منها (تهذيب الألفاظ) وكتاب (اصلاح المنطق) قال ابن خلكان : قال بعض العلماء : ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللغة مثل اصلاح المنطق ، ولا شكّ أنّه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ، ولا نعرف في حجمه مثله في بابه ، وقد عني به جماعة ، واختصره الوزير المغربي ، وهذّبه الخطيب التبريزي ، وذكر ابن خلكان أنّه قال أبو العباس المبرد : ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من ابن السكيت في المنطق ، وقال ثعلب : اجمع أصحابنا انه لم يكن بعد ابن الاعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت^(٣) أعده المتوكل لولائه لأهل البيت عليهم السلام وسنذكر ذلك في بعض فصول الكتاب .

١٦٥ - يعقوب البجلي :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٤) وهو إمامي مجهول الحال .

(١) رجال الطوسي .

(٢) تنقيح المقال ٣/٣٢٩ .

(٣) الكنى والألقاب ١/٣١٤ .

(٤) رجال الطوسي .

١٦٦ - يعقوب بن منقوش :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام كما عدّه من أصحاب الامام الحسن العسكري عليه السلام^(١) .

١٦٧ - يعقوب بن يزيد :

ابن حماد الدنباري السلمي ، أبو يوسف الكاتب عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام مضيفاً أنّه ثقة^(٢) وقال الشيخ : له كتب منها كتاب (النوادر)^(٣) قال النجاشي : أنّه من كتاب المتتصر روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام وانتقل الى بغداد ، وكان ثقة صدوقاً له كتاب (البداء) وكتاب (المسائل) وكتاب (نوادر الحج) وكتاب (الطعن على يونس)^(٤) .

(الكنى)

أمّا أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام الذين اشتهروا وعرفوا بالكنية فهم :

١٦٨ - أبو بكر :

الفهكي : ابن أبي طيفور المتطبب ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام^(٥) وهو ممن رووا النصّ على إمامة الحسن العسكري ، فقد قال : كتب إليّ أبو الحسن « أبو محمد ابني ، أنصح آل محمد صلّى الله عليه وآله غريزة وأوثقهم حجّة ، وهو الأكبر من ولدي ، وهو

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) الفهرست للطوسي .

(٤) النجاشي .

(٥) رجال الطوسي .

الخلف ، وإليه ينتهي عرى الامامة ، وأحكامها ، فما كنت سائلي فاسأله عنه ، فعنده ما تحتاج إليه» (١) .

١٦٩ - أبو الحسين بن هلال :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام (٢) ووثقه العلامة (٣) والمجلسي (٤) .

١٧٠ - أبو الحصين :

الحضيني ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام ، وأضاف أنه ثقة نزل الأهواز (٥) .

١٧١ - أبو طاهر :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام مضيفاً أنه أخو محمد بن محمد (٦) .

١٧٢ - أبو طاهر بن حمزة :

ابن اليسع ، الأشعري ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام مضيفاً الى أنه قمي ثقة (٣) .

١٧٣ - أبو طاهر :

محمد ، عدّه الشيخ من أصحاب الامام أبي الحسن الهادي عليه

(١) أصول الكافي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) الخلاصة .

(٤) الوجيزة .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) رجال الطوسي .

(٧) رجال الطوسي .

السلام^(١) .

١٧٤ - أبو عبد الله المغازي :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام وأضاف أنّه
غال^(٢) .

١٧٥ - أبو عبد الله المكاربي :

عدّه الشيخ من أصحاب الامام الهادي عليه السلام^(٣) .

١٧٦ - أبو محمد بن إبراهيم :

عدّه الشيخ من غير توصيف من أصحاب الامام الهادي عليه
السلام^(٤) .

١٧٧ - أبو يحيى :

الجرجاني ، وهو أحمد بن داود بن سعيد الفزاري^(٥) .

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) تنقيح المقال ٤/٣٩ .

« النساء »

ولم يذكر الشيخ الطوسي من النساء اللاتي روين عن الامام الهادي عليه السلام سوى السيّدة الكريمة وهي :

١٧٨ - كلثم الكرخية :

عدّها الشيخ في باب أصحاب الامام الهادي عليه السلام وأضائف آله روى عنها عبد الرحمن الشعيري ، وهو أبو عبد الرحمن بن داود البغدادي^(١) .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض أصحاب الامام الهادي عليه السلام الذين كانوا يمثلون المنطلق الفكري والعلمي للإمام .

(١) رجال الطوسي .

الإمام في سامراء

عاش الامام علي الهادي عليه السلام معظم حياته في سر من رأى، وقد فرضت عليه السلطة العباسية ، الإقامة الجبرية فيها ، فكان شبيهاً بالمعتقل ، فقد أحاطت بداره مباحث الأمن العباسي ، وهي ترصد جميع تحركاته ، وتراقب كل من يتصل به ، أو يحمل له المال ، وقد عانى الامام من الضغط السياسي كأشد ما تكون المعاناة أيام الطاغية المتوكل العباسي الذي لم يأل جهداً في ظلم العلويين والتنكيل بهم ، وقد كابدوا في عهده الأسود صنوفاً مرهقة من الكوارث والخطوب ، نتحدّث عنها في غضون هذا الكتاب .

وعلى أيّ حال فإننا نعرض - بصورة موجزة - الى بعض شؤون الامام عليه السلام حينما كان في يثرب كما نعرض الى الاسباب التي حملته على مغادرتها الى (سر من رأى) والى ما جرى له مع المتوكل فيها ، وفيما يلي ذلك :

الامام في يثرب :

كان الامام أبو الحسن عليه السلام مقيماً في يثرب التي هي مسقط رأسه ، وبلد آبائه وقد انصرف الى اشاعة العلم ، وتهذيب الأخلاق ، وتربية الناس بالآداب الاسلامية ، وقد اتخذ الجامع النبوي مدرسة له ، وقد احتف به العلماء والفقهاء والرواة فكانوا ينتهلون من ندير علومه التي استمدّها من آبائه الذين أضاءوا حياة الانسان بنور العلم والإيمان ، وكما كان مصدراً خصباً

للحياة الفكرية والعلمية في يثرب ، فقد كان المصدر الوحيد الذي يمدّ أهل العلم في شؤونهم المادية ، كما كان يمون الفقراء والمعوزين بما يحتاجونه ، ولم يقتصر برّ الامام وإحسانه الى أهالي يثرب ، وإنما شمل جميع مناحي حياتهم ، فكان يواسيهم في السراء والضراء ويعود مرضاهم ، ويشيع جنازتهم ، ويعطف على الصغير والكبير منهم ويعود بأراملهم وأيتامهم ، ولم يبق لوناً من ألوان الخير والمعروف إلا أسداه عليهم ، وقد أخلصوا له كأعظم ما يكون الاخلاص ، والتفت حوله قلوبهم ومشاعرهم ، وأقام في أعماق نفوسهم .

الوشاية بالامام :

وحقد على الامام أبي الحسن عليه السلام بعض من لا حريجة له في الدين ، من الممسوخين والحاقدين على ذوي الأنساب الشريفة ، فقد ساءهم ما يتمتع به الامام من الفضائل ، وما له من المكانة المرموقة في الأوساط الإسلامية ، وكان من أشدّ أعدائه وأخبثهم عبد الله بن محمد ، وكان قد أقامه المتوكل من قبله في يثرب والياً على إقامة الصلاة ، وسائر الشؤون الحربية ، وكان هذا الوغد يقصد الامام بالسوء والأذى ، وقد سعى به عند المتوكل وكانت سعائته تحمل أموراً خطيرة ، وهي :

- ١ - التفاف الجماهير حول الامام مما يشكّل خطراً على الدولة .
 - ٢ - ورود الأموال الطائلة الى الامام من مختلف أنحاء العالم الإسلامي . ولا يؤمن أن يشتري بها السلاح لمقاومة الدولة العباسية .
 - ٣ - إنه لا يؤمن أن يقوم بثورة عارمة للإطاحة بالحكومة العباسية .
- وطلب من المتوكل العباسي المبادرة لالقاء القبض على الامام لئلا تقوى شوكته ويعظم أمره فلا تتمكن الدولة من مقاومته . . . وفزع المتوكل كأشدّ ما يكون الفزع وأحاط وزراءه علماً بالأمر .

إحباط الامام للمؤامرة :

ولما علم الامام عليه السلام بوشاية هذا الوغد ومؤامرتة ضدّه خاف أن يتخذ المتوكّل معه الاجراءات القاسية ، وذلك لعلمه بانحرافه عن أهل البيت عليهم السلام وشدة عدائه لهم ، فكتب عليه السلام له رسالة يشكو فيها أحقاد عامله عليه ، وسوء معاملته له ، وقيامه بما يسوؤه ، كما أحاطه علماً بكذب وشايته ، وانه لا ينبغي للمتوكّل سوءاً ولا يرى الخروج على حكومته .

واطمانّ المتوكّل بصدق الامام وبراءته مما نُسب له من الخروج على حكومته وانه لا صحّة لذلك .

رسالة المتوكّل للإمام :

وأرسل المتوكّل الى الامام رسالة أجاب فيها عن رسالته ، وقد عزل فيها عامله الباغي اللئيم كما دعا الامام الى الحضور في سر من رأى للإقامة الجبرية فيها ليكون تحت مراقبته ، وهذا نصّ رسالته :

« أمّا بعد : فان أمير المؤمنين عارف بقدرك ، راع لقربابتك ، موجب لحقك ، مقدّر من الأمور فيك وفي أهل بيتك ما يصلح الله به حالك ، ويثبت به عزّك وعزّهم ، ويدخل الأمن عليك وعليهم يتبغى رضی ربّه ، وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم .

وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عمّا كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة الرسول صلّى الله عليه وآله إذا كان على ما ذكرت من جهالته بحقك ، واستخفافه بقدرك ، وعندما قرفك به نسبك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه ، وصدق نيّتك في برّك وقولك ، وأنك لم تؤهل نفسك لما قرفت بطلبه ، وقد ولى أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل ، وأمره بإكرامك وتبجيلك ، والانتهاء الى أمرك ، ورأيك

والتقرب الى الله والى أمير المؤمنين بذلك ، وأمير المؤمنين مشتاق إليك يحب أحداث العهد بك ، والنظر إليك ، فان نشطت لزيارته والمقام قبله ما أحببت شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمانينة ترحل إذا شئت وتنزل إذا شئت ، وتسير كيف شئت ، وان أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ، ومن معه من الجند ، يرحلون برحلك ، ويسرون بسيرك ، فالأمر في ذلك إليك ، وقد تقدمنا إليه بطاعتك فاستخر الله حتى توفي أمير المؤمنين ، فما أحد من اخوانه ، وولده وأهل بيته وخاصته ألطف منه منزلة ، ولا أحمد لهم أثرة ، ولا هولهم أنظر ، ولا عليهم أشفق وبهم أبر ، وإليهم أسكن منه إليك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب هذه الرسالة إبراهيم بن العباس في شهر جمادي الآخرة سنة (٢٤٣هـ) (١) .

فزع المدنيين :

وعهد المتوكل الى يحيى بن هرثمة بالسفر الى يثرب لاشخاص الامام الى سر من رأى ، والتحري عما نسب إليه من عزمه على مناهضة سلطانه والخروج على حكومته ، وسلمه الرسالة التي بعثها الى الامام .

وسافر يحيى الى يثرب ، وأخذ يجد في السير لا يلوي على شيء حتى انتهى إليها ، ولما علم المدنيون بمهمته فزعوا كأشد ما يكون الفزع ، وخافوا على الامام من بطش الطاغية به ، فقد كانوا يحبون الامام كأشد ما يكون الحب لأنه كان ملازماً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان يغذي علماءهم بعلمه ، ويحسن الى فقرائهم ، ولم يكن عنده أي ميل الى الدنيا (٢) وجعل يحيى يسكن من روعهم ، ويهدى فزعهم ، وحلف لهم أنه لم يؤمر فيه

(١) الارشاد (ص ٣٧٥ - ٣٧٦) .

(٢) مرآة الزمان / ٩ ورقة ٥٥٣ .

بأيّ مكروه فاطمأنوا الى قوله .

تفتيش دار الامام :

وقام يحيى بتفتيش دار الامام ، ففتشها تفتيشاً دقيقاً ، فلم يجد فيها شيئاً سوى المصاحف ، وكتب الأدعية ، وتبين له كذب ما نسب الى الامام^(١) من أن داره مليئة بالأسلحة والأموال .

اشخاص الامام الى سامراء :

وأكره الامام عليه السلام على مغادرة يثرب والشخوص الى سامراء ، وقد صحبه في سفره أفراد عائلته ، وقد قام يحيى بنفسه بخدمة الامام ، وقد أعجب بهديه وورعه وتقواه وأخذ الركب يطوي البيداء حتى انتهوا الى بغداد ، ويذكر اليعقوبي ان الامام لما وصل الى الياسرية تلقاه اسحاق بن إبراهيم فرأى تشوّق الناس إليه ، واجتماعهم لرؤيته دخل به في الليل إلى بغداد^(٢) ، وانطلق يحيى الى زيارة حاكم بغداد إسحاق بن إبراهيم الظاهري ، فأحاطه علماً بالأمر ، فقال له اسحاق : « ان هذا الرجل - يعني الامام الهادي - قد ولده رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد عرفت انحراف المتوكل ، فان بلغته عنه كلمة ، قتله ، ويكون النبيّ صلّى الله عليه وآله خصمك يوم القيامة . . » .

فقال يحيى :

« والله ما عرفت ما أنكره ، ولا وقفت منه الآ على أمر جميل . . » .

ثم غادروا بغداد ، واتجهوا الى سامراء ، وحينما انتهوا إليها بادر يحيى بزيارة وصيف التركي ، وهو من كبار رجال الدولة ، فعرفه بوصول الامام

(١) مروج الذهب ٤/١١٣ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٣/٢٠٩ .

معه ، فبادر وصيف فحذّره من أن ينقل الى المتوكّل ما يسوء الامام قائلاً :

« يا يحيى ، والله لئن سقط منه - أي من الامام - شعرة لا يطالب بها سواك .. » .

وبهر يحيى من توافق اسحاق ووصيف من التوصية بالامام ، وتأكيدهما على لزوم المحافظة عليه^(١) .

في خان الصعاليك :

وأمر المتوكّل بانزال الامام عليه السلام في خان الصعاليك للحطّ من شأنه والتقليل من أهمّيته أمام الرأي العام ، وقد زاره صالح بن سعيد ، فتألّم وراح يقول :

« جعلت فداك في كل الأمور أرادوا اطفاء نورك ، والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك .. » .

فنظر الامام إليه بعطف ولطف ، وشكر عواطفه ، وخفف عليه من الألم والوجد فأراه المعجز الذي أمد الله به أوليائه وأنبياءه^(٢) وسكن روع صالح ، وذهب ما في نفسه من الحزن .

اجتماع الامام بالمتوكّل :

وبادر يحيى الى المتوكّل فأخبره بحسن سيرة الامام ، وزهده ، وأنه فتش داره فلم يجد فيها سوى المصاحف وكتب الأدعية ، وأنه بريء مما نسب إليه من عزمه على الثورة على حكومته ، وقد أزال ما في نفسه من الوجد والنقمة على الامام ، وأمر المتوكّل بادخاله عليه ، ولما مثل عنده قابله بمزيد

(١) مرآة الزمان / ٩ / ورقة ٥٥٣ ، تذكرة الخواص (ص ٣٥٩) مروج الذهب / ٤ / ١١٤ .

(٢) الإرشاد (ص ٣٧٦) .

من الحفاوة والتكريم ، وأجزل له الصلة^(١) وألزمه بالاقامة في سر من رأى ليكون تحت المراقبة .

شراء الامام داراً له :

ولما فرض المتوكل الاقامة الجبرية على الامام بادر فاشترى داراً من دليل بن يعقوب النصراني فسكنها مع أفراد عائلته ، وأقام فيها حتى توفي ودفن فيها^(٢) .

رجوع المتوكل لفتاوى الامام :

ولم يجد المتوكل بدءاً من الرجوع الى الامام الهادي عليه السلام في المسائل التي ابتلي بها وتقديماً فتواه على سائر فتاوى فقهاء عصره ، وكان من بين تلك المسائل التي رجع فيها للامام عليه السلام ما يلي :

١ - أنه كان للمتوكل كاتب نصراني ، وكان أثيراً عليه ، فكان - لحبه له - يكتبه (أبا نوح) فأنكر عليه جماعة من كتّابه ذلك ، وقالوا : لا يجوز أن يكتبي الكافر ، فاستفتى فقهاء عصره فاختلفوا فطائفة أجازوا ، وطائفة اخرى منعت ، ورفع بذلك استفتاءً الى الامام الهادي عليه السلام ، فكتب في الجواب بعد البسملة الآية الكريمة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ وكانت هذه الإجابة من ابداع ما أثر في عالم الفتيا فقد استشهد بالآية الكريمة ، وقد أعلنت بوضوح جواز تكتية الكافر ، فأخذ المتوكل بفتوى الامام^(٣) .

٢ - اعتلّ المتوكل فذر إن عافاه الله أن يتصدّق بدنانير كثيرة ، فلما أبل من مرضه جمع الفقهاء عن قدر ما يتصدّق به فاختلفوا في ذلك فاستفتى الامام

(١) مرآة الزمان ٩ / ورقة ٥٥٣ .

(٢) تاريخ بغداد ١٢ / ٥٧ .

(٣) بحار الأنوار المجلد الرابع .

فأجاب أنه يتصدّق بثلاث وثمانين ديناراً ، فعجب الفقهاء من ذلك ، وقالوا للمتوكّل : من أين له هذه ؟ فأرسل إليه يطلب منه المدرك ، فأجاب عليه السلام .

« إن الله تعالى يقول : ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ وقد روى أهلنا جميعاً ان المواطن في السرايا كانت ثلاثة وثمانين موطناً^(١) وأضاف الامام في آخر الجواب وكلما زاد أمير المؤمنين في فعل الخير كان أنفع له ، وأجدى عليه في الدنيا والآخرة^(٢) .

٣ - ومن بين المسائل التي رجع فيها المتوكّل للإمام أنه قدّم له رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة ، فأراد المتوكّل أن يقيم عليه الحدّ ، فأسلم النصراني ، فقال يحيى بن أكثم : هدم إيمانه شركه وفعله ، وقال بعض الفقهاء : يضرب ثلاث حدود وذهب آخرون الى خلاف ذلك ، فأمر المتوكّل أن يستفتى الامام الهادي في هذه المسألة ، فاستفتي فأجاب عليه السلام (يضرب حتى يموت) فأنكر يحيى وسائر الفقهاء ذلك ، وقالوا : إنه لم يجيء بذلك ، كتاب ولا سنة ، فكتب المتوكّل الى الامام عليه السلام ان فقهاء المسلمين قد أنكروا ذلك وقالوا : أنه لم تجيء به سنة ، ولم ينطق به كتاب ، فبين لنا لم أوجب عليه الضرب حتى يموت ؟ فأجاب عليه السلام بعد البسملة بالآية الكريمة ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ، فلم يكن ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾^(٣) فأخذ المتوكّل بفتوى الامام وأمر بضربه حتى مات^(٤) .

(١) تاريخ الاسلام للذهبي رجال الطبقة السادسة والعشرين مصوّر تذكرة الخواص (ص ٣٦٠) .

(٢) المنتظم ١٢ / ورقة ٢٦ - ٢٧ مصور .

(٣) شرح شافية أبي فراس ٢ / ورقة ١٦٧ مصور .

(٤) سورة غافر : آية ٨٣ و٨٤ .

المتوكّل يسأل عن أشعر الناس ؟ :

سأل المتوكّل علي بن الجهم عن أشعر الناس ، فذكر له بعض الشعراء في الجاهلية والاسلام فلم يعن به المتوكّل ، والتفت الى الامام الهادي عليه السلام فسأله عن ذلك فقال عليه السلام : « الحماني^(١) حيث يقول : »

لقد فاخرتنا في قريش عصابة
فلما تنازعنا المقال قضى لنا
ترانا سكوتاً والشهيد بفضلنا
فان رسول الله أحمد جدنا
بخط حدود وامتداد اصابع
عليهم بما نهوى نداء الصوامع
عليهم جهير الصوت في كل جامع
ونحن بنوه كالنجوم الطوالع

والتفت المتوكّل الى الامام قائلاً :

« ما نداء الصوامع يا أبا الحسن ؟ .. » .

فأجابه الامام :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله صلّى الله عليه وآله محمد جدّي أم جدّك ؟ .. » .

وتميّز الطاغية غيظاً وغضباً ، وقال بنبرات مرتعشة :

« هو جدّك لا ندفعك عنه .. »^(٢) .

(١) الحماني : هو يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن أبو زكريا الحماني ، الكوفي ، قدم بغداد وحَدَّث بها عن جماعة كثيرة منهم سفيان بن عيينة ، وأبو بكر بن عياش ، ووكيع ، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ، وأورد روايات عن يحيى بن معين أنه قال يحيى بن عبد الحميد الحماني صدوق ثقة ، وروى عنه قال : ومات معاوية على غير ملة الاسلام .

مات الحماني سنة (٢٢٨هـ) بسر من رأى في شهر رمضان ، وكان أول من مات بسامراء من المحدثين الذين أقدموا . . جاء ذلك في الكنى والألقاب ١٩١/٢ - ١٩٢ .

(٢) المناقب .

وانصرف الامام وقد ترك الحزن ينخر في قلب الطاغية اذ لم يجد منفذاً
يسلك فيه للردّ على الإمام .

المتوكّل يدعو ابن السكّيت لامتحان الامام :

وطلب المتوكّل من العالم الكبير يعقوب بن اسحاق المشهور بابن
السكّيت أن يسأل الامام الهادي عن مسألة معقّدة غامضة لعله لا يهتدي لحلّها
فيتخذ من ذلك وسيلة للتشهير بالامام والخطّ من شأنه ، ومضى ابن السكّيت
فأعدّ للإمام مسألة لامتحانه وعقد في البلاط العباسي مؤتمر علمي ضمّ كبار
العلماء والفقهاء والمتكلّمين ، وكان على رأسهم المتوكّل ، وتقدّم ابن
السكّيت بمسألته الى الامام قائلاً :

« لمّ بعث الله موسى بالعصا ، واليد البيضاء ، وبعث عيسى بابراء
الأكمه ، والأبرص وإحياء الموتى ، وبعث محمداً بالقرآن والسيف؟؟ .. » .

وانبرى الامام فأجابه عن الحكمة في ذلك قائلاً :

« بعث الله موسى بالعصا ، واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله
السحر ، فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم ، وبهرهم ، وأثبت الحجّة عليهم ،
وبعث عيسى بابراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله في زمان الغالب
على أهله الطبّ فأتاهم من ذلك ما قهرهم وبهرهم ، وبعث محمداً بالقرآن
والسيف في زمان الغالب على أهله السياف والشعر ، فأتاهم من القرآن
الزاهر ، والسيف القاهر ما بهر به شعرهم ، وقهر سيفهم ، وأثبت الحجّة
عليهم .. » .

لقد أيد الله تعالى أنبياءه ورسله بالآيات البيّنات ، وأمدهم بالمعجزات
الباهرات التي يعجز البشر عن الاتيان بمثلها ، والتي كانت ملائمة لروح
العصر الذي بعثوا فيه فقد أمّد رسوله موسى بالمعجزة الكبرى أمده بالعصا
التي تحوّلت الى أفعى هائلة أخذت تلقف حبالهم وعصيهم التي حوّلها الى

أفاعي ، ولم يستطع السحرة في ذلك العصر الذي بلغوا فيه الذروة أن يطلوا ذلك أو يأتوا بمثله أو ببعضه ، وكذلك أمده تعالى باليد البيضاء التي كانت كالشمس في نورها وبهائها، وقد عجز السحرة عن الاتيان بمثل ذلك وكانت هذه المعجزة دليله على صدق موسى .

وكذلك أمدّ تعالى نبيّه عيسى بن مريم ببراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الأموات في وقت كان الطبّ قد بلغ القمّة في التقدّم والتطور الآ أنّه قد عجز عن الإتيان بمثل هذه العلميات المذهلة للفكر ، وقد أيده تعالى بذلك ليكون آية على صدقه .

وقد بعث تعالى نبيّه العظيم محمداً خاتم النبيّين فأيّده بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي كان المعجزة الكبرى في بلاغته وفصاحته وروعة أسلوبه ، وعذوبة بيانه ، في وقت كان العرب قد بلغوا الأشواط الأخيرة في الفصاحة والبلاغة ، وقد عجزوا عن مجاراة القرآن الكريم والاتيان بمثله أو ببعضه ، وقد اعترف فصحاؤهم وبلغاؤهم بذلك ، فكان القرآن آية على صحّة نبوة الرسول محمد صلّى الله عليه وآله .

وأيدّ تعالى نبيّه بالسيف القاهر ، وهو سيف الامام أمير المؤمنين عليه السلام الذي حصد به رؤوس المشركين والملحدّين ، وقد جبن شجعان العرب عن مقاومته وقالوا إن الفرار من الحرب عار الآ من سيف عليّ عليه السلام فقد كان كالصاعقة ، فأباد به جموع الشرك ، وفرق كلمة الأحزاب ، ونصر به الاسلام ، وأعزّبه الدين ، ورفع به كيان المسلمين .

وانبرى ابن السكّيت بعد هذا الجواب الحاسم الذي أدلى به الامام عليه السلام فقال له :

« فما الحجّة الآن ؟ . » .

قال عليه السلام : « العقل يعرف به الكاذب على الله فيكذب » .

ان العقل هو الحاكم ، هذه الميادين ، وهو الذي يشخص الصادق من الكاذب ، وحكمه هو فصل الخطاب .

وبان العجز على ابن السكّيت ، فانبرى يحيى بن أكثم فأخذ يندد به قائلاً :

« ما لابن السكّيت ومناظرته؟! إنما هو صاحب نحو وشعر ولغة .. » .

أسئلة يحيى بن أكثم :

ورفع يحيى بن أكثم أسئلة الى الامام كان قد كتبها من قبل ، وأعدّها لامتحانه فأخذها الامام وأمر ابن السكّيت أن يكتب اجوبتها وفيما يلي الأسئلة مع الأجوبة بتصرّف :

س :- قال الله تعالى في كتابه : ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾^(١) ان السائل هو سليمان والمسؤول هو آصف فهل كان سليمان وهو نبيّ محتاجاً الى علم آصف ؟ .

ج :- انه لم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف لكنه صلوات الله عليه أحبّ أن يعرف أمّته من الجنّ والانس ان الحجّة من بعده ، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله ففهمه ذلك لثلا يختلف في إمامته وولايته من بعده ، ولتأكيد الحجّة على الخلق .

س :- ٢ - قال تعالى : ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً﴾^(٢) كيف سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء ؟ .

ج :- ٢ - أما سجد يعقوب لولده فان السجود لم يكن ليوسف ، وأنما

(١) سورة النمل : آية ٤٠ .

(٢) سورة يوسف : آية ١٠٠ .

كان ذلك من يعقوب وولده طاعة لله تعالى ، وتحية ليوسف ، كما أن السجود من الملائكة لم يكن لآدم ، فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله تعالى باجتماع الشمل ألم تر أنه يقول : في شكره في ذلك الوقت ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ ﴾ الآية .

س:- ٣ - قال تعالى : ﴿فان كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب﴾^(١) فان كان المخاطب النبي صلى الله عليه وآله فقد شك ، وإن كان المخاطب غيره فعلى من إذا أنزل الكتاب ؟ .

ج:- ٣ - إن المخاطب بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن في شك مما أنزل الله إليه ولكن قالت الجهلة : كيف لم يبعث نبياً من الملائكة ، ولم لم يفرق بينه وبين الناس في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشى في الأسواق ، فأوحى الله الى نبيه ، فاسأل الذين يقرأون الكتاب بمحضر من الجهلة هل بعث الله نبياً قبلك الا وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، ولك بهم أسوة يا محمد ، وإنما قال : ﴿فان كنت في شك﴾ ولم يكن شك ولكن للنصفة كما قال تعالى : ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾^(٢) .

ولو قال : تعالوا فنجعل لعنة الله عليكم لم يكتوتوا يجيبوا الى المباهلة ، وقد علم الله ان نبيه مؤدّ عنه رسالته ، وما هو من الكاذبين ، وكذلك عرف النبي صلى الله عليه وآله بأنه صادق فيما يقول : ولكن أحب أن ينصف من نفسه .

س:- ٤ - قال تعالى : ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر

(١) سورة يونس : آية ٩٤ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٦١ .

يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴿^(١)﴾ ما هذه الأبحر وأين هي ؟

ج :- ٤ - فهو كذلك لو أن أشجار الدنيا أقلام ، والبحر مداد يمده سبعة أبحر مداً حتى انفجرت الأرض عيوناً كما انفجرت في الطوفان ، ما نفدت كلمات الله ، وهي :- أي الأبحر - عين الكبريت ، وعين اليمن ، وعين برهوت ، وعين الطبرية ، وحمه ما سيدان تدعى لسان ، وحمه أفريقية تدعى سيلان ، وعين باحوران ، ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى .

س :- ٥ - قال تعالى : ﴿ وفيها ما تشتهيہ الأنفس وتلذذ الأعين ﴾ ^(٢) فاشتت نفس آدم أكل البر فأكل ، فكيف عوقب !!؟

ج :- ٥ - وأما الجنة ففيها من المآكل ، والمشرب والملاهي ما تشتهي الأنفس ، وتلذذ الأعين ، وأباح الله ذلك لآدم ، والشجرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته أن يأكلا منها ، شجرة الحسد عهد الله إليهما أن لا ينظرا إلى من فضله الله عليهما والى خلائقه بعين الحسد فنسي ولم يجد له عزاءً .

س :- ٦ - قال تعالى : ﴿ أو يزوجهم ذكراً وأنثاً ﴾ ^(٣) إذا كان يزوج الله عباده الذكران ، فكيف عاقب قوماً فعلوا ذلك .

ج :- ٦ - ان الله تعالى زوج الذكران المطيعين ^(٤) معاذ الله أن يكون الجليل العظيم عنى ما لبست به على نفسك تطلب الرخصة لارتكاب المحارم ، ومن يفعل ذلك يلق آثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ، ويخلد فيه مهاناً إن لم يتب .

س :- ٧ - كيف جاز شهادة المرأة وحدها ، وقد قال الله : ﴿ وأشهدوا

(١) سورة لقمان آية ٢٦ .

(٢) سورة الزخرف آية ٧ .

(٣) سورة الشورى : آية ٤٢ .

(٤) أخذنا هذه الفقرات من المناقب ٤ / ٤٠٤ وفي تحف العقول غيرها .

ذوي عدل منكم ﴿١﴾ .

ج :- ٧ - أما شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة التي جازت شهادتها مع الرضا فان لم يكن رضا فلا أقل من امرأتين ، تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة لأن الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها ، فان كانت وحدها قبل قولها مع يمينها .

س :- ٨ - حكم علي عليه السلام في أمر الخنثى أن ينظر الى مبالها فان كان بولها بول الرجل فهي رجل ، وان كان بول الانثى فهي انثى ، فمن ذا ينظر إليها ، فان كان الناظر إليها رجلاً فعسى أن تكون امرأة ، وإن كان الناظر إليها امرأة فعسى أن تكون رجلاً ، وهذا ما لا يحل ، وما هو ميراثها ؟ .

ج :- ٨ - أما قول عليّ : في الخنثى ، فهو كما قال ، يرث من المبال ينظر قوم إليه عدول يأخذ كل واحد منهم مرآة ، ويقوم الخنثى خلفهم عريانة ، وينظرون الى المرآة فيرون الشيء ويحكمون عليه .

س :- ٩ - رجل أتى الى قطع غنم فرأى الراعي ينزو على شاة منها ، فلما بصر بصاحبها خلى سبيلها ، فدخلت بين الغنم كيف تذبح ؟ وهل يجوز أكلها أم لا ؟

ج :- ٩ - أما الرجل الناظر الى الراعي ، وقد نزا على شاة فان عرفها ذبحها وأحرقها وإن لم يعرفها قسم الغنم نصفين وساهم بينهما^(٢) فان وقع السهم على أحد القسمين ، فقد نجا النصف الآخر ، ثم يفرق النصف الآخر فلا يزال كذلك حتى تبقى شاتان ، فيقرع بينهما فأيتها وقع السهم بها ذبحت ونجا سائر الغنم^(٣) .

(١) سورة الطلاق : آية ٦٥ .

(٢) ساهم : أي قرع بينهما .

(٣) أخذنا هذه الفقرات من تحف العقول وفي المناقب غيرها .

س :- ١٠ - صلاة الفجر لم يجهر فيها بالقرآن مع أنها من صلاة النهار وإنما يجهر في صلاة الليل ؟ .

ج : ١٠ - أما صلاة الفجر والجهر فيها بالقراءة لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله كان يغلس بها^(١) فقراءتها في الليل .

س :- ١١ - ان علياً قال لابن جرموز بشر قاتل ابن صفية بالنار^(٢) فلم لم يقتله وهو إمام .

ج :- ١٣ - أما قول علي : بشر قاتل ابن صفية بالنار ، فهو لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله : وكان ممن خرج يوم النهروان ، فلم يقتله أمير المؤمنين بالبصرة لأنه علم أنه يقتل في فتنه النهروان .

س :- ١٢ - أخبرني عن عليّ لم قتل أهل صفين ، وأمر بذلك - أي بقتلهم - مقبلين ومدبرين وأجاز^(٣) على الجرحى ، وكان حكمه يوم الجمل أنه لم يقتل مولياً ، ولم يجز على جريح ، ولم يأمر بذلك ، وقال : من دخل داره فهو آمن ، لم فعل ذلك ؟ فان كان الحكم الأول صواباً فالثاني خطأ .

ج - ١٤ - أما قولك : إن علياً قاتل أهل صفين مقبلين ، ومدبرين ، وأجهز على جريحهم ، وانه يوم الجمل لم يتبع مولياً ، ولم يجهز على جريحهم ، وكل من ألقى سيفه وسلاحه آمنه ، فان أهل الجمل قتل امامهم ، ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها ، وإنما رجع القوم الى منازلهم غير متحاربين ، ولا محتالين ، ولا متجسسين ، ولا متبارزين ، فقد رضوا بالكف عنهم وكان الحكم فيه دفع السيف ، والكف عنهم إذا لم يطلبوا عليه أعواناً ، وأهل صفين يرجعون إلى فئة مستعدة ، وإمام منتصب يجمع لهم السلاح من

(١) يغلس بها: أي يصلي بها في الغلس، وهو الظلمة في آخر الليل.

(٢) ابن صفية : هو الزبير بن العوام قتله ابن جرموز يوم الجمل.

(٣) اجاز على الجرحى : أي أجهز عليهم .

الرمح والدروع والسيوف ويستعد لهم ، ويسني لهم العطاء ، ويهيء لهم الأموال ، ويعود مريضهم ويجبر كسيرهم ، ويداوي جريحهم ، ويحمل راجلهم ، ويكسو حاسرهم ، ويردهم فيرجعون الى محاربتهم ، وقتالهم فان الحكم في أهل البصرة الكف عنهم لما ألقوا أسلحتهم اذ لم تكن لهم فئة يرجعون إليها ، والحكم في أهل صفين أن يتبع مدبرهم ، ويجهز على جريحهم فلا يساوي بين الفريقين في الحكم ، ولولا أمير المؤمنين وحكمه في أهل صفين والجمل لما عرف الحكم في عصاة أهل التوحيد ، فمن أبى ذلك عرض على السيف .

س :- ١٣ - أخبرني عن رجل أقرّ باللواط على نفسه ، أيحدّ أم يدرأ عنه الحدّ ؟

ج : ١٣ - أما الرجل الذي أقرّ باللواط فانه أقرّ بذلك متبرّعاً من نفسه ، ولم تقم عليه بيّنة ، وأنما تطوّع بالاقرار من نفسه ، واذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب عن الله كان له أن يمنّ عن الله أما سمعت قول الله ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ فبدأ باليمنّ قبل المنع .

قد أنبأناك بجميع ما سألتنا عنه فاعلم . . لقد كانت أجوبة الامام عن هذه المسائل الغامضة حافلة بالواقع العلمي ، وقد بهر منها يحيى فالتفت الى المتوكّل فأسدى له النصيحة قائلاً :

« ما نحب أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسألتي ، فانه لا يرد عليه شيء بعدها الاّ دونها وفي ظهور علمه تقوية للرافضة . . »^(١) .

لقد كان الامام الهادي عليه السلام من عمالقة العلم في الإسلام فقد كان الوارث لعلوم آبائه الذين أضاءوا الحياة الفكرية في الإسلام .

(١) مناقب ابن شهر اشوب ٤/٤٠٣ - ٤٠٦ ، تحف العقول (ص ٤٧٧ - ٤٨١) .

لقد أُملي الإمام عليه السلام على ابن السكّيت أجوبة تلك المسائل الدقيقة بمجرد النظر إليها ، وقد دُلّ بذلك على طاقاته العلمية الهائلة التي هي إحدى العناصر البارزة في معالم شخصيته العظيمة .

زيارته لمرقد الامام أمير المؤمنين :

وفي السنة الأولى من تشریف الامام الى سر من رأى زار مرقد جدّه الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد صادفت زيارته يوم عيد الغدير ، وقد زاره بالزيارة التي ألمحنا إليها عند الحديث عن بعض تراثه العلمي ، وقد أثرت عنهُ زيارتان زار بهما جدّه أمير المؤمنين عليه السلام وهما :

١ - السلام عليك يا وليّ الله ، أشهد أنّك أول مظلوم ، وأول من غضب حقّه فصبرت واحتسبت حتى آتاك اليقين ، وأشهد أنّك لقيت الله وأنت شهيد ، عذب الله قاتليك بأنواع العذاب ، وجدّد عليهم العقاب ، جئتكَ عارفاً بحقّك ، مستبصراً بشأنك ، معادياً لأعدائك ، ومن ظلمك ألقى على ذلك ربّي إن شاء الله . . . يا وليّ الله ان لي ذنوباً كثيرة فاشفع لي إلى ربّك ، يا مولاي ، فان لك عند الله مقاماً معلوماً ، وجاهاً عظيماً ، وشفاعة ، وقد قال الله : ﴿ لا يشفعون الا لمن ارتضى ﴾ (١) .

لقد كان الامام أمير المؤمنين عليه السلام أول مظلوم في الاسلام فقد غضب حقّه ، واعتدي عليه ، وتجرّع صنوفاً مرهقة من الكوارث والخطوب محتسباً في ذلك الأجر عند الله .

٢ - وأثرت عن الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام زيارة أخرى لجدّه الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، تُعدّ من أروع زيارات الأئمّة الطاهرين من ناحية علوّ مضامينها ، وعرضها لبعض الأحداث التي جرت في العصر

(١) كامل الزيارات، مزار البحار.

الاسلامي الأول ، وفيما يلي بعض فصولها :

«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما شهد الله لنفسه ،
وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه لا إله إلا هو العزيز الحكيم ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المرتضى ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون .

اللهم : اجعل أفضل صلواتك ، وأكملها ، وأنمى بركاتك ، وأعمها ،
وأزكى تحياتك وأتمها على سيدنا محمد عبدك ورسولك ، ونجيك ، ووليك
ورضيك وصفيك ، وخيرتك من خلقك ، وخالصتك ، وأمينك ، الشاهد
لك ، والدال عليك ، والصادع بأمرك ، والناصح لك ، والمجاهد في
سبيلك ، والذاب عن دينك ، والموضح لبراهينك ، والمهدي الى طاعتك ،
والمرشد الى مرضاتك ، والواعي لوحيك ، والحافظ لعهدك ، والماضي على
انفاذ أمرك المؤيد بالنور المضيء ، والمسدد بالأمر المرضي ، المعصوم من
كل خطأ وزلل ، المنزه عن كل خطأ ، والمبعوث بخير الأديان والملل ، ومقيم
البنيان والحجج ، المخصوص بظهور الفلج ، وإيضاح المنهج ، المظهر من
توحيدك ما استتر والمحيي من عبادتك ما دثر ، والخاتم لما سبق ، والفتاح
لما انفلق ، المجتبي من خلائقك ، والمقام لكشف حقايقك ، والموضحة به
أشراط الهدى ، والمجلوة به غريب العمى ، دافع جيшат الأباطيل ، ودافع
صولات الأضاليل ، والمختار من طينة الكرم ، وسلالة المجد الاقدم ،
ومغرس الفخار المعرق ، وفرع العلاء المنشر ، المورق المنتجب من شجرة
الأصفياء وذوابة العلياء ، وسرة البطحاء ، بعثك له بالحق ، وبرهانك على
جميع الخلق ، خاتم أنبيائك ، وحجتك البالغة في أرضك وسمائك .

اللهم : صلّ عليه صلاة ينغمر في جنب انتفاعه بها قدر الانتفاع ،
ويحوز من بركته التعلق بسببها ما يفوق قدر المتعلقين بسببه ، وزده من بعد
ذلك ، من الاكرام والاجلال ما يتقاصر عنه فسيح الآمال حتى يعلو من كرمك

أعلى مجال المراتب ، ويرقى من نعمك أسمى منازل المواهب ، وخذ له اللهم بحقه وواجهه من ظالمه وظالم الصفوة من أقاربه . . . » .

وأبدى الامام عليه السلام في هذه اللوحة الرائعة من صنوف التكريم والتعظيم لشخصية جدّه الرسول العظيم صلّى الله عليه وآله بما يليق من سموّ ذاته فقد أصفى عليه الألقاب الكريمة ، والنعوت الحسنة ، ووصفه بما هو أهله ، مقروناً بجمال التعبير ، وفصاحة الألفاظ وبلاغة الاداء ، ثم شرع بعد هذا الى زيارة جدّه الامام أمير المؤمنين عليه السلام قال :

« اللهم : وصلّ على وليّك ، وديّان دينك ، القائم بالقسط من بعد نبيّك عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين ، وإمام المتّقين ، وسيّد الوصيّين ، ويعسوب الدين ، وقائد الغرّ المحجّلين ، وقبلة العارفين ، وعلم المهتدين ، وعروتك الوثقى ، وجبلك المتين ، وخليفة رسولك على الناس أجمعين ، ووصيه في الدنيا والدين ، الصّدّيق الأكبر في الأنام ، والفاروق الأزهر بين الحلال والحرام ، ناصر الاسلام ، ومكسّر الأصنام ، معزّ الدين وحاميه ، وواقى الرسول وكافيه ، المخصوص بمواخاته يوم الاخاء ، ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى خامس أصحاب الكساء ، وبعل سيّدة النساء ، المؤثر بالقوت بعد الطوى ، والمشكور سعيه في هل أتى ، مصباح الهدى ، ومأوى التقى ، ومحلّ الحجى ، وطود النهى ، الداعي الى المحبّة العظمى ، والظاعن الى الغاية القصوى ، والسامي الى المجد والعلّى ، والعالم بالتأويل ، والذكرى الذي اخدمته ملائكتك بالطاس والمنديل حين توفّأ ، ورددت عليه الشمس بعد دنوّ غروبها حتى أدّى في أول الوقت لك فرضاً ، وأطعمته من طعام أهل الجنّة حين منح المقداد قرضاً ، وباهيت به خواص ملائكتك اذ شرى نفسه ابتغاء مرضاتك لترضى ، وجعلت ولايته إحدى فرائضك ، فالشقيّ من أقرّ ببعض وأنكر بعضاً . . عنصر الأبرار ، ومعدن الفخار ، وقسيم الجنّة والنار ، صاحب الاعراف ، وأبي الأئمّة الأشراف

المظلوم ، المغتصب ، والصابر المحتسب ، والموتور في نفسه وعترته ، المقصود في رهطه ، وأعزته ، صلّ عليه صلاة لا انقطاع لمزيدها ، ولا اتضاع لمشيدها .

اللهمّ : ألبسه حلل الأنعام ، وتوجّه بتاج الاكرام ، وارفعه الى أعلى مرتبة ومقام حتى يلحق بنبئك عليه وعلى آله السلام ، واحكم له اللهمّ على ظالميه أنّك العدل فيما تقضيه . . . » .

وحفلت هذه الفقرات بالثناء العاطر على الامام أمير المؤمنين رائد الحكمة والعدالة الاجتماعية في الأرض ، ثم خاطب الامام في زيارته سيّدة نساء العالمين بضعة الرسول صلّى الله عليه وآله فاطمة الزهراء عليها السلام قائلاً :

« اللهمّ صلّ على الطاهرة البتول الزهراء ابنة الرسول صلّى الله عليه وآله أمّ الأئمة الهادين ، سيّدة نساء العالمين ، وارثة خير الأنبياء ، وقرينة خير الأوصياء القادمة عليك ، متألمة من مصابها بأبيها ، متظلّمة مما حلّ بها من غاصبيها » .

ثم عرض الامام الى الخطوب والكوارث التي حلّت ببضعة الرسول صلّى الله عليه وآله وريحانته ، ووجّه بعد ذلك زيارته الى أئمة أهل البيت عليهم السلام قائلاً :

« اللهمّ صلّ على الأئمة الراشدين ، والقادة الهادين ، والسادة المعصومين الأتقياء الأبرار ، مأوى السكينة والوقار ، وخزان العلم ، ومنتهى الحلم والفخار ساسة العباد ، وأركان البلاد ، وأدلة الرشاد ، الأمجاد العلماء بشرعك ، الزهاد ، ومصايح الظلم ، وينايع الحكم ، وأولياء النعم ، وعصم الأمم ، قرناء التنزيل وآياته ، وامناء التأويل ، وولاته ، وتراجمة الوحي ودلالاته ، أئمة الهدى ، ومنار الدجى ، وأعلام التقى ، وكهف الورى ،

وحفظة الاسلام ، وحججك على جميع الأنام الحسن ، والحسين سيدي
شباب أهل الجنة ، وسبطي نبي الرحمة ، وعلي بن الحسين السجاد زين
العابدين ، ومحمد بن علي باقر علوم الدين ، وجعفر بن محمد الصادق
الأمين ، وموسى بن جعفر الكاظم ، والحليم ، وعلي بن موسى الرضا الوفي ،
ومحمد بن علي البر التقي ، وعلي بن محمد المنتجب ، الزكي ، والحسن
بن علي الهادي الرضي ، والحجة بن الحسن صاحب العصر والزمان ، وصي
الأوصياء ، وبقية الأنبياء المستر عن خلقك ، والمؤمل لظهار حقك المهدي
المنتظر ، والقائم الذي به ينتصر .

اللهم : صلّ عليهم أجمعين صلاة باقية في العالمين تبلغهم بها أفضل
محلّ المكرمين . اللهم الحقهم في الاكرام بجدّهم وأبيهم ، وخذلهم الحق
من ظالمهم ، اشهد يا مولاي ، أنكم المطيعون لله ، القوامون بأمره ،
العاملون بإرادته الفائزون بكرامته ، اصطفاكم بعلمه ، واجتباكم لغيبه ،
واختاركم لسره ، وأعزّكم بهداه ، وخصّكم ببرهانه ، وأيدكم بروحه ،
ورضيتكم خلفاء في أرضه ، ودعاة الى حقه ، وشهداء على خلقه ، وأنصاراً
لدينه ، وحججاً على بريته ، وتراجمة لوحيه ، وخزنة لعلمه ، ومستودعاً
لحكمته ، عصمكم الله من الذنوب ، وبرأكم من العيوب ، واثمنكم على
الغيوب ، زرتكم يا مولاي عارفاً بحقكم مستبصراً بشأنكم ، مهتدياً بهداكم ،
مقتنياً لأثركم ، متبعاً لستكم ، متمسكاً بولاتكم ، معتصماً بحبلكم ، مطيعاً
لأمركم ، موالياً لأوليائكم ، معادياً لأعدائكم ، عالماً بأن الحق فيكم ،
ومعكم متوسلاً الى الله مستشفعاً إليه بجاهكم ، وحقّ عليه أن لا يخيب
سائله ، والراجي ما عنده لزواركم .

اللهم : فكما وفّقني للإيمان بنبيك ، والتصديق لدعوته ، ومننت عليّ
بطاعته ، واتباع ملّته ، وهديتني الى معرفته ، ومعرفة الأئمة من ذريته ،
وأكملت بمعرفتهم الايمان ، وقبلت بولاتهم وطاعتهم الأعمال واستعبدت

بالصلاة عليهم عبادك ، وجعلتهم مفتاحاً للدعاء ، وسبباً للإجابة ، فصلّ عليهم أجمعين ، واجعلني بهم عندك وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين .

اللهم اجعل ذنوبنا بهم مغفورة ، وعيوبنا مستورة ، وفرايضنا مشكورة ، ونوافلنا مبرورة ، وقلوبنا بذكرك معمورة ، وأنفسنا بطاعتك مسرورة ، وجوارحنا على خدمتك مقهورة ، وأسماءنا في خواصك مشهورة ، وارزاقنا من لدنك مدرورة ، وحوادثنا لديك ميسورة برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم انجز لهم وعدك ، وطهر بسيف قائمهم أرضك ، وأقم به حدودك المعطلة ، وأحكامك المهملة ، والمبدلة ، وأحيي به القلوب الميتة واجمع به الأهواء المتفرقة ، واجل به اصداء الجور عن طريقتك حتى يظهر الحق على يديه في أحسن صورته ، ويهلك الباطل وأهله بنور دولته ، ولا يستخفي بشيء مخافة أحد من الخلق .

اللهم عجل فرجهم ، وأظهر فلجهم ، واسلك بنا منهجهم ، وامتنا على ولايتهم ، واحشرنا في زمرتهم ، وتحت لوائهم ، وأوردنا حوضهم ، واسقنا بكأسهم ، ولا تفرق بيننا وبينهم ، ولا تحرمنا شفاعتهم حتى نظفر بعفوك ، وغفرانك ، ونصير الى رحمتك ورضوانك إله الحق رب العالمين ، يا قريب الرحمة من المؤمنين ، ونحن أولئك حقاً لا ارتياباً اذا أوحشنا التعرض لغضبه آنسنا حسن الظنّ به ، فنحن واثقون بين رغبة ورهبة قد أقبلنا لعفوك ومغفرتك طلباً ، وأذللنا لقدرتك وعزّتك رقاباً فصلّ على محمد وآله الطاهرين ، واجعل دعاءنا بهم مستجاباً وولاءنا لهم من النار حجاباً .

اللهم : بصّرنا قصد السبيل لتعمّده ، ومورد الرشد لنرده ، وبدل خطايانا صواباً ، ولا ترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، يا من تسمّى من جوده وكرمه وهاباً ، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا

عذاب النار ان حَقَّت علينا اكتسابا يا أرحم الراحمين . . .» (١) .

وألقت هذه البنود من زيارة الامام عليه السلام الأضواء على روحانية الامام التي هي امتداد لروحانية آبائه الذين هم مصابيح التقى ، وأعلام الهدى ، والأدلاء على مرضاة الله وطاعته .

استجارته بالحائر الحسيني :

وألمّ مرض بالامام الهادي عليه السلام فرأى أن خير دواء له الاستجارة بمرقد سيّد شباب أهل الجنة وأحد سبطي الرحمة الامام الحسين عليه السلام الذي ما استجار أحد بضريحه الا فرّج الله عنه ما هو فيه من آلام الدنيا وخطوبها ، وقد روى أبو هاشم الجعفري استجارة الامام عليه السلام وذلك بعدة روايات ، نذكرها وهي :

١ - روى أبو هاشم الجعفري قال : دخلت أنا ومحمد بن حمزة على أبي الحسن نعوده وهو عليل فقال لنا : وجّهوا قوماً الى الحائر من مالي ، فلما خرجنا من عنده قال لي محمد بن حمزة :

« يوجّهنا الى الحائر ، وهو بمنزلة من في الحائر؟ » .

لقد كان الامام الهادي بمنزلة جدّه الامام الحسين عليه السلام فهو مثله إمام معصوم قد أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً ، واطمأن أبو هاشم بمقالة محمد بن حمزة ، فمضى الى الامام عليه السلام وأخبره بذلك فقال عليه السلام :

« ليس هو هكذا ان لله مواضع يجب أن يُعبد فيها ، وحائر الحسين عليه

(١) مزار البحار .

السلام من تلك المواضع»^(١) .

٢- روى أبو هاشم قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد وهو محموم عليل ، فقال لي :

« يا أبا هاشم ابعث رجلاً من موالينا الى الحائر يدعوا الله لي . . » .

وخرج أبو هاشم فاستقبل في الطريق علي بن بلال فأخبره بأمر الامام ، وطلب منه السفر الى كربلاء ليدعوه ، فبهر علي وقال :

« السمع والطاعة ، ولكني أقول : إنه أفضل من الحائر - أراد المكان المقدس الذي دفن فيه الحسين - إذ كان بمنزلة من في الحائر ، ودعاؤه لنفسه أفضل من دعائي له . . » .

لقد كان علي بن بلال عالماً بمقام الامام عليه السلام ومنزلته ، فكيف يمضي للدعاء له عند مرقد الامام الحسين عليه السلام مع أن الحسين عليه السلام وحفيده الهادي كل منهما إمام معصوم وهلاً يدعوا الامام لنفسه ، وهو أفضل خلق الله ، كل هذه النقاط كانت مدار تساؤل عند علي بن بلال ، وبادر أبو هاشم فنقل حديثه للإمام عليه السلام فأجابه عليه السلام :

« كان رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من البيت والحجر ، وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر ، وان الله تعالى بقاعاً يجب أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والحائر منها . . . »^(٢) .

لقد كان منطق الامام عليه السلام حافلاً بالدليل فرسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو سيد الكائنات وعلة الموجودات أفضل من البيت الحرام ، وأفضل من الحجر الأسود ، مع أنه صلى الله عليه وآله كان يطوف بالبيت

(١) كامل الزيارات (ص ٢٧٣) مزار البحار (ص ١٤١) .

(٢) كامل الزيارات (ص ٢٧٤) مزار البحار (ص ٤١) .

ويستلم الحجر ، وكذلك الامام هو أفضل من الحائر وبمنزلة من دفن فيه الآ انه لا مانع من الدعاء له في ذلك المكان المقدس لأن الله تعالى بقاعاً كريمة أحب أن يدعى فيها ، والحائر منها ، وقد أكد الامام عليه السلام ذلك في حديث آخر له ، فقد قال : « ان الله عز وجل جعل من أرضه بقاعاً تسمى المرحومات أحب أن يدعى فيها فيجيب » (١) .

٣ - روى أبو هاشم قال : بعث إليّ أبو الحسن عليه السلام في مرضه والى محمد بن حمزة فسبقني إليه محمد بن حمزة ، فأخبرني أنه ما زال يقول : ابعثوا الى الحائر ، فقلت : لمحمد ، ألا قلت : أنا أذهب الى الحائر؟ فقلت له : جعلت فداك أنا أذهب الى الحائر ، فقال : انظروا في ذلك ، ثم قال : ان محمداً ليس له سر من زيد بن علي - يعني ليس زيدي العقيدة - وأنا أكره أن يسمع ذلك ، قال : فذكرت ذلك لعلي بن بلال ، فقال : ما كان يصنع بالحائر وهو الحائر؟ فقدمت العسكر - يعني سامراء - فدخلت عليه ، فقال لي : اجلس ، حين أردت القيام ، فلما رأته أنس بي ذكرت قول علي بن بلال ، فعرضته عليه فقال لي :

« ألا قلت له : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يطوف بالبيت ، ويقبل الحجر ، وحرمة النبيّ صلّى الله عليه وآله والمؤمن أعظم من حرمة البيت ، وأمره الله أن يقف بعرفة وأنما هي موطن يحبّ الله أن يُذكر فيها .

فأنا أحبّ أن يدعى لي حيث يحبّ الله أن يدعى فيها ، والحائر من تلك المواضع .. » (٢) .

ان الامام الحسين عزيز الله وحبيبه الذي فدى دين الله بروحه ودمه ، وقدم أبناءه وأهل بيته وأصحابه قرايين خالصة لوجه الله ، وقد جرت عليه من

(١) وسائل الشيعة ٣/٥٧٠ .

(٢) كامل الزيارات ، فروع الكافي ٤/٥٦٧ وذكر في هامشه تعليقاً وإيضاحاً لكلام الامام (ع) .

الخطوب والكوارث ما لم تجر على أي مصلح اجتماعي في الأرض .

وقد منحه الله من الكرامات في الدنيا والآخرة ما لم يمنحها لأي أحد من أوليائه سوى جدّه وأبيه ، ففي الدنيا قد منحه من العزة والكرامة ما لم يظفر بها أي إنسان ، فقد جعل مرقده الشريف ملجأ لكل ملهوف ، وملاذاً لكل مكروب ، ، وخصّه باستجابة الدعاء تحت قبّته ، وأما في الدار الآخرة فهو الشفيق المطاع ، وسيمنحه من الكرامة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

كبس دار الامام :

وسعى بعض اللئام من الذين لا يرجون الله وقاراً الى المتوكل فقالوا له : إن عند الإمام الهادي عليه السلام كتباً وسلاحاً وأمواً ، ولا يؤمن من القيام بثورة مسلحة ضدّ حكومته ، ففرع المتوكل وأوجس في نفسه خيفة ، وأوعز الى جماعة من شرطته الأتراك بالهجوم على دار الامام ليلاً ، واعتقاله ، فهجموا عليه على حين غفلة منه ، فوجدوه في بيت مغلق وعليه مدرعة من شعر وليس بينه وبين الأرض من بساط الآ الرمل والحصاد^(١) ، وهو مستقبل القبلة ، وهو يتلو قوله تعالى : ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾^(٢) وحمّلوه الى المتوكل وهو بتلك الحالة^(٣) التي تمثل زهد الأنبياء وروحانية المرسلين ، وكان المتوكل على موائد الخمر ثملاً سكراناً ، فلما بصر بالامام ناوله الطاغية كأساً من الخمر ، فزجره الامام وصاح به .

« والله ما خامر لحمي ودمي قطّ . . . » .

(١) دائرة معارف القرن العشرين ٦/٤٣٧ .

(٢) سورة الجاثية آية ٢٩ .

(٣) روضة الاعيان مخطوط .

وقال المتوكل للإمام :

« أنشدني شعراً . . . » .

« أنني قليل الرواية للشعر . . . » .

وأصرَّ الطاغية على مرامه قائلاً :

« لا بدَّ أن تنشدني . . . » .

ولم يجد الامام بُدّاً من انشاده فأنشده هذه الأبيات الحزينة التي حوّلت
أنس الطاغية الى بكاء وحزن قائلاً :

غلب الرجال فما اغتتهم الحيل ^(١)	باتوا على قلل الأجيال تحرسهم
فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا	واستنزلوا بعد عزٍّ عن مراتبهم ^(٢)
أين الأسرة والتيجان والحلل	ناداهم صارخ من بعد ما قبروا
من دونها تضرب الاستار والكلل	أين الوجوه التي كانت منعمة
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل	فافصح القبر عنهم حين ساء لهم
فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا ^(٣)	قد طال ما أكلوا دهنراً وما شربوا

(١) في مرآة الجنان ١٦٠/٢ (فلم ينفعهم القلل) .

(٢) في رواية معاقلم .

(٣) جاء في جوهرة الكلام (ص ١٥٢) ان هذه الأبيات وجدت مكتوبة على قصر سيف بن ذي يزن
الحميري وقبلها الأبيات التالية :

وكن على حذر من قبل تنتقل	انظر ماذا ترى أيها الرجل
فكل ساكن دار سوف يرتحل	وقدم الزاد من خير تسرّ به
فأصبحوا في الثرى رهناً بما عملوا	وانظر الى معشر باتوا على دعة
مألاً فلم يغنهم لما انقضى الأجل	بنوا فلم ينفع النبيان وادخروا

نزّهة الجليس (راجع الصفحة ١٣٨/٢ ، مرآة الجنان ١٦٠/٢ ، تذكرة الخواص ص ٣٦١ - الإتحاف
بجب الأشراف ص ٦٧ .

واهتزّ المتوكّل ، وطار السكر من رأسه ، فلم يملك اهابه وأخذ يبكي بكاءً شديداً واشفق من حضر المجلس على الامام من بطش المتوكّل ، وظنّوا أن بادرة سوء أو انتقام ستبدو منه تجاه الامام .

وأمر المتوكّل برفع كؤوس الخمر عن المجلس ، والتفت الى الامام الزكيّ بخضوع وخشوع قائلاً :

« يا أبا الحسن عليك دين ؟ . . . » .

« نعم أربعة آلاف دينار . . » .

فأمر بدفعها إليه ، وردّه الى منزله عليه السلام مكرّماً ، وكشفت هذه البادرة عن جهاد الامام عليه السلام وموقفه المشرف تجاه هذا الطاغية فلم يعن به ، ولم يحفل بملكه وسلطانه وراح يوعظه ويخوفه من عقاب الله ، وقد عرفه عما سيصير إليه من مفارقة هذه الحياة ، فلا تدفع المنية عنه جيوشه ولا سلطانه ، كما عرفه عما يؤول إليه بدنه الرقيق فانه حينما يوارى في التراب يكون طعمة للديدان والحشرات ، ومن المؤكّد ان المتوكّل لم تمرّ على سمعه أمثال هذه المواعظ ، فقد اترع سمعه بأصوات المغنّين والمغنيات ، وقد وافته المنية وهو بين العازفين وكؤوس الخمر ، ولا عهد له بذكر الله في جميع أحوال حياته .

وشاية البطحاوي بالامام :

وروى المؤرّخون : أنّ المتوكّل أصيب بخراج أشرف منه على الهلاك فأشار عليه الفتح بن خاقان أن يبعث رسولاً الى الامام الهادي عليه السلام ويخبره بحاله لعلّ عنده علاجاً له ، فبعث إليه رسولاً فأخبره بحاله ، فوصف عليه السلام وصفة فاستعملها المتوكّل ، فبرأ من مرضه ، ولما بشرت أمه بعافيته حملت الى الامام بدرة وكيساً قيمتهما عشرة آلاف دينار وقد ختمتهما بخاتمها ، وسعى محمد بن القاسم البطحاوي الى المتوكّل فأخبره بأن أموالاً

وسلاحاً تحمل. الى الامام ، ففزع المتوكّل وأمر سعيد الحاجب بأن يكبس داره ليلاً ، ويأتي بجميع ما يجده فيها من الأموال والسلاح ، وبأمر سعيد الى بيت الامام فوضع سلباً وصعد الى سطح الدار ، وقد اشتدّ الظلام فلم يدر كيف يصل الى صحن الدار ، وبينما هو في حيرة من أمره اذ سمع صوت الامام يناديه يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة ، فأتى بها فنزل الى الدار فوجد الامام عليه جبّة صوف ، وقلنسوة من صوف ، وسجادة على حصير ، ثم فتش البيوت فلم يجد فيها سوى البدره والكيس ، ورفع مصلى الامام فوجد سيفاً في جفنه فحمل جميع ذلك الى المتوكّل ، ولما نظر الى البدره والكيس عليها خاتم أمّه استدعاها وسألها عن ذلك فأخبرته انها نذرت للإمام ان عوفي المتوكّل من علته ان تكرم الامام ، ولما برأ وقت بندرها ، فاستحى وأضاف الى البدره بدره أخرى وأمر سعيد بحمل ذلك الى الامام ، فحمله له واعتذر منه فأجابته الامام عليه السلام بالآية الكريمة ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾^(١) .

الحصار الاقتصادي على الامام :

وفرض المتوكّل حصاراً اقتصادياً جاداً على الامام عليه السلام وقد فرض أقصى العقوبات على من يصل الامام بالحقوق الشرعية أو سائر الهدايا فكان الامام طيلة خلافة المتوكّل في جهد وحرَج وضيق ، وقد امتنع المؤمنون من إيصال حقوقهم إليه ، كما امتنعوا من زيارته والتشرف بخدمته خوفاً من السلطة العاتية .

اعتقال الامام :

وأمر الطاغية باعتقال الامام وزجّه في السجن ، فبقي فيه أياماً وجاء لزيارته صقر بن أبي دلف ، فاستقبله الحاجب وكانت له معرفة به كما كان

(١) أصول الكافي .

عالمًا بتشيّعه ، وبادر الحاجب قائلاً :

« ما شأنك ؟ وفيم جئت ؟ .. » .

« بخير .. » .

« لعلك جئت تسأل عن خبر مولاك ؟ » .

« مولاي أمير المؤمنين - يعني المتوكّل » .

فتبسّم الحاجب وقال :

« اسكت مولاك هو الحقّ - يعني الامام الهادي عليه السلام - فلا

تحتشمني فآني على مذهبك .. » .

« الحمد لله .. » .

« تحبّ أن تراه ؟ .. » .

« نعم .. » .

« اجلس حتى يخرج صاحب البريد » .

ولما خرج صاحب البريد ، التفت الحاجب الى غلامه فقال له : خذ بيد الصقر حتى تدخله الحجرة التي فيها العلوي المحبوس ، وخلّ بينه وبينه ، فأخذه الغلام حتى أدخله الحجرة وأوماً الى بيت فيه الامام ، فدخل عليه الصقر ، وكان الامام جالساً على حصير وبازائه قبر محفور قد أمر به المتوكّل لارهاب الامام ، والتفت عليه السلام له قائلاً بحنان ولطف .

« يا صقر ما أتى بك ؟ .. » .

« جئت لأتعرّف على خبيرك .. » .

وأجهش الصقر بالبكاء رحمة بالامام وخوفاً عليه ، فقال عليه السلام

له :

« يا صقر لا عليك ، لن يصلوا إلينا بسوء . . . » .

فهدأ روعه وحمد الله على ذلك ، ثم سأل الامام عن بعض المسائل الشرعية فأجابها عنها ، وانصرف مودّعاً للإمام^(١) ولم يلبث الامام الا قليلاً في السجن حتى اطلق سراحه .

محاولة فاشلة لاغتيال الامام :

وثقل الامام على المتوكل ، وضاق به ذرعاً فقد ساءه ما يتحدث به الناس عن فضله وسعة علومه ، وزهده وتقواه ، وذهاب الشيعة الى إمامته ، وانه أحق بالخلافة وأولى بها منه فحاول اغتياله والقضاء عليه الا انه باء بالفشل ، ولم يصل الى مرامه ، وقد روى ذلك الفضل بن أحمد الكاتب عن أبيه ، قال : كنا مع المعتز ، وكان أبي كاتبه ، فدخلنا على المتوكل وكان جالساً على سريره ، وهو نائم ينظر شزراً الى وزيره الفتح بن خاقان ، وقد رفع صوته :

« هذا الذي تقول فيه ما تقول ؟ » .

والفتح يخفف عليه غلواءه ، ويقول له : إنه مكذوب عليه يا أمير المؤمنين فلم يحفل به وراح يقول :

« والله لأقتلن هذا . . . هذا الذي يدعي الكذب ، ويطعن في دولتي » .

وأمر بإحضار أربعة من الخزر من الذين لا يفقهون شيئاً ، وأعطى لكل واحد منهم سلاحاً ، وأمرهم بقتل الامام إذا دخل عليه ، وجعل يتهدد ويتوعد الامام ، وهو يقول بنبرات تقطر غضباً :

« والله لأحرقن جسده بالنار بعد القتل . . . » .

(١) بحار الأنوار .

وأقبل الامام ، وقد أحاط به حراس القصر ، وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير تعظيماً له ، وهم يقولون :

« هذا ابن الرضا . . . » .

ولما بصر به المتوكل أخذته هيئته ، وألقى الله الرعب والفرع في قلبه فوثب من سريره ، واستقبله استقبالاً حاراً ، وقبل ما بين عينيه ، وهو يقول له بخضوع :

« يا سيدي ، يا ابن رسول الله ، يا خير من خلق الله ، يا ابن عمي ، يا مولاي يا أبا الحسن . . . » .

والامام ينصحه ويعظه ، ويحذره عقاب الله ، فقال المتوكل :

« ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت ؟ . . . » .

« جاءني رسولك يقول لي : المتوكل يدعوك . . . » .

« كذب ابن الفاعلة ، ارجع يا سيدي من حيث أتيت . . . » .

والتفت المتوكل الى وزيره وأبنائه قائلاً :

« يا فتح ، يا عبد الله ، يا معتز ، شيعوا سيديكم . . . » .

وخرج الامام محاطاً بهالة من الحفاوة والتكريم ، وامتنع الخزر من اغتيال الامام حينما رأوا هيئته ، واحتفاء الحرس به وتعظيم المتوكل له^(١) وبذلك فقد باءت محاولة المتوكل بالخيبة والخسران .

استهانة المتوكل بالامام :

ونخر الحسد قلب المتوكل ، وقد سلك جميع الوسائل للحط من شأن

(١) الخرايج للراوندي .

الامام والتقليل من أهميته المتصاعدة أمام الرأي العام ، وقد حاول إذلاله فأراد أن يمشي ولا يركب أمامه ليزهد فيه الناس فأشار عليه وزيره بترك ذلك لأن فيه شفاعاة وسوء قاله عليه ، فلم يصغ له ، وأشار عليه ثانياً بأن يأمر القواد والأشراف ومن ضمنهم الامام بالمشي حتى لا يظنّ انه المقصود وحده ، فاستجاب له ، وأمر الناس بالمسير بين يديه ففعلوا ذلك ، وكان الوقت قائظاً شديد الحرّ فجعل الامام أثناء مشيه يتصبّب عرقاً فبصر به زراقة حاجب المتوكّل فبادر وأجلسه في دهليز هناك وأخذ منديلاً وجعل يمسح به عرق الامام ، وحاول أن يخفّف ما في نفس الامام من آلام قائلاً :

« ابن عمّك لم يقصدك بهذا دون غيرك . . » .

فنظر إليه الامام وقال له :

« ايها عنك ، وتلا قول الله تعالى : ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك

وعد غير مكذوب . . ﴾^(١)

قال زراقة : كان عندي معلم يتشيّع ، وكنت كثيراً أمازحه ، فلما انصرفت الى منزلي استدعيت ، فلما حضر حدّثته بما سمعته من الامام عليه السلام فتغيّر وجهه ، وقال لي : احترز ، واخزن كل ما تملكه فان المتوكّل يموت أو يقتل بعد ثلاثة أيام ، وقد استشف ذلك من استشهاد الامام بالآية الكريمة ، يقول زراقة : فتأثرت من كلامه ، وأخرجته ، ثم فكّرت في نفسي ، وقلت : ما يضرّني أن آخذ بالحزم فان كان شيء من هذا كنت قد أخذت بالحزم ، وان لم يكن لم يضرّني ، فركبت الى دار المتوكّل ، وأخرجت ما كان لي من الأموال ، وأودعتها عند من أعرف ، ولم تمض ثلاثة أيام حتى هلك المتوكّل ، وصارت هذه البادرة - فيما يقول زراقة - السبب في هدايته واعتقاده بالامامة^(١) .

(١) البحار ١٢/١٣٤ ، الخراج .

دعاء الامام على المتوكّل :

والتجأ الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام الى الله تعالى ، وانقطع إليه ، وقد دعاه بهذا الدعاء الشريف الذي عرف (بدعاء المظلوم على الظالم) وهو من الكنوز المشرقة عند أهل البيت عليهم السلام وهذا نصّه :

« اللهم : إنّي وفلاناً - يعني المتوكّل - عبدان من عبيدك ، نواصينا بيدك ، تعلم مستقرّنا ومستودعنا ، وتعلم منقلبنا ومثوانا ، سرّنا وعلانيتنا ، وتطلع على نيّاتنا ، وتحيط بضمائرنا ، علمك بما نبيده كعلمك بما نخفيه ، ومعرفتك بما نبطنه كمعرفتك بما نظهره ، ولا ينطوي عنك شيء من أمورنا ، ولا يستتر دونك حال من أحوالنا ، ولا لنا منك معقل يحصننا ، ولا حرز يحرزنا ، ولا هارب يفوتك منّا ، ولا يمتنع الظالم منك بسلطانه ، ولا يجاهدك عنه جنوده ، ولا يغالبك مغالب بمنعته ، ولا يعازك متعزّز بكثرة ، أنت مدركه أينما سلك ، وقادر عليه ، أين لجأ ، فعاذ المظلوم ببابك ، وتوكّل المقهور منّا عليك ، ورجوعه إليك ، ويستغيث بك إذا خذله المغيث ، ويستصرخك إذا قعد عنه النصير ، ويلوذ بك إذا أنته الأفنية ، ويطرق بابك إذا غلقت دونه الأبواب المرتجة ، ويصل إليك إذا احتجبت عنه الملوك الغافلة ، تعلم به قبل أن يشكوه إليك ، وتعرف ما يصلحه قبل أن يدعوك له ، فلك الحمد سميعاً بصيراً لطيفاً قديراً . . . » .

لقد تحدّث الامام عليه السلام في هذه القطعة من دعائه عن علم الله تعالى ، وأنّه لا يخفى عليه شيء من السموات والأرض ، وأنه مطلع على خفايا الأمور وبواطنها وأسرار الأشياء ودقائقها ، كما تحدّث عن قدرة الله تعالى ، وان كل شيء خاضع لقدرته ، فلا يمتنع عليه الظالم بسلطانه وجنوده واتباعه ، فانه قادر عليه ، ولا يفوته ظلم ظالم ، وان مصير المظلوم إليه تعالى فلا ملجأ له غيره ، فبه يلوذ ، وبه يستجير .

ويستمرّ الامام في دعائه قائلاً :

« اللهم : انه قد كان في سابق علمك ومحكم قضائك ، وجاري قدرك وماضي حكمك ونافذ مشيئتك في خلقك أجمعين سعيدهم وشقيهم وبرهم وفاجرهم ان جعلت لفلان - يعني المتوكّل - عليّ قدرة فظلمني بها وبغى عليّ لمكانها ، وتعزز عليّ بسلطانه الذي خوّلته إياه ، وتجبّر عليّ بعلوّ حاله ، الذي جعلته له ، وغرّه املاؤك له ، واطغاه حلمك عنه فقصدني بمكروه عجزت عن الصبر عليه ، وتعمدني بشر ضعفت عن احتماله ولم أقدر على الانتصار منه لضعفي والانتصاف منه لذلي ، فوكّلته إليك ، وتوكّلت في أمره عليك ، وتوعدته بعقوبتك ، وحذّرتَه سطوتك ، وخوّفته نقمتك ، فظنّ أن حلمك عنه من ضعف وحسب ان امهالك له من عجز ولم تنهه واحدة عن أخرى ، ولا انزجر عن ثانية بأولى ، ولكنه تمادى في غيّه وتتابع في ظلمه ولجّ في عدوانه ، واستشرى في طغيانه جرأة عليك يا سيّدي ، وتعرضاً لسخطك الذي لا تردّه عن الظالمين ، وقلة اكرثا بياسك الذي لا تحسبه عن الباغين ، فها أنا يا سيّدي مستضعف في يديه مستضام تحت سلطانه ، مستذلّ بعنانه ، مغلوب ، مبغى عليّ ، مغضوب وجل ، خائف ، مروع ، مقهور ، قد قلّ صبري ، وضائق حيلتي وانغلقت عليّ المذاهب الآ إليك ، وانسدّت عليّ الجهات الآ جهتك ، والتبست عليّ أموري في دفع مكروهه عني ، واثبت عليّ الآراء في إزالة ظلمه ، وخذلني من استنصرته من عبادك ، واسلمني من تعلّقت به من خلقك . . واستشرت نصيحتي فأشارت اليّ بالرغبة إليك ، واسترشدت دليلي فلم يدلني الآ عليك ، فرجعت إليك يا مولاي صاغراً راغماً مستكيناً عالماً أنه لا فرج لي الآ عندك ، ولا خلاص لي الآ بك ، انجز وعدك في نصرتي ، واجابة دعائي فانك قلت : وقولك الحقّ : الذي لا يرده ولا يبذل ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله﴾^(١) وقلت : جلّ

(١) سورة الحج : آية ٦٠ .

جلالك وتقدّست أسماؤك ﴿ادعوني أستجب لكم﴾^(١) وأنا فاعل ما أمرتني به
لا منّا عليك ، وكيف أمنّ به وأنت عليه دللتني ، فصلّ على محمد وآل محمد
فاستجب لي كما وعدتني يا من لا يخلف الميعاد ، .

وأنّي لأعلم يا سيّدي أنّ لك يوماً تنتقم فيه من الظالم للمظلوم ، وأتبيّن
أنّ لك وقتاً تأخذ فيه من الغاصب للمغصوب لأنّك لا يسبقك معاند ، ولا
يخرج عن قبضتك منابذ ولا تخاف فوت فائت ، ولكن جزعي وهلعي لا
يبلغان بي الصبر على أناتك ، وانتظار حلمك ، فقدرتك عليّ يا سيّدي
ومولاي فوق كل قدرة ، وسلطانك غالب على كلّ سلطان ، ومعاد كلّ أحد
إليك وان أمهلته ، ورجوع كل ظالم إليك وان انظرته ، وقد ضرّني حلمك من
فلان - يعني المتوكّل - وطول أناتك له ، وامهالك إياه ، وكاد القنوط يستولي
عليّ لولا الثقة بك ، واليقين بوعدك فان كان في قضائك النافذ ، وقدرتك
الماضية ان ينيب أو يتوب عن ظلمي أو يكفّ مكروهه عني ، وينتقل عن
عظيم ما ركب مني . . . اللهم فصلّ على محمد وآل محمد وأوقع ذلك في
قلبه الساعة ، الساعة قبل إزالة نعمتك التي أنعمت بها عليّ ، وتكديره
معروفك الذي صنعته عندي ، وان كان في علمك به غير ذلك من مقام على
ظلمي فأسألك يا ناصر المظلوم المبغي عليه اجابة دعوتي فصلّ على محمد
وآل محمد ، وخذه من مأمّنه أخذ عزيز مقتدر وافجأه في غفلة مفاجأة ملك
منتصر ، واسلبه نعمته وسلطانه ، وافضض عنه جموعه واعوانه ، ومزّق ملكه
كلّ ممزق ، وفرّق انصاره كل مفرق ، واعره من نعمتك التي لا يقابلها
بالشكر ، وانزع عنه سربال عزّك الذي لم يجازه بالاحسان ، واقصمه يا قاصم
الجبابرة ، واهلكه يا مهلك القرون الخالية ، وأبره يا مبير الأمم الظالمة ،
واخذله يا خاذل الفئات الباغية ، وابر عمره ، وابتز ملكه ، وعف اثره ، واقطع
خبره ، واطف ناره ، واطلم نهاره ، وكور شمسّه وازهق نفسه ، واشم شدته ،

(١) سورة غافر : آية ٤٠ .

وجب سنامه ، وارغم انفه ، وعجّل حتفه ، ولا تدع له جنبه الآ هتكتها ، ولا
 دعامة الا قضمتها ، ولا كلمة مجتمعة الآ فرقتها ، ولا قائمة علو الا وضعتها ،
 ولا ركناً الآ وهنته ولا سبباً الآ قطعته ، وأرنا أنصاره وجنده واحبّاءه وأرحامه
 أبديد بعد الإلفة ، وشتّى بعد اجتماع الكلمة ، ومقنّعي الرؤوس بعد الظهور
 على الأمة ، واشف بزوال أمره القلوب المنقلبة الوجلة ، والأفئدة اللهفة ،
 والأمة المتحيّرة^(١) والبرية الضائعة ، وازل بيواره الحدود المعطّلة ، والأحكام
 المهملة ، والسنن الدائرة ، والمعالم المغبرة ، والآيات المحرفة ، والمدارس
 المهجورة ، والمحاريب المجفوة ، والمساجد المهدومة ، وأرح به الأقدام
 المغبة ، واشبع به الخماص الساغبة ، واردد به اللهوات اللاعبة ، والأكباد
 الظامية ، واطرقه بليلة لا اخت لها ، وساعة لا شفاء منها ، ونكبة لا انتعاش
 معها ، وبعثرة لا إقالة منها ، وأبح حريمه ، ونغص نعيمه ، واره بطشتك
 الكبرى ، ونقمتك المثلى ، وقدرتك التي هي فوق كل قدرة ، وسلطانة الذي
 هو أعزّ من سلطاته ، واغلبه لي بقوتك القوية ، ومحالك الشديد ، وامنعني
 بمنعتك التي كل خلق فيها ذليل ، وابتله بفقر لا تجبره ، وبسوء لا تستره ،
 وكله الى نفسه فيما يريد إنك فعّال لما تريد ، وابرأه من حولك وقوتك ،
 واحوجه الى حوله وقوته ، واذل مكره بمكرك ، وادفع مشيئته بمشيئتك ،
 واسقم جسده ، وأيتم ولده ، وانقص أجله ، وخيب أمله ، وأزل دولته ،
 وأطل عولته ، واجعل شغله في بدنه ، ولا تفكّه من حزنه ، وصير كيده في
 ضلال وأمره الى زوال ، ونعمته الى انتقال ، وجده في سفال ، وسلطانة في
 اضمحلال وعاقبته الى شرّ مآل ، وأمته بغيظه إذا أمّته ، وأبقه لحزنه ان
 أبقيته ، وقني شرّه وهمزه ولمزه وسطوته وعداوته ، والمحّه لمحّة تدمّر بها عليه
 فإنك أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً ، والحمد لله ربّ العالمين .

وهذا الدعاء الشريف من كنوز آل محمد صلّى الله عليه وآله يلجأون

(١) المصباح للكفعمي وغيره .

الى الدعاء به إذا صبّ عليهم الظالمون جام غضبهم ، ويستجيب الله دعاءهم ، وينزل نقمته على أعدائهم .

ويلمس في هذا الدعاء مدى ما عاناه الامام من الخطوب والكوارث في عهد هذا الطاغية السفاك فانه لم يألوجهداً في ظلم العلويين وشيعتهم ، وستحدّث عن ذلك في غضون هذا الكتاب .

هلاك المتوكّل :

واستجاب الله دعاء وليّه الامام الهادي عليه السلام فقصر ظهر عدوّه ، وانتقم منه كأشدّ ما يكون الانتقام ، فلم يلبث المتوكّل بعد هذا الدعاء سوى ثلاثة أيّام حتى أودى الله بحياته ، وجعله أثراً بعد عين ، ونعرض - بإيجاز - الى كيفية هلاكه .

المؤامرة على المتوكّل :

ودبّرت مؤامرة خطيرة لاغتيال المتوكّل والقضاء عليه ، وقد أحكمت فصول هذه المؤامرة ، وأحيطت بكثير من السرّ والكتمان ، وقد نجحت بسلام ، ولم يتكبّد القائمون بها أي خسارة في الأرواح ، وهذه بعض فصولها :

أعضاء المؤامرة :

أمّا أعضاء هذه المؤامرة والقائمون بها ، فأهمّهم ما يلي :

١ - المنتصر :

كان المنتصر حاقداً على أبيه جعفر ، والسبب - فيما نحسب - يعود الى

جهتين :

الأولى : - ان المتوكّل كان يزدرى ابنه المنتصر ويحتقره ، وقد بالغ في الاستهانة به حتى ورم أنفه ، وامتألت نفسه غيظاً على أبيه ، وقد احضره قبل

أن يقتل بيوم فكان مرّة يشتمه ، ومرّة يسقيه فوق طاقته ، وقال : لوزيره الفتح ابن خاقان برئت من الله ، ومن قرابتي من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنْ لَمْ تَلْطَمِهِ ، فقام الفتح ولطمه مرّتين «... . وقال : لمن حضر اشهدوا عليّ جميعاً أنّي قد خلعت المستعجل - يعني المنتصر - وقال له : سمّيتك المنتصر ، وسمّاك الناس لحمقك المنتصر ، ثم صرت الآن المستعجل ، فقال المنتصر : لو أمرت بضرب عنقي كان أسهل عليّ مما تفعله بي ، ثم انصرف عنه وقد ملئت نفسه بالحق والانتقام من أبيه ، وقد أسرع الى تنفيذ مؤامرة الاغتيال .

الثانية :- انّ المتوكّل كان شديد البغض والكراهية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان المنتصر بعكسه ، فقد كان شديد الميل للإمام أمير المؤمنين ولأبنائه العلويين ، وكان ذلك هو السبب - حسبما يقول بعض المؤرّخين - في إقدامه على قتل أبيه .

٢ - وصيف التركي :

من أهمّ أعضاء هذه المؤامرة ، وصيف التركي ، وكان ذا منصب عالٍ في الدولة .

٣ - بغا التركي :

هؤلاء أهمّ أعضاء المؤامرة وكانوا يعقدون المؤتمرات السريّة ، ويتداولون الرأي في أحسن الطرق لتنفيذ مخطّطهم ، واجتمع رأيهم على ما يلي :

١ - تنفيذ المؤامرة في غلس الليل البهيم .

٢ - غلق أبواب القصر عدا الباب التي تتصل بشطّ دجلة ، وذلك خوفاً من أن تتصل الى المتوكّل الامتدادات من حرس القصر أو إحدى قطعات الجيش .

٣ - قتل الفتح بن خاقان رئيس الوزراء .

٤ - الاشاعة بين الجماهير ، من أن الفتح قام بانقلاب عسكري فاشل ، وقد قتل الخليفة المتوكل ، وان المنتصر أحمد ذلك الانقلاب ، وقتل الفتح طلباً بثأر أبيه . . . هذه بعض المخططات التي تمّ التصديق عليها من قبل قادة الانقلاب .

تنفيذ المؤامرة :

وهجم الأتراك على المتوكل في ليلة الاربعاء المصادف لأربع خلون من شوال سنة (٢٤٧هـ)^(١) يتقدمهم باغر التركي وقد شهروا سيوفهم ، وكان المتوكل ثملاً سكراناً وذعر الفتح بن خاقان فصاح بهم « ويلكم أمير المؤمنين » فلم يعنوا به ورمى بنفسه عليه ليكون كبش الفداء له إلا أنه لم يغن عن نفسه ولا عنه شيئاً ، وأسرعوا إليهما ، فقطعوهما بسيفهم إرباً إرباً ، بحيث لم يعرف لحم أحدهما من الآخر ، - كما يقول بعض المؤرخين - ودفنا معاً ، وبذلك انطوت أيام المتوكل الذي كان من أعدى الناس لأهل البيت عليهم السلام .

وخرج الأتراك ، وكان المنتصر بانتظارهم فسلموا عليه بالخلافة ، وأشاع المنتصر ان الفتح بن خاقان قد قتل أباه ، وانه أخذ ثأره فقتله ، ثم أخذ البيعة لنفسه من أبناء الأسرة العباسية وسائر قطعات الجيش .

وقد استقبل العلويون وشيعتهم النبأ بهلاك المتوكل بمزيد من الابتهاج والأفراح فقد هلك الطاغية الذي صير حياتهم الى مآسي لا تطاق .

(١) تاريخ ابن كثير ٣٤٩/١٠ روضة الأعيان (ص١٠٨) مصور .

رثاء البحري للمتوكل :

ورثاه الشاعر الكبير البحري شاعر البلاط العباسي بهذه الأبيات :

هكذا فلتكن منايا الكرام بين ماء ومزهر ومدام
بين كأسين أورثاه جميعاً كأس لذاته وكأس الحمام
لم يذل نفسه رسول المنايا بصنوف الأوجاع والأسقام^(١)

والأبيات حسب ما جاء في زهر الآداب ٢٢٧/١ .

هكذا فلتكن منايا الكرام بين ناي ومزهر ومدام
بين كأسين أورثاه جميعاً كأس لذاته وكأس الحمام
يقظ في السرور حتى أتاه - قدر الله - حتفه في المنام
والمنايا مراتب يتفاضلن وبالمرهفات موت الكرام
لم يزر نفسه رسول المنايا بصنوف الأوجاع والأسقام
هابه معلناً فذبّ إليه في ستور الدجى بحدّ الحسام

لقد رثاه بهذه الأبيات التي صورت مجونه وخلاعه ، فقد وافته المنية وهو بين كؤوس الخمر ، وآلات الموسيقى والطرب ، وان الأسقام والأوجاع لم تذلل بدنه ، فقد حصدت روحه السيوف ولم يتجرّع الآلام إلا قليلاً ، وكان الملوك قبل ذلك ترثيهم الشعراء لفقد الأمة لهم ورأفتهم ، وخسارتها لاصلاحهم الاجتماعي .

وعلى أي حال فقد زال ذلك الكابوس المظلم عن العلويين وشيعتهم ، وقد سرّ الامام الهادي أي سرور ، فقد استجاب الله دعاءه وأهلك ألدّ أعدائه وخصومه .

(١) روضة الأعيان (ص١٠٨) وقيل ان هذه الأبيات الى ابراهيم بن أحمد الأسدي كما في زهر الآداب

حكومة المنتصر :

وتسلّم المنتصر قيادة الحكم بعد قيامه بالانقلاب ضدّ حكومة أبيه ، وقد عمّ السرور جميع الأوساط الشعبية ، فقد زال عنهم جور المتوكّل واستبداده .

مع العلويين :

وسلك المنتصر سياسة رشيدة وعادلة مع العلويين وشيعتهم ، وكان من بين الألفاظ التي أسداها عليهم ما يلي :

أ - ردّ فدك الى العلويين .

ب - رفع الحجر عن أوقاف العلويين وارجاعها إليهم .

ج - عزل والي يثرب صالح بن علي الذي كان يسيء الى العلويين ، واستعمال علي بن الحسن عليها وقد أوصاه بالبرّ والاحسان إليهم^(١) .

مدح الشعراء له :

وقد مدحه الشعراء وأثنوا عليه كثيراً لما أسداه من الاحسان والمعروف للعلويين يقول يزيد بن محمد المهلبى :

ولقد بررت الطالبيّة بعدما
وردت الفة هاشم فرأيتهم
آنست ليلهم وجدت عليهم
لو يعلم الأسلاف كيف بررتهم
ذموا زماناً بعدها وزمانا
بعد العداوة بينهم اخوانا
حتى نسوا الأحقاد والأضغانا
لرؤوك أثقل من بها ميزانا^(٢)

ويقول البحترى :

وان علياً لأولى بكم
وأزكى يداً عندكم من عمر

(١) تاريخ ابن الأثير ٣١١/٥ .

(٢) مروج الذهب ٨٣/٤ .

وكل له فضله والحجون يوم التراهي دون الغرر^(١)
لقد وصل المنتصر الأرحام التي قطعها أبوه وأجداده ، فأحسن الى
العلويين وبرّ بهم ، بعدما كانوا يعانون الضيق والجهد والحرمان .

السماح بزيارة قبر أمير المؤمنين :

ومنع المتوكل رسمياً زيارة قبر الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، ولما
آل الحكم الى المنتصر سمح للناس بزيارة قبر الامام أمير المؤمنين عليه
السلام :

رفع الحجر عن زيارة الامام الحسين :

وسمح المنتصر للمسلمين بزيارة مرقد الامام العظيم سيّد شباب أهل
الجنة وريحانة رسول الله صلّى الله عليه وآله الامام الحسين عليه السلام بعد
أن منع المتوكل زيارته ، وفرض أقصى العقوبات على من يزوره .

وتذكر له هذه الألفاظ على امتداد التاريخ بالشكر الجزيل والثناء
العاطر ، فقد برهن على شرفه وسموّ ذاته ، وعدم السقوط فيما انزلق فيه أبوه
الى هوة سحيقة أوجبت له المذمة في دار الدنيا ، والعذاب الدائم في دار
الآخرة .

وفاته :

ولم تطل أيام هذا الرجل الشريف الذي أنعش قلوب العلويين ، فقد
وافته المنية وهو في بداية ملكه ، ويذهب أكثر المؤرّخين الى أنه لم يمّت
حتف أنفه ، وأنما مات مسبوماً ، فقد اغتاله الأتراك خوفاً من أن يفتك بهم ،
ويقضي على نفوذهم ، وتسلبهم على الشعوب الاسلامية .

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ورقة ١٥٥ / مصور، مروج الذهب ٤/ ٨٢.

وقد رشا الأتراك طبيبه ابن طيفور فأعطوه ثلاثين ألف دينار لاغتباله ، وكان المنتصر مريضاً فأشار عليه بفصده ، ففصده بريشة مسمومة ، فتوفي في الحال^(١) وكانت وفاته يوم السبت لأربع خَلُونَ من ربيع الآخر سنة (٢٤٨هـ) ودفن بالجوسق^(٢) وقد فقد الناس بموته خيراً كثيراً فهو الذي حطّم عرش أبيه القائم على الظلم والجبروت .

وعلى أي حال فان المصادر التي بأيدينا لم تذكر أي التقاء بين الامام الهادي عليه السلام وبين المنتصر ، ولم تشر الى أي بادرة جرت بينهما ، والشيء المؤكّد ان الامام كان مسروراً من الاجراءات التي اتخذها تجاه العلويين ، والتي أعادت إليهم الأمن والاستقرار بعد أن فقدوها في أيام المتوكّل .

حكومة المستعين :

وتقلّد زمام الحكم المستعين بعد وفاة المنتصر ، وذلك في يوم الأحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة (٢٤٨ هـ -) وقد كان آله بيد الأتراك ولم يكن له أي نفوذ سياسي في جهاز دولته ، وفي ذلك يقول الشاعر :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول : ما قال له كما يقول الببغا^(٣)

لقد عاد الخليفة كالبيغاء المسجون في قفص ، وهو يرّد ما يقول له من يخاطبه بغير وعي ولا إدراك فقد كان الأمر بيد وصيف وبغا وغيرهما من الأتراك ، ولم يعد له ولا لأفراد أسرته أي نفوذ أو سلطان . . . ونعرض - بإيجاز - لبعض شؤونه .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٥٧) وجاء فيه ان ابن طيفور مرض ففصد بها نفسه فتوفي في الحال .

(٢) الانباء في تاريخ الخلفاء مصوّر .

(٣) مروج الذهب ٩٠/٤ .

سرفه وبذخه :

كان المستعين مبذراً متلافاً ، قد فرق جميع ما ادخره الخلفاء في خزائهم من العين والورق ، والفرش والجواهر والأسلحة وآلات الحرب وغيرها ، وقد أنكر عليه بغا الكبير فقال له :

يا أمير المؤمنين هذه الخزائن مادة المسلمين ادخرها الخلفاء قبلك لملمّ يسبح أو عارض يعرض في الاسلام ، فلم يلتفت إليه وراح سادراً في اسرافه واتلافه لأموال الدولة ، .

المعرض المذهل :

إليكم هذه الصورة من المعرض الذي صنعه فقد وضع فيه الجواهر النفيسة ، والآلات الفاخرة ، كما وضع فيه تمثال مصنوع من الذهب لكل حيوان خلقه الله من الوحوش والطيور والناس ، وقد رصّعت بانجوار النفيسة ، وقد وضعت فيها الغالية ، كما أمر بصياغة الاصطبال والقماقم من الذهب ، وملأها بالمسك والعنبر ، وقد صنعت له قرى من الذهب ، أنفق على كل قرية منها خمسمائة ألف ، وقد وضع فيها تماثيل البقر والجاموس والاكراه والغنم والكلاب وأنواع الزرع ، والفواكه من البطيخ والسفرجل والريمان والاترج والنارنج كل ذلك مصنوع من الذهب المرصع بالجواهر .

وقد روى أحمد بن حمدون النديم قال : كنت عند المستعين يوماً ، وكان عنده علوي ينادمه يقال له : « اترجة » فقلنا له : يا أمير المؤمنين نشتهي أن نبصر « القلابة » - وهي المعرض - قال : قوموا اصعدوا إليها ، فصعدنا فرأينا امرأة هائلاً ، ما نظن أن الله عزّ وجلّ يخلق مثله إلا في الجنة ، فمددت يدي وأخذت غزالاً من عنبر قد عمل من جوهر وعليه سرج ولجام وركاب في غاية الحسن فوضعت في كمي ، ثم خرجنا فلما انتهينا إليه بادرنا قائلاً :

« كيف رأيتما القلابة ؟ » .

فقلت له : رأيت ما هالني ، والتفت إليه أترجة فقال : يا سيدي في كمه غزال عنبر قد سرقه من القلابة ، فقال له :

يا أترجة كأني أنفذتكم لترون القلابة ، وتنصرفون بالحسرة ، وإنما أنفذتكم لتأخذون ما تستحسنون ، وأنت يا أترجة ما أخذت شيئاً .

قال أترجة : لا ، قال لا : أخطأت خذ كل ما تريد ، ثم قال لي : قم وخذ كل ما تريد ، قال : فقمنا ، ودخلنا القلابة وملأنا أكمامنا ، وفتحنا أكيستنا وحشوناها بما قدرنا عليه من تلك الجواهر الثمينة ، والآلات النفيسة ثم قلت : يا أترجة متى تجد مثل هذا اليوم ؟ ومن أين يقع مثل هذا يطلق أيدينا فيما جمعه الخلفاء في الدهور الطويلة .

فقال لي : أي شيء أعمل ، ما بقي معي شيء آخر أحمل فيه ، فقلت له : اخلع سراويلك فخلع سراويله ، وخلعت سراويلي ، وعقدنا اطرافها وملأناها وأخذناها وخرجنا نمشي مشي الجبالي ، فلما رأنا ضحك ، وكان قد دخل عليه جماعة ونحن في القلابة ، فلما علموا بنا قالوا له : ما ذنبنا يا أمير المؤمنين حتى نمنع ؟ فقال لهم : وأنتم أيضاً قوموا ، وقال المطربون : ونحن يا مولانا ؟ فقال : وأنتم أيضاً قوموا ، فقاموا بين يديه كالمجانين ، فانتهبوا القلابة ، وهو غارق في الضحك .

قال أحمد بن حمدون : فلما رأيت الأمر على هذه الصورة خرجت الى باب القصر ، وسلّمت الذي كان معي الى غلماني وعدت مسرعاً فاجتزت على المستعين كالمجنون أقصد القلابة فصاح بي ويلك الى أين ؟ فقلت له : قد نسيت شيئاً ، وصعدت الى القلابة فمددت يدي الى سطل من ذهب كبير مملوء من المسك فأخذته وأنا أعالج الجهد الجهيد في حمله ، وأنا على تلك الحالة ، فقال لي : الى أين ؟ قلت : يا سيدي الى الحمام ، وخرجت

وأعطيته الى غلماني، فذهبوا بالجميع الى بيتي (١) .

هذه صورة من مهازل الحكم العباسي الذي استبدّ بأموال المسلمين ،
وأنفقها على الشهوات والرغبات .

خلع المستعين :

وتنكّر الأتراك للمستعين ، وخافوا منه ، وكان قد قصد بغداد فأرسلوا
إليه يطلبون منه الرجوع الى سامراء فأبى ومضى ميّماً وجهه نحو بغداد ،
فبادروا الى خلعه ، وأخرجوا المعتزّ من السجن ، وبايعوه خليفة ، وجّهزوا
جيشاً مكثفاً لاحتلال بغداد ، وقد تصادم الجيشان ، ومُني كل منهما بخسائر
فادحة في الأرواح ، واستمر الحرب بينهما ، ولكنهم أخيراً اتفقوا على أن
يقوم المستعين بخلع نفسه وتسليم الخلافة الى المعتزّ بشروط اتفقوا عليها ،
وسلمّ المستعين الخلافة الى المعتزّ الآ أنّه لم يفِ بالشروط التي عليه ،
وأودعه في سجن واسط ، فأقام به تسعة أشهر ، وأوجس الأتراك منه خيفة وهو
في السجن فأخرجوه منه ، وجيء به الى سامراء ، فندب المعتزّ حاجبه سعيد
الى قتله فقتله ، وكان له من العمر واحداً وثلاثين سنة (٢) وقد وصفه صاحب
الفخري بأنه كان مستضعفاً في رأيه وعقله وتدبيره ، وان أيام حكمه كانت
كثيرة الفتن ، ودولته شديدة الاضطراب (٣) .

أما حكومة المعتزّ فستحدّث عنها في البحوث الآتية لأن الامام عليه
السلام قد استشهد فيها ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن إقامة الامام في
سامراء ..

(١) الأنباء في تاريخ الخلفاء مصوّر .

(٢) تاريخ الخلفاء (ص ٣٥٨ - ٣٥٩) .

(٣) الفخري (ص ٢٢٢) .

عَصْرُ الْإِمَامِ

لعلّ من المفيد جدّاً أو من الضروري دراسة عصر الامام الهادي عليه السلام والقاء الأضواء على الناحية السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية وغيرها . فقد أصبحت دراسة العصر من البحوث المنهجية التي لا غنى عنها في الدراسات الحديثة فإنها تكشف جانباً مهماً عن المؤثرات الخارجية في سلوك الشخص ، والوقوف على اتجاهاته الفكرية ، وسائر ميوله النفسية التي تتكوّن وتنشأ من عصره وبيئته ، حسب مقررات علم النفس ، وفيما يلي ذلك :

الحياة السياسية :

أما الحياة السياسية في عصر الامام الهادي عليه السلام فقد كانت بشعة للغاية ، فقد عدم الأمن والاستقرار في جميع أنحاء العالم الاسلامي ، وانتشرت الفوضى في كل مكان لأن السلطة العباسية قد فقدت هيبتها ، ولم تعد لها تلك القوة الرهيبة التي كانت تتمتع بها أيام المنصور والرشيد والمأمون ، أما سبب ذلك فيستند الى ما يلي :

تسلّط الأتراك على الحكم :

وتسلّط الأتراك على زمام الحكم ، واستولوا على جميع أجهزة الدولة بحيث لم يعد للخليفة العباسي أي نفوذ أو سلطان ، وإنما كان الأمر بأيدي

الأتراك ، فهم الذين يولون من شاءوا ويعزلون من شاءوا من الخلفاء فضلاً عن الوزراء والعمال ، وقد صوّر بعض الشعراء حالة المستعين العباسي بقوله :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول : ما قالاً له كما يقول الببغا^(١)

لقد عاد الخليفة سجيناً كالبيغا لا يملك من أمره شيئاً تتلاعب الأتراك في سلطانه لا إرادة له ولا اختيار ، وانما كان خليفة بالاسم ، وقد صوّر ذلك المعتمد نفسه بقوله :

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه^(٢)

لقد تدهورت الخلافة ، وفقدت هيبتها وهيمتها ، ولم يعد للخليفة أي أهمية ومن طريف ما ينقل أنه لما ولي المعتز بالله استدعى بعض أصحابه جماعة من المنجمين فسألوه كم يبقى الخليفة على كرسي الحكم ؟ وكم المدّة التي يعيش فيها ؟ فانبرى بعض الظرفاء فقال : أنا أعرف ذلك ، فقالوا له : أخبرنا عن ذلك ، فقال : ان الأمر بيد الأتراك فهم الذين يقرّرون مدّة حكمه وحياته ، فلم يبق أحد الآ غلبه الضحك^(٣) .

ولمّا ولي المعتصم (اشناس) وجعل له الحق في أن يولي عليها ولاية من قبله وكان يدعى له على المنابر^(٤) وكان الدعاء قبل ذلك مختصاً بالخلفاء ، وفي أيام الواثق ولي (اشناس) على بغداد وأمدّ في سلطانه الى آخر أعمال المغرب ، واسند إليه شؤون هذه الأقاليم يولي عليها من شاء من دون

(١) مروج الذهب ٦١/٤ .

(٢) الديارات للشابشي (ص ١٠١) .

(٣) الفخري (ص ١٨١) .

(٤) النجوم الزاهرة ٢٢٩/٢ .

مراجعتة ، واستخلفه على جميع أمور الملك ، وألبسه وشاحين من جوهر^(١) .

جهل الأتراك :

ولم تكن للأتراك أية معرفة بشؤون الحكم والادارة ، ولا معرفة لهم بالأمور السياسية والاقتصادية ، وكانوا مشابهين للبدو في جميع أنحاء سلوكهم يقول عنهم الجاحظ :

« الترك أصحاب خيام ، وسكان فياف ، وأرباب مواش ، وهم أعراب العجم . . . فحين لم تشغلهم الصناعات والتجارات والطب والفلاحة والهندسة ، ولا غرس ، ولا بنيان ، ولا شقّ أنهار ، ولا جباية غلات ، ولم يكن همّهم غير الغزو والغارة ، والصيد ، وركوب الخيل ، ومقارعة الأبطال ، وطلب الغنائم وتدويخ البلدان ، وكانت همّتهم الى ذلك معروفة ، وكانت لهذه المعاني والأسباب مسخّرة ومقصورة عليها ، وموصولة بها ، احكموا ذلك الأمر بأسره ، واتوا على آخره ، وذلك شو صناعتهم وتجارتهم ولذتهم وفخرهم وحديثهم وسمرهم . . » .

لقد صارت أمور الدولة بأيدي هؤلاء الجفاة الذين لا عهد لهم بالحضارة والصناعة ، فتعرضت البلاد من جرّاء ذلك الى أزمات خطيرة ، ومشاكل رهيبة ومنيت بكثير من الخطوب والأحداث .

فساد الحكم :

وكان من النتائج المباشرة في استيلاء الأتراك على السلطة هو فساد الحكم ، وفقدان المسؤولية وكان من أبرز ألوان ذلك الفساد انتشار الرشوة ، واختلاس الموظفين لأموال الشعب فكان الوزراء والولاة والكتّاب يختلسون أموال الخرائج والضرائب ، وما كان يصير الى الدولة من البلدان المختلفة ،

(١) تاريخ اليعقوبي ٢٠٥/٣ .

وقد صادر الواثق في سنة (٢٢٩هـ) كتاب الدواوين وأخذ منهم ما يقرب من مليوني دينار^(١) وصادر المتوكل أموال ابن الزيات التي اختلسها ، كما صادر أموال كاتبه عمر بن الفرج الرخجي ويقال : إنه أخذ منه ما قيمته مائة وعشرون ألف دينار ومن أخيه مائة وخمسين ألفاً^(٢) كما أخذ من قاضي القضاة يحيى بن أكثم خمسة وسبعين ألف دينار^(٣) وعلق شوقي ضيف على ذلك بقوله : ومعنى ذلك أن الوزراء ومثلهم الكتاب والولاة كانوا يختلسون أموال الدولة والأمة ، ويختل إلى الانسان أنه لم يعد هناك موظف كبير في الدولة لا يقترف هذه الجريمة النكراء ، وكان الولاة يرشون الوزراء ليظلوا في ولايتهم ، وبلغت الرشوة أحياناً مائتي ألف دينار غير ما يرافقها من التحف والهدايا^(٤) وحتى رجال الحسبة كانوا يرتشون ، ويختلسون الأموال في أثناء مراقبتهم للتجار وحركة البيع والشراء في الأسواق على نحو ما يروى عن أحمد بن الطيب بن مروان الرخسي الفيلسوف اذ خان الأمانة في ولاية الحسبة ببغداد وكان من جملة ما أخذه مائة وخمسين ألف دينار^(٥) ولا نبالغ إذا قلنا أنه كان يتورط في هذا الاختلاس ، وما يطوى فيه من الرشوة أكثر موظفي الدولة^(٦) .

إن انتشار الرشوة على هذا النحو الهائل دليل واضح على فساد المسؤولين في جهاز الحكم العباسي ، وان أغلب الموظفين كانوا يختلسون أموال المسلمين بغير حق .

(١) تاريخ الطبري ١٢٥/٩ .

(٢) مروج الذهب ١٩/٤ .

(٣) الطبري ١٩٧/٩ .

(٤) الفخري (ص ١٧٨) .

(٥) مروج الذهب ١٧٠/٤ .

(٦) العصر العباسي الثاني (ص ١٢٠ - ١٢١) .

الولاية على الأقاليم الإسلامية :

أما الولاية على الأقطار الإسلامية فكانوا يشترطون وظائفهم ، ومناصبهم من الوزراء ، وقد باع الوزير الخاقاني ولاية الكوفة في يوم واحد على تسعة عشر والياً أخذ من كل واحد منهم رشوة ، وقد هجاه على ذلك بعض الشعراء المعاصرون له يقول :

وزير لا يمل من الرقاعة يولي ثم يعزل بعد ساعة
إذا أهل الرشاهادوا إليه فأحظى القوم أو فرهم بضاعة^(١)

وقد جهد أغلب الولاة والعمال على ظلم الناس ، واصطفاء أموالهم بغير حق ، وقد كثرت شكوى الناس من ظلمهم وجورهم ، ففي أيام الواثق عمل وزيره محمد بن عبد الملك قصيصة نسبها لبعض العسكر وأوصلها إليه ، وقد ذكر فيها سيلاً من المظالم والمآسي التي صبها ولاته على الأمة ، وهذه بعضها :

يا ابن الخلائف والأملاك إن نسبو
أجرت أم رقدت عيناك عن عجب
وليت أربعة أمر العباد معاً
هذا سليمان قد ملكت راحته
ملكته السند فالسحرتين من عدن
خلافة قد حواها وحده فمضت
حزت الخلافة عن آباءك الأول
فيه البرية من خوف ومن وهل^(٢)
وكلهم حاطب في جبل محتبل
مشارك الأرض من سهل ومن جبل
الى الجزيرة فالاطراف من ملل^(٣)
أحكامه في دماء القوم والنفل^(٤)

(١) الفخري (ص ١٩٨).

(٢) الوهل : الفزع .

(٣) الشحرتين : تشنية شجرة ، وهي صقع تقع على ساحل البحر الهندي من ناحية اليمن ، الملل :

اسم موضع يقع في طريق مكة بين الحرمين ، جاء ذلك في معجم البلدان .

(٤) النفل : الغنيمة .

وابن الخصيب الذي ملكت راحته
 فنيل مصر فبحر الشام قد جريا
 كأنهم في الذي قسمت بينهم
 حوى سليمان ما كان الأمين حوى
 وأحمد بن الخصيب في امارته
 أصبحت لا ناصح يأتيك مستتراً
 سيل بيت مالك أين المال تعرفه
 كم في حبوسك ممن لا ذنوب لهم
 سميت باسم الرشيد المرتضى فبه
 عث فيهم ما عاثت يدها معا

خلافة الشام والغازين والقفل^(١)
 بما أراد من الأموال والحلل
 بنو الرشيد زمان القسم للدول
 من الخلافة والتبليغ للأمل
 كالقاسم بن الرشيد الجامع السبل
 ولا علانية خوفاً من الحيل
 وسل خراجك عن أموالك الجمل
 أسرى التکذب في الاقياد والكبل
 قس الأمور التي تنجي من الزلل
 على البرامك بالتهديم للقفل^(٢)

وأعرب ابن الزيات في هذا الشعر عن مآسي الأمة ، وما حلّ بها من
 النكبات والخطوب في عهد هؤلاء الولاة الذين سلطهم الواثق على الأقاليم
 الإسلامية وفوّض إليهم جميع شؤون المسلمين ، وقد استبدّوا في أمور
 المسلمين كأسوأ ما يكون الاستبداد ، فأمعنوا في الظلم والجور ، فنهبوا بيت
 الأموال ، وزجوا الأبرياء في ظلمات السجون وزنانات التعذيب ، ويطلب
 الشاعر من الواثق أن يكون كجدّه هارون الرشيد في شدّة بأسه ، وصدق
 عزيمته ، فيفتك بهؤلاء الولاة كما فتك الرشيد بالبرامكة ، وأنزل بهم أقصى
 العقوبات وجعلهم أثراً بعد عين .

كراهة الحكم العباسي :

وكره المسلمون بجميع اتجاهاتهم وميولهم الحكم العباسي ، وتمنّوا
 زواله لحظة بعد أخرى ، وذلك لسوء سياستهم الملتوية التي لم تتفق في

(١) القفل : يقع في الطريق الى مكة .

(٢) الأغاني ٢٣ / ٥١٩ طبع دار الثقافة .

أغلب بنودها مع أحكام الشريعة الإسلامية ، والتي ذلّ فيها الأحرار ، وساد فيها الأشرار ، وقد أعلن ابن بسام الشاعر الجريء احساس الجماهير ، ورغباتهم الملحة في الخلاص من الحكم العباسي بقوله :

ألا يا دولة السفلى اطلت المكث فانثقلي
ويا ريب الزمان افق نقضت الشرط في الدول^(١)
وأعرب محمد بن داود الجراح عن كراهته وبغضه للحكم العباسي
بقوله :

قد ذهب الناس فلا ناس وجاء بعد الطمع اليأس
وصارت السفلة ساداتنا وصار تحت الذنب الرأس^(٢)
ان فساد الحكم العباسي قد جرّ للمسلمين الويلات والكوارث ،
وألقاهم في شرّ عظيم . . . وصوّر القاضي التنوخي علي بن محمد قاضي
البصرة بأبيات مثلّ فيها ظلم العباسيين وجورهم قال :

هو السلب المغصوب لا تملكونه وهل سالب للغصب إلا كغاصب
بنا نلتم ما نلتم من اماراة فلا تظلموا فالظلم مرّ العواقب
ولما ملكتم صرتم بعد ذلّة أسوداً علينا داميات المخالب
وكم مثلُ زيد قد أبادت سيوفكم بلا سبب غير الظنون الكواذب

ونعى التنوخي بهذه الأبيات على العباسيين ظلّمهم واضطهادهم
للرعية ، وذكرهم بما كانوا فيه من الذلّة والهوان في المجتمع الإسلامي قبل
أن يتقلّدوا السلطة والحكم الآ أنّهم لما استولوا على مقاليد الحكم عادوا
أسوداً جارحة على الرعية ينهشون بها ، وينهبون ثرواتها ، فقد بنيت سياستهم

(١) محاضرات الأدباء ١/١٧٦ .

(٢) الوافي بالوفيات ٣/٦٢ .

على قتل العظماء والمصلحين ، فكم قتلوا أمثال الشهيد العظيم زيد بن الامام علي بن الحسين الذي استشهد في سبيل العدالة الاجتماعية في أيام الأمويين فقد أبادوا كوكبة من العلويين أمثال يحيى بن عمرو بن الحسين وغيره ممن قاوموا الظلم والاستبداد .

وعلى أي حال فقد كره المسلمون الحكم العباسي ، ونقموا عليهم ظلمهم للرعية واستبدادهم بشؤونها .

اضطهاد العلويين :

وكان من أسوأ صور السياسة الخرقاء التي انتهجها العباسيون هو اضطهادهم للسادة العلويين دعاء الاصلاح والعدل الاجتماعي في الإسلام ، فقد امتحنوا كأشد ما يكون الامتحان ، وعانوا من الارهاق ما لم يعاناه أحد في دنيا الاسلام خصوصاً في أيام المتوكل ، فقد جهد في ظلمهم وأتتكيل بهم ، وصبّ عليهم وابلاً من المحن والخطوب ، وكان - فيما يقول المؤرخون - يجب لهم ظلمهم وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان^(١) ونعرض - بإيجاز لبعض ما جرى عليهم من الظلم والجور في ذلك العصر .

الحصار الاقتصادي :

وفرض المتوكل الحصار الاقتصادي على العلويين فقد منع رسمياً من البرّ بهم ، والاحسان إليهم ، وكان لا يبلغه أن أحداً برهم ، وان كان قليلاً الآ أنهكه عقوبة وأثقله غمماً^(٢) وقد امتنع الناس من صلتهم واکرامهم ، وإيصال أي حق من الحقوق الشرعية لهم خوفاً من سطوة الطاغية وعقابه .

وأضّرّ الحصار الاقتصادي بالسادة العلويين ، وأنهكهم الى حدّ لا

(١) مقاتل الطالبين (ص ٥٩٧) .

(٢) مقاتل الطالبين (ص ٥٩٩) .

يوصف حتى بلغ بهم الحال ان القميص يكون بين جماعة من العلويات تصلي فيه واحدة بعد واحدة ، وكُنَّ يرقعنه ، ويجلسن على مغازلهن عواري ، حواسر^(١) في حين أن الطاغية المتوكل كان ينفق على ليليه الحمراء الملايين من الدنانير ، وكان يهب - بلا حساب - آلاف الدنانير الى المغنيين واللاهين ، والمخشين ، ويمنع ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وعترته الطيبين من أن يصلهم أحد بشيء من حقوقهم ، قد أشاع فيهم الفقر والبؤس والحرمان .

وافتصد المتوكل يوماً فأهدى له الفتح بن خاقان جارية لم ير الراؤون مثلها حسناً وظرفاً فدخلت عليه ومعها جام ذهب في نهاية الحسن ودن بلور لم ير مثله فيه شراب ورقعة مكتوب فيها :

اذا خرج الامام من الدواء واعقب بالسلامة والشفاء
فليس له دواء غير شرب بهذا الجام من هذا الطلاء
وفض الخاتم المهدي إليه فهذا صالح بعد الدواء^(٢)

ان بنات النبي صلى الله عليه وآله في عهد هذا الطاغية - لم يجدن ما يلبسن في حين أن العباسيات ، ومن احتف بهن من المغنيات والراقصات يرفلن في الحرير والديباج . . لقد انطوت تلك الأيام السود ، وقد سجّل المتوكل في تاريخه صفحات سوداء بما اقترفه من الاثم في اضطهاده لعتره النبي صلى الله عليه وآله .

منح الأموال لانتقاص العلويين :

ومنح المتوكل الأموال الطائلة للشعراء المرتزقين الذين ينالون من آل البيت عليهم السلام ، وقد أغدق بالاحسان على الشاعر المرتزق مروان بن

(١) مقاتل الطالبين (ص ٥٩٩).

(٢) التحف والهدايا ص ٢٨ - ٢٩) الخالديان تحقيق سامي الدهان .

أبي الجنوب ، فقد أغرقه بالذهب والأموال ، وعقد له الولاية على اليمامة والبحرين ، وذلك لبغضه للعلويين وهجائه لهم ، ومما قاله فيهم :

ملك الخليفة جعفر لكم تراث محمد يرجو التراث بنو البنا والصهر ليس بوارث ما للذين تنحلوا أخذ الوراثة أهلها لو كان حقكم لها ليس التراث لغيركم أصبحت بين محبكم للدين والدنيا سلامه وبعد لكم تغفى الظلامه ت ومالهم فيها قلامه والبنت لا ترث الامامة ميراثكم الا الندامة فعلى م لومكم علامة قامت على الناس القيامة لا لا إله ولا كرامة والمبغضين لكم علامة^(١)

وقد ردّ العبقرى الملهم الشيخ اليعقوبى هذه الأباطيل بقوله :

لا سح في واديك يا قد بعث دينك بالذي فمدحت ملكاً ما به لو كنت تنصف مالغير قد غرّك الطمع الخسيس وهجوت اكرم عترة نزل الكتاب بمدحهم ليس التراث لفاجر ليس الخلافة للالى قد سل جدهم على الاسلام

بن أبي الجنوب حيا الغمامة حاولت من دنيا اليمامة (للدين والدنيا سلامه) الآل فيها من قلامه وغاية الطمع الندامة لم تعدهم أبداً كرامة فعلى م تجردهم علامه والجور لا ينفي الظلامه شغفوا بكاسات المدامة في بدر حسامه

(١) تاريخ الطبري ٢٣١/٩ . ط دار المعارف .

والامامة	النبوة	الصهر أولى في مواريث
شياً فلم يدرك مرامه	فثنى أبو بكر خصامه	قد رام منها عمه
تأخذه	ملامه	وأتى يخاصمه بها
في سغب طعامه	أم جهلت به مقامه	أولى بها من اطعم المسكين
فيه باللامارة والزعامة	وعليك لا تخفى العلامة	أنسيت يوم غدیر خم
فالى م بغيكم الى مه	لبسوا الخزاية للقيامة	قد خصّه الرحمن
ما بين نثلة أو حمامه ^(١)		في مبغضيه علامة
		حدثم بها عن أهلها
		وتقمصتها معشر
		أيضع حقّ محمد

ومن الجدير بالذكر ان ابن المعتزّ العباسي قد سلك مسلك مروان بن أبي الجنوب ، فادّعى ان الأسرة العباسية أقرب الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وأولى بمواريثه ومقامه من العلويين يقول في قصيدته :

تسكى القذاة وتنكابها	ألا من لعين وتسكابها
بصحة بر بانسابها	نهيت بين رحمي لوعوا
وقد نشبت بين أنيابها	وراموا قريشاً أسود الشرى
فكنّا أحق باسلاها	قتلنا أمية في دارها
منكم الخلافة صابا بأكوابها	وكم عصبه قد سقت
زبونا قرت بحلابها	إذا ما دنوا ثم يلقونكم
دعينا إليها فقمنا بها	ولما أبى الله أن تملكوا
لنا اذ وقفنا بأبوابها	وما رد صباحاً بها وافدا

(١) الذخائر (ص ٨١ - ٨٣).

دعونا بها وعملنا بها
فلم تجذبون بأهدابها
ولكن أرى العم أولى بها
وأبرأها بعد أوصابها
وقد أبدت الحرب عن نابها
عطية رب حبانها بها
ن انالها خير أربابها

وانبرى العبقرى الملهم شاعر العرب الأكبر صفي الدين الحلي المتوفى
سنة (٧٥٠هـ) فردّ أباطيل ابن المعتز بهذه القصيدة الرائعة قال :

وطاغي قريش وكذابها
وهاجي الكرام ومغتتابها
وتجدها فضل أحسابها
فرد العداة بأوصابها
كطهر النفوس وأربابها
وفرط العبادة من دأبها
فلم تجذبون باهدابها
فكيف حظيتم بأثوابها
ولم تعلم الشهد من صابها
وما كان يوماً بمرتأبها
كحرب الطغاة وأحزابها
وكشرت الحرب عن نابها
بارعابها وبأهدابها
من الحكمين لاشهابها
فلم يرتضوه لانجابها

كقطب الرحي وافقت أختها
ونحن ورثنا ثياب النبي
لكم رحم يا بني بنته
به نصر الله أهل الحجاز
ويوم حنين قد أعيتكم
فمهلاً بني عمنا أنها
وأقسم انكم تعلمو

الا قل لشرّ عباد الاله
وباغي العباد وباغي العناد
أأنت تفاخر آل النبي
بكم بأهل المصطفى أم بهم
أعنكم نفى الرجس أم عنهم
أم الرجس والخمر من دأبكم
وقلتم : ورثنا ثياب النبي
وعندك لا تورث الأنبياء
فكذبت نفسك في الحاليتين
أجدك يرضى بما قلته
وكان بصفين في حربهم
وقد شمر الموت عن ساقه
فأقبل يدعو الى حيدر
أو مل ان يرتضيه الأنام
ليعطي الخلافة أهلاً لها

وصلى مع الناس طول الحياة
فهلاً تقمصها جدكم
واذ جعل الأمر شورى لهم
أخامسهم كان أم سادساً
وقولك: أنتم بنو بنته
بنو البنت أيضاً بنوعمه
فدع في الخلافة فضل الخلاف
وما أنت والفحص عن شأنها
وما شاورتك سوى ساعة
وكيف يخصوصك يوماً بها
وقلت: بأنكم القاتلون
عديت وأسرفت فيما ادعيت
فكم حاولتها سراة لكم
ولولا سيوف أبي مسلم
وذلك عبد لهم لا لكم
وكنتم أسارى بطون الحبوس
فأخرجكم وحباكم بها
فجازيتموه بشر الجزاء
فدع ذكر قوم رضوا بالكفاف
هم الزاهدون هم العابدون
هم الصائمون هم القائمون
هم قطب مكة دين الإله
عليك بلهوك بالغانيات
ووصف العذارى وذات الخمار
وشعرك في مدح ترك الصلاة

وحيدر في صدر محرابها
إذا كان اذ ذاك أحرى بها
فهل كان من بعض أربابها
وقد جلّيت بين خطابها
ولكن بنو العم أولى بها
وذلك أدنى لأنسابها
فليست ذلواً لركابها
وما قمصوك بأثوابها
فما كنت أهلاً لأسبابها
ولم تتأدّب بآدابها
لأسد أمية في غابها
ولم تنه نفسك عن عابها
فردت على نكص اعقابها
لعزت على جهد طلابها
رعى فيكم قرب انسابها
وقد شفكم لثم اعقابها
وقمصكم فصل جلابها
لطفوى النفوس واعجابها
وجاؤوا الخلافة من بابها
هم العاملون بآدابها
هم الساجدون بمحرابها
ودور الرحاء باقطابها
وخل المعالي لأصحابها
ونعت العقار بألقابها
وسقي السقاة بأكوابها

فذلك شأنك لا شأنهم وجرى الجياد بأنسابها^(١)

إن قرب السادة العلويين من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس وحده هو السبب في استحقاقهم لمركز الخلافة والامامة ، حتى ظل يناقشهم في ذلك مروان بن أبي الجنوب وابن المعتز العباسي ، وانما السبب مؤهلاتهم الخاصة من العلم والتقوى والحريجة في الدين ، وسائر مواهبهم وعبقرياتهم التي لم يتوفر بعضها عند العباسيين واشباههم من الأمويين .

اعتقال العلويين :

ومن بين المحن الشاقة والعسيرة التي تعرض لها العلويون في أيام الطاغية المتوكل هو اعتقال اكثرهم ، وزجهم في ظلمات السجون لا لذنب اقترفوه وانما لمطالبتهم بحقوق الأمة ، وتبيينهم لأهدافها وآمالها ، وكان من بينهم ما يلي :

١ - محمد بن صالح :

ينتهي نسبه الشريف الى الامام الزكي الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان السيد محمد من مفاخر الأسرة النبوية فضلاً وادبا وشجاعة ، حبسه الطاغية المتوكل في سر من رأى^(١) وقد نظم وهو في السجن هذه الأبيات الرقيقة التي مثلت مدى آلامه وأحزانه يقول :

طرب الفؤاد وعادت أحزانه وتشعبت شعبا به اشجانه
وبدا له من بعدما اندمل الهوى برق تآلق موهنا لمعانه

(١) مقاتل الطالبين (ص ٦٠٠).

يبدو كحاشية الرداء ودونه
فدنا لينظر اين لاح فلم يطق
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه
ثم استعاذ من القبيح ورده
وبدا له ان الذي قد ناله
حتى استقر ضميره وكأنما
يا قلب لا يذهب بحلمك باخل
يعد القضاء وليس ينجز موعاً
خذل الشوى حسن القوام مخصر
واقنع بما قسم الإله فأمره
والبؤس فان لا يدوم كما مضى
صعب الذرا متمنع اركانه
نظراً إليه ورده سجانه
والماء ما سحت به اجفانه
نحو العزاء عن الصبا ايقانه
ما كان قدره له ديانه
هتك العلائق عامل وسنانه
بالنيل باذل تافه مناته
ويكون قبل قضائه ليانه
عذب لماه طيب أردانه
ما لا يزال عن الفتى اتيانه
عصر النعيم وزال عنك اوانه^(١)

وكما صورت هذه الأبيات اشجانه ومآسيه فانها صورة ايمانه العميق بالله
والتسليم لقضائه، والالتجاء إليه في جميع مهماته . . . ولهذا السيد الجليل
تراث رائع ذكره المترجمون له .

٢ - محمد بن محمد بن جعفر الحسيني

كان من دعاة الحسن بن زيد أخذه عبد الله بن طاهر احد عمال المتوكل
فحبسه بنيسابور فلم يزل في السجن حتى وافته المنية^(٢) هؤلاء بعض العلويين
الذين سجنهم المتوكل .

المتوارون :

وتوارى جماعة من العلويين فهاموا على وجوههم متكرين في
المدن والأرياف خوفا من السلطة العباسية ونذكر بعضهم :

(١) مقاتل الطالبين (ص ٦٠١ - ٦٠٢) .

(٢) مقاتل الطالبين (ص ٦١٥) .

١ - احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين كان فاضلاً عالماً ،
مقدماً في أهله ، معروفاً فضله مات متوارياً^(١) .

٢ - عبد الله بن موسى الحسن ، من عيون العلويين ، ومن مفاخر
الابطال ، توارى خوفاً من السلطة العباسية^(٢) وتوارى جماعة آخرون هرباً من
بني العباس ذكرهم أبو الفرج الاصبهاني وغيره .

ثورة الشهيد يحيى

وثار الشهيد الخالد يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد في وجه الظلم
والجبروت مطالباً بحقوق المظلومين والمضطهدين والمعذبين ، وداعياً الى
اقامة حكم الله في الأرض ، وكان يتحلى بجميع الصفات الكريمة والنزعات
الشريفة ، فكان فارساً شجاعاً بعيداً عن رهق الشباب ، وما يعاب به مثله^(٣)
وقد احبه الناس واخلصوا له لأنه استفتح أموره بالكف عن الدماء ، والتورع
عن أخذ شيء من اموال الناس ، وقد اظهر العدل والانصاف .

اما السبب في ثورته فهو لجفوة لحقته ، ومحنة نالته أيام المتوكل وغيره
من الأتراك^(٤) وقد تبعه اخلاط من أهل الكوفة فثار بهم أيام المستعين
العباسي ، وقد ندب الى قتاله محمد بن طاهر فزحف إليه في جيش مكثف ،
وبعد صراع رهيب سقط يحيى قتيلاً ، وقد انطوت بقتله صفحة من صفحات
الجهاد المشرف في الاسلام ، وجلس محمد بن طاهر مجلساً عاماً للتهنئة
بقتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل الأوغاد والأذئاب يبدون له
الافراح والمسرات ويهنتونه بالنصر والظفر بقتل ابن رسول الله صلى الله عليه

(١) مقاتل الطالبين (ص ٦١٩ - ٦٢٧) .

(٢) مقاتل الطالبين (ص ٦٢٨) .

(٣) مقاتل الطالبين (ص ٦٣٩) .

(٤) مروج الذهب ٩٣/٤ .

وآله ودخل عليه ابو هاشم الجعفري ، وقد ضاقت عليه الأرض من لوعة المصاب والحزن فقال له : « أيها الأمير إنك لتهناً بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياً لعزّي به . . . » .

ووجم ابن طاهر وساد صمت رهيب في المجلس ، وخرج ابو هاشم وهو يقول :

يا بني طاهر كلوه وبيا ان لحم النبي غير مري
إن وتراً يكون طالبه الد ه لوتر بالفوت غير حري^(١)

وسبقت الاسارى من اصحاب يحيى الى بغداد ، وقد لحقهم من العسف وسوء الحال ما لا يوصف لفضاعته ، ويقول المؤرخون . إنهم كما را يساقون حفاة سوقا عنيفا من تأخر ضربت عنقه ، حتى ورد كتاب المستعين بتخلية سيبلهم فاطلق سراحهم^(٢) .

وحزن الناس على يحيى ، وبكوه أمر البكاء ، ولم يرث احد بأكثر مما رثي ، فممن رثاه أحمد بن طاهر بقوله :

سلام على الاسلام فهو مودع اذا ما مضى آل النبي فودعوا
فقدنا العلا والمجد عند افتقادهم ووضحت عروش المكرمات تضعضع

وعرض في قصيدتهم الى هجاء بني طاهر قال :

بني طاهر واللؤم منكم سجية وللغدر منكم حاسر ومقنع
قواطعكم في الترك غير قواطع ولكنها في آل احمد تقطع
لكم كل يوم مشرب من دمائهم وغلتها من شربها ليس تنقع^(٣)

(١) مروج الذهب ٩٣/٤ .

(٢) مقاتل الطالبين (ص ٦٤٤) .

(٣) مروج الذهب ٩٤/٤ .

ورثاه الشاعر الكبير علي محمد العلوي الحماني بقوله :

يا بقايا السلف الصا لح والتجر الريح
نحن للأيام من بي ن قتيل وجريح
خاب وجد الأرض كم غي ب من وجه صبيح
آه من يومك ما أو داه للقلب القريح^(١)

ورثاه شاعر آخر من شعراء ذلك العصر بقوله :

بكت الخيل شجوها بعد يحيى وبكاه المهند المصقول
وبكاه العراق شرقا وغربا وبكاه الكتاب والتنزيل
والمصلى والبيت والركن والحج ر جميعا لهم عليه عويل
كيف لم تسقط السماء علينا يوم قالوا أخو الحسين قتيل^(٢)

ورثاه الشاعر الكبير علي بن العباس المعروف بابن الروسي بقصيدة

عصماء تعد من روائع الشعر العربي ، وقد استهلها بقوله :

أمامك فانظر أي نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم واعوج
ألا ايهذا الناس طال خريركم بآل رسول الله فاخشوا أو ارتجوا
أكل أوان للنبي محمد قتيل زكي بالدماء مخرج
تبعون فيه الدين شر أئمة فله دين الله قد كاد يمرج^(٣)

ويستمر ابن الرومي في رائعته - التي تعدّ من ذخائر الأدب العربي - في

التفجّع على قتل يحيى الذي فقدت فيه الأمة الرائد والزعيم والثائر ، كما
يعرض الى ذكر مساوىء بني العباس التي سوّدت وجه التاريخ الإسلامي .

(١) مروج الذهب ٦٤/٤ .

(٢) مروج الذهب ٩٥/٢ .

(٣) مقاتل الطالبين (ص ٦٤٦) .

وعلى أي حال فقد كان قتل يحيى من الأحداث الجسام في ذلك العصر ، فقد انتهكت في قتله حرمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ذُرِّيَّتِهِ الَّذِينَ جَعَلَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ مَوَدَّتَهُمْ وَالْوَلَاءَ لَهُمْ أَجْرًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى أَتْعَابِهِ فِي آدَاءِ رِسَالَتِهِ .

هدم قبر الحسين :

من المآسي الرهيبة التي مني بها المسلمون في ذلك العصر اقدم المتوكل الطاغية على هدم قبر الامام الحسين عليه السلام الذي هو رمز للكرامة الانسانية ، ورمز لجميع فضائل الدنيا ، ورمز لكل ما يعتز به الانسان من القيم العليا .

لقد كان المتوكل يتحرق غيظاً لما يسمعه من ازدحام الناس ونهافتهم على زيارة قبر ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة الامام الحسين عليه السلام، في حين ان قبور آبائه وقبور اخوانهم الامويين قد صارت في مزبلة من مزابل الأرض في امكنة قفراء موحشة مظلمة وهي مأوى للوحوش الضارية ، وهي بيؤسها تحكي ظلمهم وجورهم ، وبطشهم بالمسلمين .

اما السبب المباشر لاقدامه على هدم القبر الشريف هو ان بعض المغنيات كانت تبعث إليه بجواربها قبل أن يتقلد الخلافة ليغنين له اذا شرب الخمر ، فلما ولي الخلافة بعث إليها لتسعه بمغنية فأخبر انها غائبة ، وكانت قد مضت الى زيارة قبر الامام الحسين عليه السلام ، وانتهى إليها الخبر وهي في كربلا فاسرعت الرجوع الى بغداد وبعثت إليه باحدى جواربها التي كان يألفها ، فقال لها : اين كنتم ؟ قالت : ان مولاتي قد خرجت الى الحج ، واخرجتنا معها ، وكان ذلك في شهر شعبان ، فبهر المتوكل وقال :

« الى اين حججتم في شعبان ؟ » .

قالت :

« الى قبر الحسين . . » .

وفزع الطاغية وانتفخت اوداجه وورم انفه حينما سمع بالزيارة لقبر الحسين ، فاعتقل مولاة الجارية ، وصادر جميع أموالها^(١) وأوعز الى العمال بهدم القبر الشريف ، فامتنع العمال المسلمون من هدم قبر ريحانة نبينهم ، ولم يقدموا على ذلك ، وتخرجوا كاعظم ما يكون التحرج ، فاعوز الى اليهود وعلى رأسهم الديزج فاستجابوا له والى ذلك يشير ابن الرومي في رائعته :

ولم تقنعوا حتى استشارت قبورهم كلابكم منها بهيم وديزج^(٢)

وقام اليهود والارجاس بهدم القبر الشريف ، وكان ذلك في سنة (٢٣٧ هـ)^(٣) كما هدموا كل بناء حول القبر ، وكربوا ما حوله من نحو مائتي جريب ، واجري الماء حوله^(٤) الا انه دار حول القبر ، ولم يصل إليه ومن ثم سمي الحائر ، وقد خرجت من القبر الشريف رائحة من الطيب لم يشم الناس عطراً مثلها^(٥) انها الشرف وعطر الكرامة الانسانية يقول الجواهري :

شممت ثراك فهب النسيمُ نسيم الكرامة من بلقع^(٦)

وتشرف اعرابي من بني أسد بزيارة القبر الشريف بعد أن عفي أثره فجعل يأخذ قبضة من التراب ، ويشمها لترشده الى القبر الشريف ، وحينما انتهى إليه اخذ قبضة من الثرى الطاهر فشمها فاذا بها مليئة بالعطور فبكى

(١) الحدائق الناضرة مخطوط .

(٢) مقاتل الطالبين (ص ٦٥٨) .

(٣) اخبار الدول (ص ٣٥٩) .

(٤) مقاتل الطالبين (ص ٥٩٨) .

(٥) مقاتل الطالبين (ص ٥٩٨) .

(٦) ديوان الجواهري .

وخاطب الامام قائلاً :

« بأبي أنت وأمي ، ما أطيبك ، وأطيب قبرك ، وتربتك !! » .

ثم أنشأ :

أرادوا ليخفوا قبره عن وليه وطيب تراب القبر دل على القبر^(١)
لقد أراد المتوكل أن يمحو قبر سيّد الشهداء ويزيل أثره ، ولكن خاب
سعيه ، وخسرت يده فان قبر الحسين عليه السلام ظلّ شامخاً على الدهر ،
وهو أسمى مكان تقدّسه البشرية على اختلاف اتجاهاتها وعقائدها ، وتأوي
إليه الملايين من الناس يقول الجواهري في رائعته :

تعاليت من مفرع للحتوف وبورك قبرك من مفرع
تلوذ الدهور فمن سجد على جانبيه ومن ركع
يقول العقاد : « فهي اليوم مزار يطيف به المسلمون متفقيين ومختلفين ،
ومن حقه أن يطيف به كل إنسان ، انه عنوان قائم لأقدس ما يشرق به هذا
الحيّ الآدمي من بين سائر الأحياء .

فما أظلت قبة السماء مكاناً لشهيد قطّ هو أشرف من تلك القباب بما
حوته من معنى الشهادة وذكرى الشهداء . . . »^(٢) .

منع المسلمين من زيارة الحسين :

ومنع المتوكل رسمياً المسلمين من زيارة ریحانة رسول الله صلّى الله
عليه وآله وسيّد شباب أهل الجنّة الغريب المظلوم ، وقد أقام المسالِح
والمراصد ، وبثّ العيون لملاحقة الزائرين ومطاردتهم ، وإنزال أقسى العقوبة

(١) شرح شافية أبي فراس ٢/ ورقة ١٤٤ .

(٢) أبو الشهداء . للعقاد .

لهم التي منها القتل والصلب وقطع الأيدي وغير ذلك من صنوف التنكيل ، وبالرغم من هذه الاجراءات القاسية فان المسلمين لم يمتنعوا من زيارة سبط نبيهم ، فقد ازدحموا على القبر الشريف ، ولما علم بذلك انفذ إليهم أحد قواده ، وضم إليه جيشاً مكثفاً ليمنعهم من زيارته ، فثار أهل السواد في وجهه وقالوا له : لو قتلنا عن آخرنا لما امتنعنا عن زيارته ، فكتب بذلك الى المتوكل فأمره بالكف عنهم .

وفي سنة (٢٤٧ هـ) بلغ المتوكل ان المسلمين قد أقبلوا بكثرة هائلة الى زيارة المرقد العظيم ، فانفذ إليهم جيشاً كثيراً ، وأمر مناديه فنادى « ان برئكة الذمة ممن زار قبر الحسين »^(١) واتخذ جميع الاجراءات المشددة من القتل والسجن وفرض الضرائب المالية عليهم الا أنه لم يفلح بذلك ، فقد بذل المسمون ارواحهم وأموالهم بسخاء لزيارة الحسين عليه السلام .

تذمر المسلمين :

وتذمر المسلمون كأشد ما يكون التذمر من المتوكل ، وسبوه في الأندية والمجالس وكتبوا سبه على المساجد والجدران ، في شوارع بغداد وغيرها ، وقد شاعت في جميع الأوساط هذه الأبيات وحفظها الناس وهي لشاعر أخفى اسمه خوفاً من السلطة قيل : إنها لابن السكيت وقيل أنها للبسامي^(٢) وقيل لغيرهما وهي :

تالله ان كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتى بنو أبيه بمثله هذا لعمر ك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتبعوه رميما^(٣)

(١) شرح شافية أبي فراس ورقة ١٤٤ .

(٢) فوات الوفيات ٢٠٣/١ .

(٣) اخبار الدول (ص ١٥٩) تاريخ الخلفاء (ص ٣٤٧) .

لقد زاد العباسيون على ما فعله اخوانهم الامويون في ظلم العلويين والتنكيل بهم ، ومن الحق ان الأميين على ما فيهم من شدّة وقسوة فانهم أشرف بكثير وأنبل من أكثر ملوك بني العباس فقد كانت لبعضهم من الفواضل ما ليست لمؤسس دولتهم المنصور الدوانيقي ، كما يقول الامام الصادق عليه السلام ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الحياة السياسية في عصر الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام .

الحياة الاقتصادية :

أما الحياة الاقتصادية في عصر الامام الهادي عليه السلام فقد كانت مضطربة للغاية ، فلم يكن هناك نظام اقتصادي علمي تسيير عليه الدولة ، وأنما كانت البلاد ترزح تحت فوضى اقتصادية غير خاضعة للنظام الاقتصادي الاسلامي وغيره ، قد تسلط الخلفاء والأتراك والوزراء والعمال على سلب اقتصاد الأمة ، ونهب ثرواتها ، واحتكار الأموال الطائلة في خزائنهم الخاصة ، في حين كان البؤس والفقر سائدين في جميع أنحاء البلاد ، وكانت الأكثرية الساحقة من أبناء الشعوب الاسلامية تئنّ تحت وطأة الفقر لم تتمكّن من الحصول على ضروريات الحياة فضلاً عن كمالياتها ، ونعرض - بإيجاز - الى بذخ المتوكّل وغيره من الملوك الذين عاصرهم الامام وتبذيرهم بأموال المسلمين ، والى الحياة الاقتصادية العامة في البلاد ، وفيما يلي ذلك :

نفقات المتوكّل :

وكان المتوكّل ينفق أموال المسلمين بلا حساب على شهواته ورغباته ، فكان بيت المال ملكاً له يتصرّف فيه حيثما شاء ، وقد قال المسعودي : إن النفقات لم تبلغ في وقت من الأوقات ما بلغته أيام المتوكّل^(١) وقد حظي بها ما يلي :

(١) مروج الذهب ٤/١٥٩ .

أ - المغنين .

ب - جواري القصر التي كانت تعدّ بأربعة آلاف .

ج - اللاهين والمضحكين .

د - الشعراء الذين ينتقصون أهل البيت عليهم السلام وكان يبذل لهم الهبات الطائلة والأموال الكثيرة .

هؤلاء بعض الذين كان ينفق عليهم المتوكّل من أموال الدولة التي يجب أن تنفق على صالح المسلمين وتطوير حياتهم .

دعوة بركوار :

وهذه الدعوة من أهمّ الدعوات التي أقيمت في العالم العربي والاسلامي ، وقد أقامها المتوكّل حينما ختن بعض أولاده ، وقد أنفق فيها من الأموال ما لا يحصى ، فقد نقل العمراني صورة عن تلك الدعوة قال : ونصب السماط على حافة دجلة ، وتناول الناس الطعام على اختلاف طبقاتهم ، ثم قدّمت لهم أقذاح الشراب فشرّبوا ، وأمر المتوكّل أن تنتقل الدراهم والدنانير المختلطة في الغرائر^(١) ونصب قباباً بين أيدي الناس ، وأمر منادياً فنادى كل من شرب قدحاً فليأخذ ثلاث حفنات ، فأخذ كل واحد ثلاث حفنات ، واستمر الوضع الى آخر النهار ، كما أمر المتوكّل أن تصبّ الدنانير والدراهم المختلطة في وسط المجلس ، فصبّت وقد بلغت من الكثرة ان حالت من رؤية بعضهم بعضاً ، ونادى مناديه ان أمير المؤمنين أباح لكم نهب هذه الأموال ، فوقع الناس عليها ، وأخذوها . . . ولما جاء الليل اشتعلت الشموع من العنبر ، وكان بعضها كالنخلة ، ونصبت بعضها على ساحل دجلة فكان

(١) الغرائر: هي الجوائز وهو العدل من الصوف أو الشعر.

الانسان في الجانب الآخر من ساحل دجلة يقرأ الكتب على ضوء تلك الشموع .

والتفت المتوكل الى شيخ معمر فقال له :

« أين دعوة بركوارا ، من دعوة فم الصلح ؟ . . » .

أما دعوة (فم الصلح) فهي الاحتفال بزواج المأمون بالسيدة بوران ، وقد انفق فيه من الأموال ما لم يشاهد مثله في جميع مراحل التاريخ الإنساني ، وقد نقل الشيخ في حديثه جانباً منه قال :

« لا يمكنني ذكر التفصيل ، ولكن أذكر جملة استدّل بها على ما أقوله : شاهدت في عرس بوران بفم الصلح على باب القرية كالجبل العظيم من القوانس والكبود للدجاج والبطّ والوزّ والحملان والصيد وانواع الطير بحيث جاف العسكر واحتاج الحسن بن سهل الى أن احضر جمال العرب فنقلت بعضها ، ورمي البعض منها في دجلة فلم يمكن الشرب منه أياماً لتتن رائحته . . . وشاهدت - يا أمير المؤمنين - خدمك وغللمانك في دعوة بركوارا يتخاصمون على القوانس والكبود !!! » .

فبهر المتوكل وراح يقول :

« الله أكبر ما تركوا لنا ما نذكر به . . »^(١) .

الاحتفال بالبيعة لأولاده :

وأنفق المتوكل من الأموال الطائلة في الاحتفال الذي أقامه بمناسبة البيعة لأولاده : وهم محمد ، ولقبه المنتصر ، والزيير ولقبه المعتزّ ، وابراهيم ولقبه المؤيد ، وقد صادفت البيعة في يوم الاثنين غرّة المحرم سنة (٢٣٦هـ)

(١) الأنباء في تاريخ الخلفاء مصوّر.

وقد دعا الناس دعوة عامة ، وأنفق من الأموال ما يبهر العقول ، فقد نصب سماطاً طوله أربعة فراسخ في البستان الذي غرسه بسامراء الذي بنى فيه قصره المعروف بالجعفري ، وكان طوله سبع فراسخ ، وعرضه فرسخ واحد ، وقد امتلأ هذا القصر على سعته بالناس ، وقد وضعت تماثيل العنبر ، والكافور ونوافج المسك ، بين أيدي الناس في جملة الرياحين والمشمومات ، وكانت تنقل من الخزائن بالزبل^(١) . والغرائر ، ولكل من شرب قدحاً تناول منها فشماً ، وأدخلها في كفه أو سلمها الى غلامه ، وكلما نفذت أعيد بدلها ، هكذا من طلوع الشمس الى غروبها ، وكان المتوكل جالساً على سرير من ذهب مرصع بالجواهر فيه ألف من ، وولاية العهود وقوف بين يديه ، وعليهم التيجان المرصعة ، والناس على طبقاتهم بين جالس وقائم ، وقد طلعت الشمس على أواني الذهب التي كانت منتشرة في المجلس ، ومناطق الذهب والسيوف والترس المحلاة بالذهب ، وهي مما تخطف الأبصار ، وقد انبرى إبراهيم بن العباس الصولي أمير الأهواز فأنشد بين السماطين :

أضحت عرى الاسلام وهي منوطة بالنصر والاعزاز و . .
لخليفة من هاشم وثلاثة كنفوا الخلافة من ولاة عهود
كنفتهم الآباء واكتنفت بهم فسعوا بأكرم أنفس وجدود^(٢)
انّ هذه الأموال الهائلة التي انفتت في هذه الاحتفالات انما هي
للمسلمين ، ويجب - في نظر الاسلام - أن تصرف على مصالحهم وتنمية
قدراتهم ، وزيادة دخل الفرد منهم ولكن لم يتحقق ذلك في ظلّ تلك الأنظمة
الهزيلة .

(١) الزبل : جمع مفردة زبيل ، وهو القفة ، والوعاء .

(٢) الانباء في تاريخ الخلفاء .

الجواري :

واكتضت قصور ملوك بني العباس بالجواري اللاتي جلبن من مختلف أنحاء البلاد ، فكان للمتوكل العباسي أربعة آلاف جارية ، وقد قاربهن جميعاً^(١) وكانت له جارية يهواها ، ولا يصبر على فراقها فوقفت أمامه ، وقد كتبت على خدّها بالغالية « جعفر » فتأملها ثم أنشأ يقول :

وكاتبه بالمسك في الخدّ جعفرأً بنفسي خط المسك من حيث أثر
لئن أودعت سطرأً من المسك خدّها لقد أودعت قلبي من الحبّ أسطرأً^(٢)

ومن الطبيعي ان هذه الجواري كان ينفق عليها الملايين من الدنانير التي هي من بيت مال المسلمين ، وبذلك كان الاقتصاد العام مصاباً بالشلل نتيجة هذه التصرفات الشاذة .

القصور :

وبنى المتوكل العباسي وغيره من ملوك العباسيين القصور الفخمة التي لم يوجد مثلها في البلاد ، وقد بنى المتوكل قصرأً في سفينة قال البحري في وصفه :

غنينا على قصر يسير بفتية تعود على ارجائه وقيام
تظل البزاة البيض تخطف حولنا جآجىء طير في السماء سوام
تحدر بالدراج من كل شاهق تخضبه أظفارهنّ دوام
فلم أر كالقاً طول يحمل ماؤه تدفق بحر بالسماحة طام
ولا جبلاً كالز ويوقف تارة وينقاد اما قدته بزمأم^(٣)

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ورقة ١٥٣ - تاريخ الخلفاء ص ٣٤٩ أخبار الدول ص ١١٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٨ / ورقة ١٥٣ .

(٣) ديوان البحري ٢٠٢ / ٣ .

وقد أنفق المتوكل على قصوره الملايين من الدنانير ، يقول الشاشتي :
أنه كلفته مائتي ألف وأربعة وسبعين ألف ألف درهم ، ومن العين مائة ألف
دينار تكون قيمة الورق بعرف الوقت مع ما فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف
دينار وخمسمائة ألف ألف وخمسة وعشرون ألف دينار^(١) .

وقال النويري : انفق المتوكل في بناء قصوره مائة ألف دينار ،
وخمسين ألف ، ألف عيناً ، ومائتي ألف ألف وثمانية وخمسين ألف ألف
وخمسمائة ألف درهم^(٢) . . . ونشير الى بعض قصوره التي انفق عليها من
بيت مال المسلمين وهي :

١ - الجعفري :

أما الجعفري فهو من أهم قصور المتوكل ، وقد أنفق على بنائه ألفي
ألف دينار^(٣) وبعدها تم بناؤه استدعى أرباب الملاهي فقدموا له بعض
الملاهي المضحكة فأعطاهم مليوني درهم^(٤) ووصف البحري هذا القصر
بقوله :

قد تم حسن الجعفري ولم يكن
ملك تبوأ خير دار انشئت
في رأس مشرفة حصاها لؤلؤ
مخضرة والغيث ليس بساكب
ظهرت لمخترق الشمال وجاورت
ليتم الأ بال خليفة جعفر
في خير مبدى للأنام ومحضر
وترابها مسك يشاب بعنبر
ومضيئة والليل ليس بمقمر
ظلل الغمام الصائب المستغزر

وأضاف بعد هذا الوصف الرائع للقصر وترايه وحدائقه قائلاً :

(١) الديارات (ص ١٠٢) .

(٢) نهاية الأرب ١/٤٠٦ .

(٣) معجم البلدان ٢/١٤٣ .

(٤) تاريخ الطبري ٩/٢١٢ .

اعلام رضوى أو شواهد صبر
بنيان كسرى في الزمان وقصر
ينظرن منه الى بياض المشتري
ربّ الأخشاب والصفاء والمشعر
شرفاته قطع السحاب الممطر
من لجة غمر وروض اخضر^(١)

فرفعت بنياناً كأن مناره
ازرى على همم الملوك وغض من
عال على لحظ العيون كأنما
بانيه باني المكرمات وربّه
ملأت جوانبه الفضاء وعانقت
وتسير دجلة تحته ففناؤه

وحكى هذا الشعر ضخامة بناء (الجعفري) وروعة هندسته وتصميمه ،
فقد كان في علوه وارتفاعه يضارع اعلام رضوى ، وكان في سعته قد ملأ
الفضاء ، وعانقت في شرفاته قطع السحاب . . . ووصف البحري روعة
(الجعفري) وجميل بنائه بقوله :

بين قصر الصبيح والجعفري
نس ، والمنظر الجميل البهي
وتحيا بنورهن الجني^(٢)

أصبحت بهجة النعيم وأمست
في البناء العجيب والمنزل الآ
ورياض تصبو النفوس إليها

لقد هام البحري إعجاباً بالجعفري ، وذكره في روائع شعره ، ومما قاله
فيه :

سن بفضل ما اعطيته القصور
ماء فساحت في ضفتيه البحور
لك فينا النعمى ودام السرور^(٣)

وارى قصرك استبد مع الحد
رق فيه الهواء ، واطرد ال
طالعك السعود فيه وتمت

وانتقل المتوكل الى الجعفري كما انتقل معه عامة أهل سامراء حتى

(١) ديوان البحري ٤٠/١ - ٤١ .

(٢) ديوان البحري ٦٨/٢ .

(٣) ديوان البحري .

كادت تخلو من السكان^(١) وفي ذلك يقول أبو علي البصير :

أصبحت قفاراً سرّ من رأى ما بها
تبكي بظاهر وحشة وكأنها
كانت مطلم كل أرض مرة
رحل الامام فأصبحت وكأنها
وكانت تلك الشوارع بعض ما
كانت معاداً للعيون فأصبحت
وكان مسجدُها المشيد بناؤه
وإذا مررت بسوقها لم تشن عن
وترى الذراري والنساء كأنهم

الا لمنقطع به مثلوم
إن لم تكن تبكي بعين تسحم
منهم فصارت بعدهنّ تظلم
عرصات مكّة حين يمضي الموسم
أجلت أياد في البلاد وجوهم
عظة ومعتبراً لمن يتوسم
ربع أحال ومنزل مترسم
سنن الطريق ولم تجد من يزحم
خلق أقام وغاب عنه القيم^(٢)

وقد اخنى الزمان على (الجعفري) فصيره من الخرائب والأنقاض التي
نبذتها حتى الوحوش ، وهو يحكي ظلم المتوكل وجوره ، يقول الجواهري :

والجعفري ولم يقصر رسمه
بادي الشحوب تكاد تقرأ لوعه
وكانما هو لم يجد عن جعفر
فضت مجالسه به وخلون من

الباقى برغم الدهر عن تمثيله
لنعيمه المسلوب فوق طوله
بدلاً يسر به ولا عن جيله
شعر الوليد بها ومن ترتيله^(٣)

البرج :

ومن محاسن قصور المتوكل (البرج) وقد انفق على بنائه ألف ألف
وسبعمائة ألف دينار^(٤) ووصفه الشاشي بقوله : كان البرج من أحسن أبنيته -

(١) معجم البلدان ١٤٣/٢ .

(٢) اشعار أبي علي البصير (ص ١٦٧ - ١٦٨) تحقيق يونس السامرائي .

(٣) ديوان الجواهري .

(٤) تاريخ البعقوبي ٢٢٢/٣ الديارات (ص ١٠٣) .

أي أبنية المتوكل - فجعل فيه صوراً عظماً من الذهب والفضة ، وبركة عظيمة جعل فراشها ظاهرها وباطنها صفائح الذهب والفضة ، وجعل عليها شجرة ذهب فيها كل طائر يصوت ويصفر ، مكلمة بالجوهر ، وسماه طوبى - تشبيهاً له بجنة الخلد - وعمل له سرير من الذهب ، كبير عليه سبعين عظيمين ، ودرج عليها صور السباع والنسور ، وغير ذلك على ما يوصف به سرير سليمان بن داود عليه السلام ، وجعل حيطان القصر من داخل وخارج ملبسةً بالفسيفساء والرخام المذهب^(١) .

ووصفه الشاعر السري بقوله :

طائر في الهواء فالبريسري دون أعلاه والحمام يطير
فاذا الغيم سار أسبل منه جلاً دون جدره وستور
وإذا غارت الكواكب صباحاً فهو الكوكب الذي لا يغور^(٢)

ومعنى هذا الشعر ان (البرج) كناطحات السحاب في علوه وارتفاعه وانه يفوق الكواكب في ضيائه واشراقه ، فالكواكب تغور عند اندلاع الصبح وهو لا يغيب .

المليح :

وهو من بدايع قصور المتوكل ، وقد انفق عليه خمسة آلاف ألف درهم^(٣) وإليه يشير البحري بقوله :

واستم الصبيح في خير وقت فهو مغنى أنس ودار ومقام
ناظر وجهه المليح قلوب يس يطع معلناً بالسلام

(١) الديارات (ص ١٠٣) .

(٢) نهاية الإرب ٤٠٦/١ .

(٣) معجم البلدان ١٧٥/٣ .

البسا بهجة وقابل ذا ذاك فمن ضاحك ومن بسام^(١)

الشبنداز :

وهو من قصوره البديعة ، وقد انفق على بنائه عشرة آلاف ألف درهم^(٢)
وإليه أشار البحري بقوله :

ان خير القصور أصبح مزهواً يكره العدى لخير الانام
جاور الجعفري وانحار شبكا ا ذ كالراغب المعتم^(٣)
المختار :

ومن قصوره الرائعة المختار ، انفق على بنائه خمسة آلاف الف
درهم^(٤) وكانت فيه صور عجيبة من جملتها صورة بيعة فيها رهبان^(٥) وهذا
يدل على تأثره بالروح المسيحية ، وقد شرب في هذا القصر الواثق ، وكتب
على جدرانه هذه الأبيات :

ما رأينا كبهجة المختار لا ولا مثل صورة الشهر
مجلس حف بالسرور وبالنر جس والآس والغنا والزمار
ليس فيه عيب سوى أن ما فيه سيفنى بنازل الأقدار^(٦)
الغرو :

ومن قصوره الجميلة (الغرو) انفق على بنائه الف الف درهم^(٧) وقد

(١) ديوان البحري ٣٩٧/٢ .

(٢) معجم البلدان ٣١٩/٣ .

(٣) ديوان البحري ٣٩٨/٢ .

(٤) معجم البلدان .

(٥) معجم البلدان ٧٠/٥ .

(٦) معجم البلدان ٧١/٥ .

(٧) معجم البلدان ١٩٢/٤ .

وصفه البحترى بقوله :

احسن بدجلة منظراً ومخيماً
خضل الفناء متى وطئت ترابه
حشدت له الأمواج فضل دوافع
تبيض نقبته ويسطع نوره
كالكوكب الدرّي اخلص ضوءه
رفدت جوانبه القباب ميامنا
فتخاله وتخالهن ازاءه
وعلى اعاليه رقيب ما يفنى
من حيث دارت دار يطلب وجهها

والغرو في اكتاب دجلة منزلاً
قلت : الغمام انهل منه فاسبلاً
اعجلن دولابيه أن يتمهلا
حتى تكل العين فيه وتنكلا
حللك الدجى حتى تألق وانجلى
ومياسراً وسفلى عنه واعتلى
ملكاً تدين له الملوك ممثلاً
كلفا بتصريف الرياح موكلاً
فعلى المقاتل جال ثم استقبلاً^(١)

بركوار :

من اجمل قصور المتوكل وابدعها « بركوارا » انفق على بنائه عشرين
الف درهم^(٢) وفيه اقام المتوكل دعوته التي يضرب بها المثل في
الاسراف ، وذلك بمناسبة ختان ولده المعتز ، وقد تحدثنا عنها في البحوث
السابقة .

الخير :

ومن قصور المتوكل البديعة ، والجميلة « الحير » فقد انفق على بنائه
اربعة الآف درهم^(٣) وقد وقف عليه الخليفة الراضي بعد خرابه فقال :
والحير والقصر والقاطول جنتها والجعفري بكف الدهر مزوموم

(١) كيوان البحترى ١/١٦٣ .

(٢) معجم البلدان ٣/١٧٥ .

(٣) معجم البلدان ٢/٣٢٨ .

منازل آنت دهرأ فأوحشها ظلم الزمان فمثلوم ومهدوم^(١)
لقد اصاب (الحير) ظلم أهله فاخر به ، وتركه ركاما ، ولم يصبه ظلم
الزمان وجوره فانه لا يوصف بذلك .

هذه بعض قصور المتوكل العباسي التي شيدها من اموال المسلمين ،
وبناها من قوتهم في وقت كان الكثيرون منهم يرزحون تحت وطأة الفقر
والحرمان .

برك الماء :

وما دمننا في البحث عن قصور المتوكل ، فمن المستحسن أن نشير الى
برك الماء التي الحقها في قصوره ، فقد تفنن هو وسائر ملوك العباسيين في
تزيينها فقد زينت بالصور والتماثيل الجميلة ، وجعلوا فراش بعضهم مكللة
بالجوهر كما غشوا ظاهرها وباطنها بصفائح الفضة^(٢) وقد وصف البحثري
بعضها بقوله :

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها	والآنسات اذا لاحت مغانيها
بحسبها أنها من فضل ربتها	تُعد واحدة والبحر ثانيها
ما بال دجلة كالغيري تنافسها	في الحسن طوراً واطواراً تباهيها
أما رأت كاليء الاسلام يكلؤها	من ان تعاب وباني المجد بينها
كأن جن سليمان الذين ولوا	ابداعها فأدقوا في معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض	قالت : هي الصرح تمثيلاً وتشبيها
تصب فيها وفود الماء معجلة	كالخيل خارجة من جبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة	من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا	مثل الجواشن مصقولا حواشيها

(١) الأوراق للصولي ١٨٢/٢ .

(٢) نهاية الارب ٤٠٦/١ .

وريق الغيث احيانا يياكيها
ليلاً حسبت سماءً ركبت فيها
لبعد ما بين قاصيها ودانيها
كالطير تنقض في جو خوافيها
اذا انحططن وبهو في اعاليها
منه انزواء بعينيه يوازيها
عن السحائب منحلاً عزاليها
يد الخليفة لما سال واديها
ان اسمه يوم يدعى من اسامها
ريش الطواويس تحكيه وتحكيها
احدهما بازا الأخرى تسامها^(١)

فحاجب الشمس احيانا يضاحكها
اذا النجوم تراءت في جوانبها
لا يبلغ السمك المحصور غايتها
يعمن فيها بأوساط مجنحة
لهن صحن رحيب في اسافلها
صور الى صورة الدلفين يؤنسها
تغني بساينها برؤيتها
كأنها حين لجّت في تدفقها
وزادها رتبة من بعد ربتها
محفوفة برياض لا تزال ترى
وودكتين كمثل الشعيرين غدت

والمت هذه القصيدة بوصف رائع ودقيق لمحاسن هذه البركة التي أنشئت
على اروع تصميم هندسي في ذلك العصر .

ووصف علي بن الجهم بركة في القصر الهاروني ، وهو من قصور
الواثق العباسي قال :

فبارك الله في عواقبها
وحارت الناس في عجائبها
في مشرق الأرض أو مغاربها
بها عروس تجلى لخاطبها
ت الحسن حيرانا في جوانبها
والجزر والمد في مشاربها
قدر الله فيها عيال لعائبها

أنشأتها بركة مباركة
حفت بما تشتهي النفوس لها
لم يخلق الله مثلها وطنا
كأنها والرياض محدقة
من أي اقطارها أتيت رأي
للموج فيها تلاطم عجب
قدرها الله للامام وما

(١) ديوان البحرني ١/ ٣٥ - ٣٦ .

أهدت إليها الدنيا محاسنها واكمل الله حسن صاحبها^(١)

وكانت تلك البرك مسرحاً للهو ملوك العباسيين وانسهم وعبثهم وسخرتهم بالناس ، فقد أمر المتوكل بالقاء عبادة المخنث في احدى تلك البرك ، وكان الوقت شديد البرد ، فاشرف عبادة على الموت ، فامر المتوكل باخراجه ، وأمر له بكسوة فلبسها ، وادناه منه ، وقال له :

« كيف انت ؟ وكيف حالك ؟ . . » .

فقال عبادة : جئت من الآخرة .

وضحك المتوكل وقال :

« كيف تركت أخي الواثق ؟ . . » .

فقال عبادة : لم امر بجهنم .

وضحك المتوكل وامر له بصلة^(٢) ومن طريف ما كان يفعله المتوكل بابن العبرة الشاعر الأحمق ، فقد كان يرمي به في المنجنيق ، فاذا علا في الهواء يقول : الطريق جاءكم المنجنيق ، ثم يقع في البركة ، فتطرح عليه الشباك ويصاد كما تصاد الاسماك^(٣) .

وبدل ان يصرف المتوكل وقته في خدمة الشعوب الاسلامية ، ويعمل فيما يوجب تطورها ، وازدهار حياتها ، وتقدمها في الميادين الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، انه لم يفكر في ذلك ، وانما قضى اوقاته في امثال هذه الترهات ، كما قضى معظم ايامه في اللهو والمجون فكانت قصوره مسرحا للغناء وشرب الخمر وتعاطي المنكرات .

(١) ديوان علي بن الجهم (ص ٣٢) .

(٢) العقد الفريد ٤٣٠ / ٦ .

(٣) فوات الوفيات ٣٥٦ / ٢ للكتبي .

الهبات للشعراء :

ووهب المتوكل وغيره من ملوك العباسيين الأموال الطائلة للمرتزقة من الشعراء الذين كانوا من أهم أجهزة الاعلام في ذلك العصر ، وقد حظي الشعراء الذين ينالون من العلويين بالأموال الطائلة ، وذلك لتثبيت مركز العباسيين واغراء المسلمين بأنهم اقرب الى النبي صلى الله عليه وآله واحق بمركزه من العلويين .

وعلى أي حال فقد وهب المتوكل الأموال الكثيرة للشعراء الذين كانوا يمدحونه ويثنون عليه ، وفيما يلي بعض ما اعطاهم .

١ - ابراهيم بن المدير

ومرض المتوكل ثم ابل من مرضه فدخل عليه الناس يهنونه بالصحة والسلامة ودخل عليه الشاعر ابراهيم بن المدير فانشده قصيدته التي يقول فيها :

اليوم عاد الدين غمض العود ذورق نضير
يا رحمة الله للعالمين وباضياء المستنير
يا حجة الله التي ظهرت له بهدى ونور

وطرب المتوكل من هذا الشعر فأمر له بخمسين الف درهم ، واوعز الى وزيره عبيد الله بن يحيى ان يوليه عملاً جليلاً ينتفع به .

٢ - أبو الشبل البرجمي :

ودخل عليه ابو الشبل البرجمي فانشده قصيدة مؤلفة من ثلاثين بيتاً استهلها بقوله :

اقبلى فالخير مقبل واتركي قول المعلل
وثقي بالنجح اذا ابصر رت وجه المتوكل

فأمر له المتوكل بثلاثين الف درهم^(١) .

٣ - الصولي :

ولما عقد المتوكل البيعة لابنائه الثلاثة دخل عليه الصولي مهثا ، وانشد قصيدته التي يقول فيها :

أضحت عرى الاسلام وهي منوطة بالنصر والاعزاز والتأييد
فأمر له المتوكل بمائة الف درهم ، وأمر له ولده بمثلها^(٢) .

٤ - مروان بن أبي الجنوب :

ومدحه مروان بن أبي الجنوب بقصيدة جاء فيها :

يخشى الآله فما ينام عناية بالمسلمين وكلهم بك نائم

فأمر له بمائتي الف دينار من وروق وذهب ، كما أمر له بكسوة ، ولما عقد المتوكل ولاية العهد لابنائه الثلاثة انشده مروان قصيدة يقول فيها :

ثلاثة املاك : فأما محمد فنور هدى يهدي به الله من يهدي
وأما أبو عبد الإله فانه شبيهك في التقوى ويجدي كما تجدي
وذو الفضل ابراهيم للناس عصمة تقي وفي بالوعيد وبالوعد

فأمر له المتوكل بمائة وعشرين الف درهم وخمسين ثوبا وبغلة وفرسا
وحماراً^(٣) .

ومدحه ايضا بقصيدة فاعطاه مائة وعشرين الف مع ثياب فاستكثر مروان
عطاياه وقال :

(١) الاغاني ١٤/١٩٣ . ط دار الكتب المصرية .

(٢) الأغاني ١٠/٦٤ طبع دار الكتب .

(٣) الأغاني .

فامسك ندى كفيك عني ولا تزدد فقد خفت أن اطغى وان اتجبرا
قال له المتوكل لا امسك حتى يغرقك جودي^(١) وانشده مرة قصيدة جاء
فيها :

كانت خلافة جعفر كنبوة جاءت بلا طلب ولا بتتحل
وهب الاله له الخلافة مثلما وهب النبوة للنبي المرسل
فأمر له المتوكل بخمسين الف درهم^(٢) .

٥ - علي بن الجهم :

وهب المتوكل الثراء العريض الى علي بن الجهم ، وذلك لأنه اوقف
نتاجه الأدبي على مدحه والثناء عليه ، ومن عطاياه له انه دخل عليه ، وكانت
بيد المتوكل درتان فانشده قصيدة في مدحه فدحا له بدرة ، وقال له : انها والله
خير من مائة الف ، وانشده ابيات اخرى في مدحه جاء فيها :

بسر من رأى امام عدل تغرف من بحرہ البحار
يرجى ويخشى لكل خطب كأنه جنة ونار
الملك فيه وفي بنيہ ما اختلف الليل والنهار
لم تأت اليمين منه شيئاً إلا اتت مثلها اليسار

فدحا له بالدرة الثانية التي هي خير من مائة الف^(٣) ولم تقتصر عطايا
المتوكل على الشعراء وانما شملت هباته الوفيرة للمغنين والعابثين قال
المسعودي : لا يعلم احد متقدم في جد ولا غزل الا وقد حظي في دولته ،

(١) تاريخ الخلفاء (ص ٣٤٩) .

(٢) الأغاني .

(٣) الأغاني .

ووصل له نصيب وافر من المال^(١) .

لقد تبذرت ثروات الأمة وامكانياتها الاقتصادية على الترف والسفه ، من دون أن ينفق أي شيء منها على الصالح العام ، وعلق شوقي ضيف على نفقات المتوكل بقوله :

« وعلى هذا النحو كانت ملايين الدنانير والدراهم تنفق بدون حساب ، وبدون أي رقابة في حفلات القصر وهي حفلات أمدت القصص في كتاب (الف ليلة وليلة) بكل ما يقع في الخيال والوهم من بذخ وترف لا ضفاف له ، وبدلاً من أن توجه هذه الملايين الى مرافق الشعب وحاجاته أو الى اعداد الجيوش في حروب الترك والبيزنطيين كانت تبدد هذا التبيد الأحمق ، والشعب يكدح ويشقى ، ويسيل عرقه مدراراً ، ويتجرع غصص البؤس والحرمان ليعبث المتوكل وغير المتوكل بامواله ، فاذا قصور شماء تبنى ، وينفق فيها الملايين تلو الملايين ، واذا هي تستحيل الى مقاصف يدور فيها الكأس والطاس وتنتشر حمول الذهب والفضة ، ويروى ان المتوكل شرب يوماً في القصر السالف ذكره المسمى بالبركوار فقال : لندمائه ، ولم تكن الأيام أيام ورد ورياحين : ارأيتم ان عملنا احتفالاً بالورد أو كما نطقه بالفارسية «شاذ كلاه» فقالوا له : لا يكون الشاذ كلاه الا بالورد ، وليست الأيام أيام ورد ، فقال : ادعوالي عبد الله بن يحيى ، وكان احد وزرائه فحضر ، فقال له : اضرب لي دراهم في كل درهم حبتان من الفضة فسأله كم المقدار يا امير المؤمنين ؟ فاجابه خمسة ملايين درهم فأمر عبيد الله بضربها ، فضربت ، وانبأ المتوكل بضربها فقال له : اصنع طائفة منها بالحمرة ، وطائفة بالصفرة ، وطائفة بالسواد واترك طائفة على حالها ، فصنع عبيد الله ما أمر به ، ثم تقدم المتوكل الى خدمه وحواشيه - وكانوا سبعمائة - فأمرهم ان يعد كل منهم قباً

(١) تاريخ الخلفاء (ص ٣٤٩) .

جديداً وقلنسوة بخلاف لون قباء صاحبه وقلنسوته ففعلوا . ثم تحين يوماً فيه ريح ، فأمر أن تنصب قبة لها اربعون بابا ، فاصطحب فيها والندماء حوله ، وعلى الخدم الكسوة الجديدة ، وأمر المتوكل بنثر الدراهم كما ينثر الورد طائفة ، طائفة ، فنثرت تباعا ، وكانت الريح تحملها لخفتها فتطير في الهواء كما يتطير الورد^(١) .

وكل هذا من الفراغ ومن الترف المفرط ، فاذا الخلفاء ينعمون بالحياة الى حد السفه والهوس ، وطبقات من ورائهم قتر عليها في الرزق فهي تعيش في ضنك وضيق شديد . . .»^(٢) .

الحياة الاقتصادية العامة :

اما الحياة الاقتصادية العامة في البلاد الاسلامية فقد كانت سيئة للغاية ، فقد نهش الفقر اغلب الناس ، فكانوا في ضيق وجهد شديدين ، فقد انحصرت الثروة العامة عند المغنيين والملهين ، وحاشية السلطان وعملائه ، خصوصا الاتراك فهؤلاء الذين تكدست بيوتهم بالأموال فحاروا في صرفها ، فلم يتركوا لونا من الوان اللذة والشهوات الا انفقوا الاموال الطائلة بسخاء فيها ، وكلما سئموا من شهوة مالوا الى أخرى ، وهكذا انقضت حياتهم بين اللهو والغناء وعقد مجالس الشراب في القصور الفخمة التي بنيت باموال الفقراء والمحرومين والبؤساء .

وعلى أي حال فان الحياة الاقتصادية في اغلب شعوب العالم الاسلامية كانت مشلولة ، ومضطربة ، وهذا مما دعا بعض رجال الاصلاح الاجتماعي الى القيام بثورات مسلحة ضد الحكم العباسي ، وقد عرضنا لبعضها في البحوث السالفة .

(١) الديارات (ص ١٦٠) .

(٢) العصر العباسي الثاني (ص ٦٨ - ٦٩) .

جباية الخراج :

وجباية الخراج مما ترتبط بالبحث عن الحياة الاقتصادية ، فقد أسندت الحكومة العباسية هذه الوظيفة الى جماعة من القساة والاشداء ، وكانوا يجبون الأموال الخراجية والضرائب التي لم يشرعها الاسلام في قسوة وعنف وقد صور ذلك ابن المعتز في ارجوزته يقول :

فكم وكم من رجل نبيل ذي هيبة ومركب جليل
رأته يحتل بالأعوان الى الحبوس والى الديوان
وجعلوا في يده حبلاً من قنب يقطع الأوصالا
وعلقوه في عرى الجدار كأنه برادة في الدار
وصفقوا قفاه صفق الطبل نصبا بعين شامت دخل
وصب سبحان عليه الزيتا فصار بعد بزة كميّتا

وصورت هذه الأبيات الظلم والتنكيل الذي عاناه الناس في تلك الفترات السود فالسجين كان يواجه اشع الوان التعذيب والارهاق ، ويستمر ابن المعتز في وصف تلك الأحوال الرهيبة فيقول :

حتى إذا ملّ الحياة وضجر وقال : ليت المال جمعا في سقر
اعطاهم ما طلبوا فأطلقا يستعمل المشي ويمشي العنقا^(١)

ويصف ابن المعتز ما يتعرض له السجين من الضرب واللکم والصفع بقوله :

وأسرفوا في لكمه ودفعه وانطلقت اكفهم في صفعه
ولم يزل في اضيق الحبوس حتى رمى إليهم بالكيس^(٢)

(١) العنق: ابن المشي السريع.

(٢) ديوان ابن المعتز (ص ٤٨١).

البؤس العام :

وعانت الأغلبية الساحقة من الشعوب الاسلامية البؤس والفقر والحرمان في مختلف العصور العباسية ، وقد كثرت شكوى العلماء والأدباء ورجال الفكر من سوء حياتهم الاقتصادية ، ولنستمع الى العطوي الشاعر الكبير ، وهو يصور كآبته بهذه الأبيات الحزينة يقول :

هجم البارد مسرعا ، ويدي صفر وجسمي عار بغير دثار
فتسترت منه طيلة التشارين الى أن تهتكت استاري
ونسجت الأطمار بالخيط والإبرة حتى عريت من اطماري
وسعى القمل من دروز قميصي من صغار ما بينهم وكبار
يتساعون في ثيابي الى رأسي قطاراً تجول بعد قطار
ثم وافى كانون واسود وجهي واتاني ما كان منه حذاري

ويستمر في وصف بؤسه وما يعانیه من الفقر والحرمان فيقول :

لو تأملت صورتني ورجوعي . حين امسي الى ربوع قفار
أنا وحدي فيه وهل فيه فضل . لجلوس الأنيس والزوار
والخلا لا يراد فيه فمالي . ابداً حاجة الى الحفار
بل يراد الخلا لمنحدر النحو . وما ذقت لقمة في الدار
وإذا لم تدر على المطعم الأفواه . سدت متاعت الأحيار^(١)

لقد بلغ الفقر بهذا الشاعر البائس الى مستوى سحق فلم يملك من متع الدنيا ما يستر به بدنه ، ويتقي به من شدة البرد فكان جسمه عاريا ليس عنده إلا اطمار بالية ، قد سرى فيها القمل كأنها قطار تجول في جسمه ، كما صور في الأبيات الأخيرة شدة بؤسه ، فهو يأوي الى ربوع قفار ليس فيها احد

(١) شعر العطوي (ص ٨١).

يتعاطى معه الحديث ، ولشدة جوعه ، وخلو جوفه ، فلا يحتاج الى المرافق ،
وهذا افطع بؤس ، واوجع فقر يعانيه الانسان ومن الشعراء الذين نظموا بؤس
حياتهم هو ابو العيناء ولنستمع الى شكواه يقول :

الحمد لله ليس لي فرس ولا على باب منزلي حرس
ولا غلام اذا هتفت به بادر نحوي كأنه قبس
ابني غلامي وزوجتي امتي ملكتها الملاك والعرس
غنيت باليأس واعتصمت به عن كل فرد بوجهه عيس
فما يراني ببابه أبداً طلق المحيا سمح ولا شرس^(١)

ان أبا العيناء لم يملك اية متعة من متع الحياة فليس عنده فرس ض ،
ولا خادم ، ولا أمة ، وقد اتخذ ابنه غلاما له ، وزوجته أمة ، وقد استغنى بشدة
بأسه ، وشرف نفسه عن الغنى والمال .

ومن ادباء العصر العباسي البائسين الذين لم يركعوا للسلطة هو
الحمداوي ولنستمع إليه يحدثنا عن فقره يقول :

تسامى الرجال على خيلهم ورجلي من بينهم حافية
فان كنت حاملنا ربنا والا فارجل بني الزانية^(٢)
وممن صعد آهاته على تعاسته من ادباء ذلك العصر سعيد بن وهب
يقول :

من كان في الدنيا له شارة فنحن من نظارة الدنيا
نرفعها عن كذب حسرة كأننا لفظ بلا معنى
يعلو بها الناس وأيامنا تذهب في الارذل والأدنى^(٣)

(١) معجم الأدباء ٧١/٧ .

(٢) ديوان الحمداوي (ص ٨٨) .

(٣) الأغاني ٢٠/٣٣٧ .

لقد عادت حياة هذا الاديب لفظا بلا معنى ، وذهبت أيام حياته في الأردل والأدنى ، ولم تعد له أية بهجة او لذة في الحياة .

وذهب ادباء ذلك العصر الى أن حرفة الأدب والعلم من لوازمها الفقر والحرمان .

يقول العطوي :

يا أيها الجامع علما جما امض الى الحرفة قدما قدما
حرمت وفرأ ، ورزقت فهما فوالذي اجزل منه القسما
لأجهدن ان يكون خصما^(١)

ومعنى هذا الشعر ان طلب العلم - في ذلك العصر - اصبح من الحرف الكاسدة وان طالبه لا بد ان يحرم الغنى والوفر، وقد عانى العلماء الوانا مريرة من الفقر والحرمان ، وقد نظم الجاحظ ابياتاً صور فيها ما مني به من البؤس ، والفقر يقول :

أقام بدار الخفض راض بحظه
يظن الرضا بالقسم شيئاً مهونا
جزعت فلم اعتب فلو كنت ذاحجا
اظن غبي القوم ارغد عيشة
تمر به الأحداث ترعد مرة
سواء على الأيام صاحب حنكة
فلو شاء ربي لم اكن ذا حفيظة
خضعت لبعض القوم ارجو نواله
وذو الحرص يسري حيث لا احد يدري
ودون الرضا كأس امر من الصبر
لقنعت نفسي بالقليل من الوفر
واجدل في حال اليسارة والعسر
وتبرق أخرى بالخطوب وما يدري
وأخر كاب لا يريش ولا يدري^(٢)
طلوباً غايات المكارم والفخر
وقد كنت لا أعطي المنية بالقسر

(١) شعر العطوي (ص ٨٧).

(٢) الكاب: الغنم.

فلما رأيت المرء يبذل بشره ويجعل حسن البشر واقية التبر^(١)
رבעت على ظلمي وراجعت منزلي فصرت حليفا للدراسة والفكر

وصور الجاحظ الذي هو من مفاخر عصره ماأمني به من الكآبة والحزن
فقد اقام قابلاً بدار الهوان والذل في حين ان الجهال والأغنياء قد توفرت لهم
جميع اسباب الرفاهية والوان النعم ، وقد اطال عتابه على الايام التي اوجبت
خضوعه لبعض الناس راجيا نوالهم ومعروفهم ، ولكنه لما تبين له انه يبذل
بذلك كرامته انصرف عنهم ، واتجه صوب العلم . . . واذا كان الجاحظ وهو
من كبار علماء عصره يمثل هذه الحالة من البؤس والفقير فكيف بغيره من سائر
الأدباء والمثقفين فضلاً عن عامة الفقراء الذين لا سند لهم .

ومن ادباء ذلك العصر يعقوب بن يزيد التمار فقد كان يسكن داراً
تملكها السلطة ، ويدفع سبعين درهما عن اجرتها في الشهرين ، وكان لا
يتمكن من دفع الأجرة ، وقد صور حالته البائسة بهذه الأبيات :

يا رب لا فرج مما اكابده بسر من رأى على عسري واقتاري
لا راحة قبل وقت الموت تدركني فيستريح فؤاد غير صبار
قد شبيت مفرقي سبعون تلزمني في منزل وضح من نقد قسطار^(٢)
جباتها قبل فتح النجم وافية ولو تعينت ديناراً بدينار^(٣)
يطول همي واحزاني اذا فتحوا نجما ، وابكي يدمع مسبل جار
اموت في كل يوم موة فاذا لاح الهلال فمنشور بمنشار
تغدو علي وجوه من مغاربة كأنما طليت بالزفت والقار
اذا تغيبت عنهم ساعة كسروا بابي بارزبة او فأس نجار^(٤)

(١) التبر بكسر التاء وهو ما كان من الذهب غير مضروب فإذا ضرب دنانير فهو عين .

(٢) القسطار : منتقد الدراهم .

(٣) النجم : هو الوقت المعين لأداء الدين .

(٤) الارزبة : المطرقة الكبيرة التي تكسر بها الحجارة .

وان ظهرت فقلع الباب أيسره
فان اعان بقرض كف أيديهم
سل المنادي الذي نادى على سلمي
إن قيل عند وفاتي أوصر قلت لهم
وان احمد عبد الله ارسله
والحبس ان لم تخشنى رقة الجار
اولا ، فاني غداً من كسوتي عار
كم جهد ما بلغت في السوق أطماري
شهدت أن الهى الخالق الباري
وان سبعين حقاً اجرة الدار^(١)

وحكى هذا الشعر مدى بؤس هذا الشاعر وشقائه ، فقد عانى أشد ما
تكون المعاناة واشقها من أجرة داره التي تملكها الدولة ، فهو لا يستطيع دفع
الأجور في الوقت المقرر ، وقد طافت به الآلام ، ففي كل يوم يموت موتة من
جرا عجزه من تسديد اجور الدار ، واذا حل الوقت المعين ولم يؤد ما عليه
اسرعت إليه الجباة السود الذين طليت وجوههم بالزفت فكسروا باب داره ،
وحبسوه ، واخذوا متاعه وباعوه ليستوفوا ما عليه من دين ، ومن شدة تألمه انه
ذكر انه اذا حلت به المنية واراد الوصية فهو يشهد الشهادتين ، ويشهد انه
مدين للدولة سبعين درهما هي اجرة داره .

ارأيتم ما كان يعانيه رجال العلم والأدب في العصر العباسي من الضيق
والبؤس في حين أن ذهب الأرض كان بأيدي ملوك العباسيين ينفقونه على
شهواتهم ، ويهبونه بسخاء للماجنين والعابثين .

ومن الجدير بالذكر ان الكثيرين من شعراء ذلك العصر المحرومين قد
دعوا الى الزهد والتصوف ، وذلك من جراء ما عانوه من الضيق والحرمان
يقول العطوي :

يأمل المرء أبعد الآمال
لو رأى المرء رأي عينيه يوماً
هو رهن بأقرب الآجال
كيف صول الآجال بالآمال
هو ولم يغتر بدار الزوال
لتنهاى واقصر الخطو في الد

(١) سامراء في أدب القرن الثالث الهجري (ص ١٧٢).

نحن نلهو وننحن يحصى علينا
فاذا ساعة المنية حمت
أي شيء تركت يا عازما بالد
تركب الأمر ليس فيه سوى أن
أنت ضيف وكل ضيف وان طا
أيها الجامع الذي ليس يدري
يستوي في الممات والبعث والمو
ثم لا يقسمون للنار والجد

وبهذا انتهى بنا الحديث عن الحياة الاقتصادية البائسة التي كانت في
حياة الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام .

الحياة الدينية :

أما الحياة الدينية - في عصر الامام الهادي عليه السلام - فقد كانت
قلقة ومضطربة . وأثرت حول العقيدة الاسلامية كثير من الشكوك والأوهام
أثارتها القوى الحاقدة على الاسلام والباغية عليه ، وقد تصدى علماء
المسلمين وفي طليعتهم الامام الهادي عليه السلام الى تزييفها والرد عليها ،
وقد ذكرنا ذلك - عند التعرض للبحوث الكلامية التي أدلى بها الامام عليه
السلام .

بدع واضاليل :

واندست في صفوف الشيعة زمرة خبيثة من الملاحدة والمارقين من
الدين فاشعلوا نار الفتنة ، ونشروا البدع والاضاليل في صفوفهم ، وقد امتحن
بهم الاسلام كأشد ما يكون الامتحان ، وذلك لما اذعواه من الباطل الذي

(١) تاريخ بغداد ٣/١٣٨ .

اضلوا به البسطاء والسذج الذين لا يميزون بين الحق والباطل . . . أما رؤوس تلك البدع العفنة فهم :

١ - علي بن حسكة القمي .

القاسم اليقطيني .

٣ - الحسن بن محمد بن بابا القمي .

٤ - محمد بن نصير .

هؤلاء بعض دعاة البدع والإلحاد الذين حاربوا الاسلام ، وحملوا معول الهدم على جميع قيمه وتعاليمه .

أباطيل ابن حسكة :

أما اضاليل ابن حسكة وبدعه فهي :

أ - ان الامام أبا الحسن الهادي عليه السلام هو الرب والخالق والمدبر لهذه الأكوان .

ب - ان ابن حسكة هو النبي والمرسل من قبل الامام لهداية الناس .

ج - اسقاط كافة الفرائض الاسلامية من الزكاة والحج والصوم لمن دان بمذهبه .

أما هذه البنود فقد جاءت في الرسالة التي رفعها الى الامام بعض اصحابه ، وهذا نصها .

« جعلت فداك يا سيدي ان علي بن حسكة يدعي أنه من اوليائك او انك أنت الأول القديم ، وانه بابك ، ونيك ، أمرته أن يدعو الى ذلك ، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ، ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدعي من الباطية والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه

الاستعباد بالصلاة والصوم والحج وذكر جميع شرايع الدين ، ان معنى ذلك كله ما ثبت لك ، ومال الناس إليه كثيراً ، فان رأيت أن تمن على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة . . «(١)» .

هذه بعض اذاليه التي اغرى بها السذج الذين لا يملكون أي وعي وتدبر ، فمالوا لبدعه ، وصدقوه .

براءة الامام منه :

واعلن الامام عليه السلام براءته من ابن حسكة ، ودعا الي نبذه ونبذ اتباعه ، وقتلهم ، وقد جاء ذلك في جوابه عن الرسالة المتقدمة قال عليه السلام :

« كذب ابن حسكة عليه لعنة الله ، ويحسبك اني لا أعرفه في موالي ، ما له لعنة الله ، فوالله ما بعث الله محمداً والانباء قبله الا بالحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية وما دعا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا الى الله وحده لا شريك له وكذلك نحن الاوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئاً إن اطعناه رحمنا ، وان عصيناه عذبنا ما لنا على الله من حجة بل الحجة لله علينا وعلى جميع خلقه ابرأ الى الله ممن يقول : ذلك ، وانقض الى الله من هذا القول ، فاهجروهم لعنهم الله ، وألجئوهم الى ضيق الطريق ، فان وجدتم أحداً منهم فاخذش رأسه بالحجر . . «(٢)» .

واعربت هذه الرسالة عن تأثر الامام واستيائه من هذا الملحد الذي اعرض عن ذكر الله واتخذ آياته هزواً ، وقد اباح عليه السلام دمه ودم اتباعه .

(١) الكشي .

(٢) الكشي .

بدع الفهري :

وكان محمد بن نصير الفهري النميري من رؤوس الملحدين ، ومن أئمة الكفر ، وقد اشاع الضلال بين الناس ، ومن بدعه :

أ - ان الامام الهادي عليه السلام هو الخالق والرب .

ب - اباحة نكاح المحارم من الامهات والبنات والاخوات وغيرهن من سائر المحارم .

ج - اباحة اللواط ، وانه من احدى الشهوات والطيبات التي لم يحرمها الله تعالى وانه من جملة التواضع لله .

د - القول بالتناسخ^(١) .

هذه بعض بدعه واضاليله التي حاول فيها محاربة الاسلام ، وتشويه واقع الأئمة الطاهرين عليهم السلام .

تأويلهم للفرائض :

وأول هؤلاء الضالون الفرائض الاسلامية حسب اهوائهم الفاسدة ، فقالوا : ان المراد بالصلاة التي أمر الله باقامتها ليست هي العبادة المعروفة ، وانما هي رجل خاص ، وكذلك الزكاة ليست هي الضريبة المالية التي فرضها الله ، وانما هي رجل ، وكذلك اولوا المعاصي التي نهى الله عنها ، وقد جاء ذلك في الرسالة التي رفعها ابراهيم بن شيبه الى الامام ، وهذا نصها :

« جعلت فداك ان عندنا قوما يختلفون في معرفة فضلكم باقويل مختلفة تسمت من القلوب وتضيق لها الصدور يروون في ذلك الاحاديث لا يجوز لنا الاقرار بها لما فيها من القول العظيم ، ولا يجوز ردها ، ولا الجحود بها اذا

(١) الكشي .

نسبت الى آباءك فنحن وقوف عليها من ذلك ، لأنهم يقولون : ويتأولون معنى قوله عز وجل : ﴿ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ وقوله عز وجل : ﴿واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فان الصلاة معناها رجل لا ركوع ولا سجود ، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد دراهم ، ولا اخراج مال واشياء تشبهها من الفرائض والسنن والمعاصي تأولها ، وصيروها على هذا الحد الذي ذكرت ، فان رأيت أن تمن على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من الاقاول التي تصير الى العطب والهلاك ، والذين ادعوا انهم اولياء ودعوا الى طاعتهم منهم علي بن حسكة والقاسم اليقطيني فما تقول في القبول منهم جميعاً . . . » .

فكتب عليه السلام له ليس هذا ديننا فاعتزله . . . (١) لقد امتحن الامام عليه السلام كأشد ما يكون الامتحان بهؤلاء الضالين الذين كفروا بالله ، وجحدوا بآياته واتخذوها هزوا .

الامام يحذر منهم

وحذر الامام ابو الحسن الهادي عليه السلام شيعة وسائر المسلمين من الاتصال بهؤلاء الغلاة الملحدين ، وقد كتب عليه السلام الى علي بن محمد ابن عيسى هذه الرسالة « لعن الله القاسم اليقطيني ، ولعن الله علي بن حسكة القمي ، ان شيطاناً ترائى للقاسم فيوحي زخرف القول غروراً . . . » (٢) .

وكتب الامام الهادي الى العبيدي يحذره من اضرال هؤلاء الغلاة ، ويدعوه الى البراءة منهم ، وقد جاء في رسالته :

« ابرأ الى الله من الفهري ، والحسن بن محمد بابا القمي ، فابراً منهما

(١) الكشي .

(٢) الكشي .

فاني محذرك وجميع موالي ، واني العنهما ، عليهما لعنة الله ، مستأكلين
يأكلان بنا الناس فتانين مؤذيين اذاهما الله ، ارسلهما في اللعنة ، واركسهما
في الفتنة ركسا ، يزعم ابن بابا أنني بعثته ، وانه باب عليه لعنة الله سخر منه
الشیطان فاغواه ، فلعن الله من قبل منه ذلك ، يا محمد إن قدرت أن تخذش
رأسه بالحجر ، فافعل فانه قد آذاني ، آذاه الله في الدنيا والآخرة . . «(١)

واعربت هذه الرسالة عن مدى تأثير الامام وفزعه من هؤلاء الغلاة
الملحدين الذين اندسوا في صفوف الشيعة لاختلاس اموالهم ، واخذها
بالباطل .

الامام يأمر بقتل فارس

ودعا الامام الهادي عليه السلام شيعته الى قتل زعيم الغلاة فارس بن
حاتم وضمن لمن قتله الجنة ، فقد قال : هذا فارس يعمل من قبلي فتانا داعيا
الى البدعة ودمه هدر لكل من قتله ، فمن هذا الذي يريحني منه ،
ويقتله ، وأنا ضامن له على الله الجنة^(٢) وقد استجاب لنداء الامام بعض
المؤمنين فقتله^(٣) وقد اراح الله منه العباد والبلاد .

الامام يبيح قتلهم

وأباح الامام قتل الغلاة فقد كتب الى بعض شيعته رسالة جاء فيها « وان
وجدت من أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخرة »^(٤) .

(١) الكشي .

(٢) الكشي

(٣) الكشي

(٤) الوسائل ١٨ / ٥٥٤ .

رسالة السري إلى الامام في الغلاة :

وارسل السري بن سلامة الى الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام يسأله فيها عن الغلاة ، وما يدعون إليه ، وما يتخوف من معرفتهم - اي فسادهم - ويسأله الدعاء له ولاخوانه للتخلص من شرورهم ، فاجابه الامام عليه السلام

« عدل الله عنكم ما سلكوا فيه من الغلو ، فحسبهم أن تبرأ اولياؤه منهم وجعل الله ما أنتم عليه مستقراً ، ولا جعله مستودعا ، وثبتكم بالقول الثابت في الدنيا والآخرة ، ولا اضلكم بعد اذ هداكم . . » (١) .

لقد دعا له الامام عليه السلام بالتخلص من شرور هؤلاء الملحدين الذين ضلوا عن الطريق وانحرفوا عن الحق ، وابتعدوا عن القصد .

أسباب الغلو :

أما الاسباب التي دعت الى الغلو ، والقول بان الامام الهادي عليه السلام هو الاله والخالق للأكوان فهي - فيما نحسب - ما يلي :

١ - ما ظهر للامام من المعاجز والكرامات التي منحها الله له ولآبائه ، فاستغلها المنحرفون عن الدين والحاقدون عليه لظهار البدع ، وامانة الاسلام ، والاجهاز عليه .

٢ - التحلل من القيم والآداب الاسلامية ، فقد اباحوا كل ما حرمه الاسلام ، ونهى عنه .

٣ - الطمع بأموال الناس وأخذها بالباطل ، والاستيلاء على الاموال التي تدفعها الشيعة الى أئمتها عليهم السلام . . . هذه بعض الأسباب التي دعت

(١) الدر النظيم .

الى القول بالغلو .

مع الواقفية :

وبعد وفاة الامام موسى بن جعفر عليه السلام ظهرت على مسرح الحياة الاسلامية فرقة من الشيعة سميت (الواقفية) وقد انكرت وفاة الامام موسى عليه السلام وزعمت انه ارتفع الى السماء كما ارتفع المسيح عيسى بن مريم ، وانما ذهب زعماء هذه الفرقة الى ذلك لأن عندهم أموالاً كثيرة من الحقوق الشرعية للامام موسى عليه السلام ، فاختلسوها ، ولم يوصلوها من بعده الى الامام الرضا عليه السلام ، وقد بقيت هذه الفرقة تناهض الشيعة الامامية ، وتدخل المكروه والأذى عليهم حتى لقبتهم الشيعة بالممطورة تشبيها لهم بالكلاب التي اصابها المطر ومشت بين الناس فيتنجس بها كل من قربت منه ، وكذلك هؤلاء الواقفية في نجاستهم وضررهم على الشيعة .

وعلى أي حال فقد كتب بعض الشيعة رسالة الى الامام في شأنهم جاء فيها: جعلت فداك هؤلاء الممطورة فأقنت عليهم في الصلاة ، أي يجوز له لعنهم في قنوته ، فافتاه الامام بالجواز^(١) .

مشكلة خلق القرآن

من المسائل الرهيبة التي ابتلي بها المسلمون في حياتهم الدينية وامتحنوا كأشد ما يكون الامتحان هي مسألة (خلق القرآن) فقد ابتدعتها الحكم العباسي ، واثاروها للقضاء على خصومهم ، وقد قتل خلق كثيرون من جرائها ، وانتشرت الاحقاد والاضغان بين المسلمين . . . وقد كتب الامام الهادي عليه السلام إلى احمد بن اسماعيل بن يقطين في سنة (٢٢٧ هـ) رسالة في شأن هذه المسألة جاء فيها بعد البسمة :

(١) الكشي .

« عصمنا الله وإياك من الفتنة فان يفعل ، فقد اعظم بها نعمة ، وان لا يفعل فهي الهلكة ، نحن نرى ان الجدل في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب فيتعاطى السائل ما ليس له ، ويتكلف المجيب ما ليس عليه ، وليس الخالق إلا الله عز وجل ، وما سواه مخلوق ، والقرآن كلام الله ، لا تجعل له اسما من عندك فتكون من الضالين ، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب ، وهم من الساعة مشفقون . . . »^(١) .

ان الخوض في خلق القرآن ، والجدل فيه بدعة وضلال ، والسائل والمجيب يشتركان في الإثم ، وعلى المسلم أن يقتصر في القول على ان القرآن كلام الله تعالى ، وليس له أن يضيف عليه انه مخلوق أو غير مخلوق ، فانه بذلك يكون من الضالين ، كما يقول الامام عليه السلام ،

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الحياة الدينية وهي كما ذكرنا كانت قلقة ومضطربة ، فقد كان الوعي الديني ضعيفاً ، فلم يفهم الكثيرون من المسلمين دينهم عن دليل او ادراك ، وانما كانوا مقلدين فيه لأبائهم ، ومن ثم استطاع الغلاة وغيرهم من القوى المعادية للإسلام ان تغزوهم ، وتحرفهم عن دينهم القويم .

حياة اللهو :

وانغمس ملوك بني العباس الذين عاصرهم الامام في اللهو والطرب والشهوات فكانت لياليهم الحمراء حافلة بالشرب والغناء ، واللهو ، ليس فيها أي جد ، كما ليس فيها أي ذكر لله تعالى ، وقد صور القاضي التنوخي علي ابن محمد قاضي البصرة خليفة زمانه العباسي بقوله :

نشأ بين طنبور وزق ومزهر وفي حجر شاد أو علي صدر ضارب

(١) التوحيد (ص ٢٢٤).

وإذا كان الخليفة قد نشأ نشأة لهو وطرب فكيف بغيره من الوزراء والكتاب والولاة والعمال ، بل وسائر الناس ، لقد تهالكوا على اللذة واللهو واعرضوا عما يريد الإسلام لهم من حياة طاهرة نقية ، لا عبث فيها ولا فجور . . . ونعرض الى بعض مظاهر حياة اللهو والمجون في ذلك العصر .

انتشار الخمر

وشاع شرب الخمر في ذلك العصر ، وتعاطاه المتوكل العباسي وسائر وزرائه وحاشيته ، وكان عندهم شيئاً مألوفاً ، ولم يعتنوا بتحريم الإسلام له وتشديده في عقابه .

وكان اهداء قناني الخمر عند العباسيين من ائمن الهدايا ، فقد روى عبد الله بن احمد بن حمدون النديم عن أبيه قال : غزونا مع المأمون والمعتصم بلد الروم فاهدى إلينا محمد بن عبد الملك الزيات شراباً عتيقاً عراقياً ، وكتب معه هذه الابيات :

ما ان ترى مثلي فتى	اندى يداً واعم جودا
اسقي الصديق ببلدة	لم يرو فيها الماء عودا
صفراء صافية كأ	ن على جوانبها العقودا
فان استقل بشكوها	أوجهت بالشكو المزيدا
خذها إليك كأنما	كسيت رجاقتها فريدا
فاجعل عليك بأن تقو	م بشكرها ابداً عهداً ^(١)

وكان المتوكل من اكثر ملوك بني العباس شغفا بالخمر ، وتعاطيا له ، وقد وصف البحري مجلساً من مجالس شرب المتوكل بهذه الأبيات :

قلوب شجتهن الخدود الملائح وساقٍ بدا كالصبح والليل جانح

(١) التحف والهدايا (ص ٢٤ - ٢٥) .

يدير كؤوسا من عقار كأنها من النور في ايدي السقاة مصباح
فللراح ما تجري عليه دماؤهم وللشوق ما ضمت عليه الجوانح
وندمان صدق في جوار خليفة عدا بين كفيه الندى والصفائح^(١)

لقد قضى المتوكل معظم حياته بين كؤوس الخمر ، وقد قتل وهو
سكران ثمل لا يعي أي شيء . . . واذا كان الخليفة لا يتأثم من شرب الخمر
الذي حرمه الله ، فكيف بغيره من جهاز دولته وسائر الناس .

الخلاعة والمجون :

وانشرت الخلاعة والمجون في اكثر ايام ملوك بني العباس ، وكانت
ظاهرة بارزة ليست عند الملوك فحسب ، وانما هي عند غيرهم من سائر
الناس ، ولنستمع الى الشاعر ابي علي البصير الذي مضى الى بيت الله
الحرام ، ولما ادى فريضته الحج عاد الى خلاعته ومجونه قال :

اتينا بعدكم مك حجاجا وزوارا
ومسحنا من الكعب اركاننا واستارا
وجئنا القبر قبر المص طفى أحمد زوارا
وقال الناس هل أحد ث هذا لك اقصارا
وهل أحسنت للتوبة من قلبك اضمارا
فلما شارف الحير حادي ابلي حارا
وقد كان يغور النحر م للاصبح أوغارا
فقلت : احطط بهارحلي ولا تعباً بمن سارا
فجددنا عهداً اسد فت وآثارا
وقضينا لبيانات لنا كانت واوطارا
وصاحبنا بها ديراً وقسيسا وخمارا

(١) الاغاني ١٠٥/٥ - ١٠٦ طبع دار الكتب.

وضبياً عاقداً بين الذقبا والخصر زناراً
إذا حكمته جار وان حاربته جارا
فما ظنك بالحلفاء ادنيت لها الناراً^(١)

أرأيتم خلاعة هذا الشاعر واستهتاره ، وتمرده على القيم الإسلامية والآداب الاجتماعية ، ولنستمع الى شاعر ماجن آخر من شعراء ذلك العصر يقول :

سقياً لشهر الصوم من شهر عندي له ما شاء من شكر
كم من عزيز فيه فزنا به انهضه الليل من الوكر
ومن إمام كان لي وصله الى كحيل العين بالسحر
لو كان يدري بالذي خلفه اعجله ذاك عن الوتر
وخلة زارتك مشتاقة في ليلة القدر على قدر
فانصرف الناس بما أملوا وبؤت بالآثام والوزر^(٢)

ان السلوك العام للمواطنين في ذلك العصر كان متجها نحو الطرب والمجون ، وقد شجعهم على ذلك تهالك ملوك بني العباس على اللذة والفجور ، واللهو ولم تكن للحياة الروحية أي أثر في قصورهم ، ولا في سلوكهم .. وبهذا ننهي الحديث عن عصر الامام عليه السلام .

(١) الشعراء والكتاب في العراق (ص ٢٠٣) نقلاً عن البصائر والذخائر .

(٢) ديوان المعاني (ص ٢٣٤) .

إلى جنة المأوى

وعانى الامام الزكي أبو الحسن علي الهادي عليه السلام صنوفا مرهقة من المحن والخطوب من طغاة بني العباس ، فقد جهدوا على ظلمه والاعتداء عليه ، وكان المتوكل من اكثرهم حقداً وظلماً له ، فقد نقله من يثرب الى سامراء وفرض عليه الإقامة الجبرية فيها ، واحاط داره بقوى مكثفة من المباحث والأمن ، واخذت تحصي عليه انفاسه ، ومنع العلماء والرواة والفقهاء من الانتهال من نمير علومه ، ونقل فتاواه وآرائه ، وبذلك فقد جنى على العلم جناية لا تعدلها جناية ، كما فرض عليه الحصار الاقتصادي فقد منع من ايصال الحقوق الشرعية التي كانت ترد عليه من القطر وخارجه ، وتركه في ضائقة مالية خانقة ، وكان يعهد الى شرطته وجلاوزته بتفتيش داره بين حين وآخر لعله يجد فيها من السلاح او الكتب التي تناهض الحكم العباسي ليستحل بذلك اراقة دمه الا انه لم يجد فيها أي شيء ، وكان في بعض الاحيان يأمر بحمل الامام عليه السلام إليه بالحالة التي هو فيها ، وقد حمل إليه مرة ، وكان الطاغية ثملاً وبين يديه كاسات الخمر وقنانيه ، وقد احاطت به جوقات المغنيين والمغنيات ، فوقف الامام معه بصلافة وشدة وأخذ يعظه ، ويذكره الدار الآخرة ، وينعي عليه ما هو فيه من اللهو والفسق والفجور ، ولما رأى الطاغية اصرار الامام على الابتعاد عنه ، ورفضه للاتصال به وملازمته لطاعة الله وعبادته امر باعتقاله وايداعه في سجونته ، ويقول الرواة إنه سمعه شخص في السجن وهو يقول : أنا أكرم على الله من ناقة صالح

وتلا قوله تعالى : ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ ولم
تمض الأيام الثلاثة حتى هلك الطاغية قتله ولده المنتصر^(١) .

ولم تنقض محنة الامام وبلواه بعد هلاك عدوه الطاغية المتوكل ، فقد
ظل الحكم العباسي يراقبه ، ويبغي له الغوائل ، ويكيد له في وضح النهار
وغلس الليل ، لقد نقم العباسيون على الامام لأنه موضع تقدير الأمة وتقديسها
وانها تكن له من الاحترام والتقدير والتعظيم ما لا تكنه لهم ، وان هناك شطراً
كبيراً من هذه الأمة تذهب الى امامته ، وانه احق واولى بمركز الخلافة
الاسلامية من بني العباس الذين غرقوا في الملذات والشهوات وساسوا الناس
سياسة بني امية المبنية على البطش والجبروت والكبرياء .

وعلى أي حال فانا نعرض - بايجاز - الى الفصول الأخيرة من حياة
الامام عليه السلام .

اغتياله بالسم :

وثقل الامام عليه السلام على المعتمد العباسي ، وذلك لما يراه من
تحدث الناس عن مآثر الامام وعلومه وزهده وتقواه ، وتقديمهم له بالفضل
على غيره من علماء المسلمين ، فانتفخت اوداجه ، وورم انفه حسداً للامام ،
وحقداً عليه ، واخذت نزعاته الشريرة تدفعه الى اقتراف اخطر جريمة في
الاسلام فدرس له سما قاتلاً فلما تناوله الامام لازم الفراش ، وقد تسمم
بدنه ، واخذ يقاسي الآلام ، وقد توافدت عليه الشيعة ووجوه الدولة لعيادته
وممن دخل عليه عائداً الشاعر الملهم أبو هاشم الجعفري ، فلما رآه بتلك
الحالة جزع ، وبكى ، وقد نظم قصيدة جاء فيها :

مادت الأرض بي وادت فوادي واعترتني موارد العرواء

(١) أعلام الوری (ص ٣٦٣).

حين قيل الامام نضو عليل قلت : نفسي فدته كل الفداء
مرض الدين لاعتلاك واعتل وغارت له نجوم السماء
عجبا ان منيت بالداء والسقم وانت الامام حسم الداء
أنت آسي الأدواء في الدين و الدنيا ومحبي الأموات والاحياء^(١)

وحكت هذه الابيات مدى حزن أبي هاشم وجزعه علي مرض الامام ،
فقد ذابت نفسه اسىً وحسرات ، وتمنى ان يكون بنفسه فداءً له ، فقد مرض
الدين لاعتلال الامام العظيم ، ودارت نجوم السماء من هول هذه الفاجعة ،
ويعجب ابو هاشم ان يمنى الامام بالداء والسقم وهو حسم الداء .

تعيينه لولي عهده

ونصّ الامام الهادي عليه السلام على امامة ولده أبي محمد الحسن
عليه السلام ونصبه علماً ومرجعاً للشيعة بعد وفاته ، وكان من قبل قد دلت على
امامته خواص شيعته ، وقد عهد اليه ان يتولى تجهيزه والصلاة عليه ، ويواريه
في داره ، واوصاه بغير ذلك مما يتعلق بشؤونه .

الى جنة المأوى :

وتفاعل السم في بدن الامام ، والتمت به الأم قاسية ، وأخذ الموت يدنو
إليه سريعاً ، ولما شعر بدنو الأجل المحتوم منه توجه الى القبلة ، وأخذ يتلو
بعض سور القرآن الكريم ، وقد وافاه الأجل وذكر الله بين شفّتيه ، لقد
صعدت روحه العظيمة الى بارئها وهي نقيه ، طاهرة ، مشرقة ، تحفها ملائكة
الرحمن ، وقد اظلمت الدنيا لفقده ، واشرقت الآخرة بقدمه ، وقد فقد
الناس بموته الخير الكثير ، فقد مات القائد ، والموجه ، والمدافع عن حقوق
الضعفاء والمحرومين .

(١) المناقب ٤/٤٠١ .

(٢) أعلام الورى .

تجهيزه :

وقام الزكي أبو محمد الحسن عليه السلام بتجهيز أبيه فغسل جسده الطاهر وادرجه في اكفانه ، وصلى عليه ، وقلبه الشريف يتقطع الما وحننا وحسرات

مواكب التشيع :

وماجت سامراء من هول الفاجعة الكبرى ، وهرع الناس بجميع طبقاتهم الى الفوز بتشيع جثمان الامام الذي هو بقية النبوة والامامة ، وقد عطلت الدوائر الرسمية ، والمحلات التجارية ، وتقدم امام النعش الوزراء والعلماء والقضاة وكبار القادة من رجال الجيش ، وسائر أفراد الأسرة العباسية ، وهم يشعرون بفادحة المصيبة ، ويعددون مزايا الامام ومناقبه وفضائله ، ويذكرون ما مني به العالم الاسلامي من الخسارة العظمى التي لا تعوض .

لقد جرت مراسيم هائلة لتشييع جنازة الامام لم تشهد سامراء مثلها في جميع مراحل تاريخها .

في مقره الأخير :

وجيء بالجثمان الطاهر تحت هالة من التكبير والتعظيم الى مقره الأخير وهي دار الامام التي اعد لها مقبرة له ولأفراد أسرته ، وقد انزله ولده الامام الحسن في ملحودة قبره ، ودموعه تجري على سحنات وجهه ، فواراه في قبره ، ووارى معه القيم الانسانية من العلم والحلم ، والتقوى والصلاح .

وبعد الفراغ من دفن الجثمان الطاهر هرعت جماعير المشيعين الى الامام أبي محمد الحسن عليه السلام ، زهي ترفع له تعازيها الحارة وتواسيه بمصابه الأليم ، والامام عليه السلام واقف مع افراد اسرته يشكرونهم على ذلك .

عمره الشريف :

اما عمر الامام عليه السلام ، فقد نصّت بعض المصادر انه كان اربعين سنة^(١) .

سنة وفاته :

وتوفي الامام عليه السلام سنة (٢٥٤ هـ) يوم الاثنين لخمس ليال بقيت من جمادي الآخرة^(٢) وقيل غير ذلك .
وبهذا ينتهي بنا الحديث عن حياة الامام عليه السلام آملين ان نكون قد القينا الاضواء على بعض معالم شخصيته .

(١) نور الأبصار (ص ١٥٠) كشف الغمة ١٧٤/٣ .

(٢) نور الأبصار (ص ١٥٠) كشف الغمة ١٧٤/٣ .

الفهرست

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥	دعاؤه بعد صلاة العصر	٥٧
تقديم	٧	علومه ومعارفه	٦٣
ولادته ونشأته	١٣	رواياته عن النبي (ص)	٦٦
الأب	١٥	رواياته عن الإمام أمير المؤمنين (ع)	٧٢
الأم	١٦	رواياته عن الإمام الباقر (ع)	٧٦
نشأته	٢٣	رواياته عن الإمام الصادق (ع)	٧٦
نبوغه المبكر	٢٤	رواياته عن الإمام الرضا (ع)	٨٠
تعظيم العلويين له	٢٧	الأخبار المختلفة	٨١
انطباعات المؤلفين عن شخصيته	٢٩	كفر الغلاة	٩٨
مظاهر شخصيته	٣٣	امتناع رؤية الله	٩٩
عصمة الأئمة	٣٧	استحالة التجسيم	١٠١
النص على إمامته	٤٠	استحالة وصفه تعالى	١٠٢
كرمه	٤٢	حقيقة التوحيد	١٠٣
زهده	٤٥	إبطال الجبر والتفويض	١٠٤
إرشاد الضالين	٤٧	أدعيته	١٣١
نهيهِ عن مجالسة الصوفيين	٤٧	دعاؤه عند الشدائد	١٣١
عبادته	٥١	دعاء الاعتصام	١٣٦
أدعيته في قنوت صلاته	٥٢	دعاؤه للإستعاذة من الشيطان	١٣٦
دعاؤه عقب صلاة الفجر	٥٥	مناجاته	١٣٧

الموضوع الصفحة	الموضوع الصفحة
في خان الصعاليك ٢٣٨	زيارة الجامعة ١٣٨
شراء الإمام داراً له ٢٣٩	صحة سندها ١٣٨
رجوع المتوكل لفتاوى الإمام ٢٣٩	بلاغتها - شروحتها ١٣٩
المتوكل يسأل عن أشعر الناس ٢٤١	زيارة الغدير ١٤٠
المتوكل يدعو ابن السكيت لامتحان الإمام ٢٤٢	من قصص الأنبياء ١٤٧
أسئلة يحيى بن أكثم ٢٤٤	نوح مع إبليس ١٤٨
استجارته بالحائر الحسيني ٢٥٦	موسى مع الله ١٤٨
كيس دار الإمام ٢٥٩	حكمة لعيسى ١٤٩
انحصار الاقصادي على الإمام ٢٦٢	فضل النبي وعلي ١٥٠
محاولة فاشلة لاغتيال الإمام ٢٦٤	فضل العلماء في زمان الغيبة ١٥١
استهانة المتوكل بالإمام ٢٦٥	فضل الصبر ١٥١
دعاء الإمام على المتوكل ٢٦٧	التشأم من الأيام ١٥٢
هلاك المتوكل ٢٧١	النظافة ١٥٣
المؤامرة على المتوكل ٢٧١	الجهل بحقيقة الموت ١٥٤
تنفيذ المؤامرة ٢٧٣	التوبة النصوح ١٥٥
رثاء البحري للمتوكل ٢٧٤	معنى الرجيم ١٥٥
مدح الشعراء له ٢٧٥	الغوغاء ١٥٦
حكومة المتصر ٢٧٥	كلمات من نور ١٥٦
مع العلويين ٢٧٥	أصحابه ورواة حديثه ١٦٧
السماح بزيارة قبر أمير المؤمنين وزيارة الامام ٢٧٦	وهم ١٧٧ رويماً ١٦٩
الحسين ٢٧٦	راوية واحدة من النساء ٢٣٠
وفاته ٢٧٦	الإمام في سامراء ٢٣١
حكومة المستعين ٢٧٧	الإمام في يثرب ٢٣٣
سرفه وبذخه ٢٧٨	الوشاية بالإمام ٢٣٤
المعرض المذهل ٢٧٨	إحباط الإمام للمؤامرة ٢٣٥
خلع المستعين ٢٨١	رسالة المتوكل للإمام ٢٣٥
عصر الإمام ٢٨١	فزع المدنيين ٢٣٦
الحياة السياسية - تسلط الأتراك على الحكم ٢٨٣	تفتيش دار الإمام ٢٣٧

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الحياة الاقتصادية العامة	٢٢٣	جهل الأتراك - فساد الحكم	٢٨٥
جباية الخراج	٣٢٤	الولاية على الأقاليم الاسلامية	٢٨٧
البؤس العام	٣٢٥	اضطهاد العلويين - الحصار الاقتصادي	٢٩٠
بدع وأضاليل	٣٣٠	منح الأموال لانتقاص العلويين	٢٩١
أباطيل ابن حسكة	٣٣١	اعتقال العلويين	٢٩٦
براءة الإمام منه	٣٣٢	المتوارون	٢٩٧
بدع الفهري	٣٣٥	ثورة الشهيد يحيى	٢٩٨
الإمام يأمر بقتل فارس	٣٣٥	هدم قبر الحسين	٣٠١
الإمام يبيع قتلهم	٣٣٥	منع المسلمين من زيارة قبر الحسين	٣٠٣
رسالة السري الى الامام في الغلاة	٣٣٦	تذمر المسلمين	٣٠٤
أسباب الغلو	٣٣٦	الحياة الاقتصادية	٣٠٥
مع الواقفية	٣٣٧	دعوة بركووار	٣٠٦
مشكلة خلق القرآن	٣٣٧	الاحتفال بالبيعة لأولاد المتوكل	٣٠٧
حياة اللهو	٣٣٨	الحواري - القصور	٣٠٩
انتشار الخمر	٣٣٩	الجعفري	٣١١
الخلاعة والمجون	٣٤٠	البرج	٣١٢
إلى جنة المأوى	٣٤٣	الملح	٣١٣
اغتياله بالسم	٣٤٦	الشنيدار - المختار - الغرو	٣١٤
تعيينه لولي عهده	٣٤٧	بركووار - الخير	٣١٥
مواكب التشيع في مقره الأخير	٣٤٨	برك الماء	٣١٦
عمره الشريف - سنة وفاته	٣٤٩	الهبات للشعراء	٣١٩



Princeton University Library



32101 063375511